إصدارات مكتب رسالة الأزهر

المُحدِّثون

في رحاب الأزهر الشريف

إبراهيم شعبان المرشدي الأزهري



كشيدة للنشر والتوزيع

بالتعاون مع



مكتب رسالة الأزهر

المُحدِّثون

في رحاب الأزهر الشريف

بقلم

إبراهيم شعبان المرشدي الأزهري



الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

اسم الكتاب: المحدثون في رحاب الأزهر الشريف
اسم المؤلف: إبراهيم شعبان المرشدي الأزهري

٢٦٤ ص، ٢٠ * ١٤ سم

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠١٤/٢٠١١٨

الترقيم الدولي ISBN
978-977-5002-35-8

الناشر: كشيدة للنشر والتوزيع
العاشر من رمضان - مصر
info@kasheeda-publishing.com
www.kasheeda-publishing.com

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا خير أمة، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خيرة خلقه وحبيبه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ الشرع الشريف كاملًا غير منقوص، وأمره أن يقوم بواجب التبليغ؛ فقام ﷺ فبلَّغ أحسن البلاغ، وأرشد وعلَّم وفقَّه، فخرَّج جيلًا من الصحابة ملؤوا طباق الأرض علمًا ونوراً، وغيَّروا معالم حياة الجاهلية من قلوب العباد، فأخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن حياة البداوة إلى الحضارة والرقيِّ، فخرَّجوا أمثلةً عجيبة، ونماذجَ عالية، سادوا الدنيا بتقواهم لله رب العالمين، ثم علَّموا من جاء بعدهم، وهكذا لم يَكِلِ الله تعالى علوم الشرع الشريف إلى البشر أنفسهم، وإلَّا لضلُّوا الطريق المستقيم، بل جعل علوم الشرع الشريف كلها لا تؤخذ إلَّا بالتلقِّي، والمجالسة، والملازمة، التي تصل بالعالم إلى منبع الوحي الإلهي المتصل إلى سيدنا رسول الله ﷺ وبغير هذا لن تكون الهداية التي أرادها الله تعالى، ومن هنا كان الأمر من الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

وقال تعالى: ﴿... وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] فصارت القاعدةُ التي قالها الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلكَ العلماء في أخذهم للشرع الشريف وهي: أنَّ مَنْ تعلَّم من بطون الكتب ضَيَّع الأحكام.

وكما أنَّ العلم مستودعُه الكتبُ إلَّا أنَّ مفاتيحه بيد الرجال، وستظل مفاتيحه بيد الرجال.

فقيَّض الله تعالى لحفظِ الدين وحراستِه أقوامًا اصطفاهم وجعلهم خيرة خلقه، وكان من بين هؤلاء الذين صان الله تعالى بهم دينه علماءُ الأزهر الشريف.

الأزهر الذي حمى الدين عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا -بفضلٍ من الله تعالى- على مدار التاريخ الإسلامي كلِّه، ثم على حين غفلةٍ من أهلها وجدنا من يتطاول على الأزهرِ الشريفِ ورموزِه، وينالُ من منهجِه التعليمي في العقيدة والشريعة على السواء، ويتهم علماءَه بالانحراف عن العقيدة الإسلامية.

ولا أدري لماذا يُوجَّه الطعنُ إلى علماء الأزهر الشريف أكثر مما يوجه إلى العلمانيين والمستشرقين؟!

ولا أدري لماذا روح العداوة التي تفوح من كلامهم[2] لرجال الأزهر الشريف؟ وهم الذين حفظ الله تعالى بهم على الأمة دينَها، وصان بهم شريعتَه في أرضِه.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٢

(٢) لا أقصد واحدًا بعينه هنا، إنما أعني ما يَرِد عن بعض المتشددين غير الفاهمين للمنهج العلمي الرصين، وأعني ما يشنعون به في كتاباتهم ولقاءاتهم المختلفة.

ولماذا يُتهم علماءُ الأزهر الشريف ويُوضَعُون في قفص الاتهام، وخاصةً الرموز الأكابر، ويُوصَمُون بأنهم أصحاب عقيدةٍ فاسدة، باعوا الدين من أجل الدنيا، وبأنهم أصحاب مناصبٍ وكراسي ...إلخ؟!

وكأنَّ الأزهر الشريف الذي ظل قرونًا من الزمان -أكثر من ألف عام- وهو يُخرِّج أجيالًا ملؤوا طباقَ الأرض علمًا ونورًا وهُدًى، كأنهم بعد هذه القرون الطويلة -في ميزان هؤلاء- كانوا يَدْرسون ويُدَرِّسُون عقيدةً ضالة مخالفة لإجماع الأمة والسلف الصالح، وكأنهم لم يتقنوا علوم الشريعة!!!

وقد ادَّعوا ذلك صراحة على مسمعٍ ومرأى من الناس، أنَّ علماء الأزهر ضعاف في الحديث الشريف، وخالفوا في ذلك الواقع الذي شهد بفضل الأزهر الشريف، ودفاعه عن العقيدة الإسلامية، والحديث الشريف، والفقه الإسلامي، واللغة العربية، حتى في جانب العلوم التجريبية، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

لقد قام الأزهر الشريف عبر التاريخ بحماية الإسلام والذبِّ عنه؛ في أصعب الأوقات وأحلكها من تاريخ مصر والعالم كله، مما جعل أمير الشعراء أحمد شوقي يتمثل أبياتًا يقول فيها:

ظلماتٌ لا ترى في جُنحِهـــا * غير هذا الأزهرِ السمح شهابا

قَسَمًا لولاه لم يبق بهـــا * رجلٌ يقرأ أو يدري الكتابا

حفظ الدين مليّا ومضـــى * ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا

فما تطاول على الأزهر ورجاله إلَّا من خبثت طويَّتُه، وقلَّ علمُه، وضاع سعيُه، وتملك الغيظ والحقد من قلبه، وبدا تعصبه؛ لأنه قد طعن في منهج معتبرٍ عاشت عليه الأمة قرونًا من الزمان، وفي هذا البحث -الذي بين أيدينا- ردٌّ على الشبهة التي



ذاعوها وردَّدوها، والتي تلبَّس بها كثيرٌ من العوام وطلبة العلم؛ وهي ضعف الأزهريين في الحديث الشريف وعلومه.

وسأتناول في الرد على هذه الشبهة الأدلَّة والبراهين القاطعة، والتي أُدَلِّلُ بها على أنَّه ما من مدرسةٍ علميةٍ على الأرض كلها خَدَمَتْ السنة النبوية بمثل ما خُدِمَتْ من قِبَلِ علماء الأزهر الشريف، وأنَّ الأزهرَ الشريف -حماه الله ورعاه، وجعل الدائرة تدور على من عاداه- هو الموضع الذي جعله الله تعالى منهج حياة، وأنَّ علماءه هم الذين وقفوا وصدوا الظالمين الطغاة، وقاموا بواجب حراسة الدين في كل مجالات الحياة، في علوم الدين والدنيا على السواء، وأنَّ البيئة الأزهرية هي أكثر بيئة احتضنت الحديث الشريف، وأنَّه إنَّما نَمَا وترعرع هذا العلم بالدرجة الأولى في رحاب الأزهر الشريف وعلى يد أشياخه وأئمته.

وختامًا أردد قول أحد الصالحين عندما كتب كتابًا فقال: «لم يسألني فيه أحد؛ لعلمهم أني قليل البضاعة، غير دَرِيٍّ بهذه الصناعة، فإني والله لست أهلًا لقولٍ ولا عمل، وإني والله من ذلك على وَجَل، لكنَّ الكريم يقبل من تطفَّل، ولا يُخَيِّبُ من عليه عَوَّل... والمأمول من ذي العِزَّة والجلال، أن ينفع به في الحال والمآل، وأن يكون تذكرة لنفسي في حياتي، وأثرًا لي بعد مماتي، فلا تكن ممن إذا رأى صوابًا غطَّاه، وإذا وجد سهوًا نادى عليه وأبداه، فمن رأى خطأً منصوصًا عليه فليُضِفْه بِطُرَّته إليه والنص عليه».

يا من غدا ناظرًا فيما كتبت ومن * أضحى يردد فيما قلته النظرا
سألتك الله إن عاينت لي خطأً * فاستر عليَّ فخير الناس من سترا[1]

(١) من مقدمة العلامة الأشموني في كتابه «منار الهدى في بيان الوقف والابتدا»، ط. دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.



وإني لأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ أن يوفقني ولو بثقب إبرة من نور، أطوف به في رحاب الأزهر الشريف وعلمائه؛ لعلي أَرُدُّ ولو مثقال ذرة من فضلهم عليَّ بعد الله سبحانه وتعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى اللهم على البشير النذير، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

إبراهيم شعبان المرشدي الحنفي الأزهري

الأزهر الشريف وتحمله لعلوم الشريعة

الأزهر الشريف منارةٌ علميةٌ عريقةٌ حملت رسالة الخير إلى كل العالمين؛ فمن قديم الزمن جلس أكابر علماء الدنيا، وأساطين العلم في رحاب الجامع الأزهر الشريف يُدَرِّسون العلوم الشرعية، والتجريبية على السواء، ويرجع السر في ذلك -كما يذكر أهل التاريخ- إلى اهتمام الدولة الفاطمية باستجلاب أهل العلم من كل بقعة من بقاع الأرض، فتولَّى التدريس في الجامع الأزهر الشريف خيرة علماء الزمان في كل وقت، وإلى وقتنا هذا، فما من علم ينفع الإسلام والمسلمين إلا وقاموا فيه بحقه؛ فخذ على سبيل المثال:

في علوم اللغة العربية: تجد أن كبار علماء اللغة كانوا بمصر والأزهرِ الشريف؛ فتولى تدريس العربية العلامة الكبير أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي[1] النحوي المفسر، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وهو صاحب كتاب: «إعراب القرآن» في عشر مجلدات، ولَهُ من التصانيف كتاب: «موارد الأنبياء»، و«الموضح فِي النَّحْو»، و«البرهان فِي تَفْسِير الْقُرْآن». قَالَ ياقوت الحموي (المتوفى ٦٢٦هـ): «بَلغنِي أنه فِي ثَلَاثِينَ مُجَلدًا بِخَط دَقِيق»، وهو إمام العربية في زمانه.

وكان الإمام علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع اللغوي، المتوفى سنة ٥١٥هـ، صاحب كتاب «أبنية الأسماء والأفعال» و«الدرة الخطيرة في

(١) راجع ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: (١٣/١٩٤)، «وفيات الأعيان»: (٣/٣٠٠)، «الوافى بالوفيات»: (٢٠/٦)، «البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة»: (١/١٩٨)، «معجم المؤلفين»: (٧/٥).

شعراء الجزيرة» يقصد (صقلية) واشتملت على مئة وسبعين شاعرًا، وعشرين ألف بيت شعر، ناهيك عن حواشيه على كتب «الصحاح»[١].

وسمعنا بالعلامة النحوي: الإمام أبي محمد عبد الله بن بري المصري، المتوفى ٥٨٢هـ، والذي تخرج على يده خلق كثير، وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عنه ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»: «وكانت عنايته تامة في تصحيح الكتب، وكَتَبَ الحواشي عليها بأحمر، فإذا رأيت كتابًا قد ملكه فهو الغاية في الصحة والإتقان»[٢].

ثم كان الإمام الكبير محمد جمال الدين، ابن مالك الأندلسي، المتوفى بدمشق سنة ٦٧٢هـ، صاحب «الخلاصة»؛ والتي اشتهرت بين الناس باسم: «الألفية»، والتي اعتمدها القاصي والداني، وشرحها خلقٌ كثير؛ حتى قال الأستاذ الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد -رحمه الله تعالى- في مقدمة تحقيقه على كتاب «شرح ابن عقيل»: «وقد كثر إقبال العلماء على هذا الكتاب من بين كتبه بنوعٍ خاص، حتى طُويت مصنفاتُ أئمة النحو من قبله، ولم ينتفع من جاء بعده بأن يحاكوه، أو يدَّعوا أنهم يزيدون عليه وينتصفون منه»[٣].

فشرحها الإمام الكبير جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام المصري، المتوفى ٧٦١هـ، والذي قال عنه ابن خلدون -رحمه الله تعالى-: «ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالمٌ بالعربية يُقال له: ابن هشام، أنحى من

(١) راجع ترجمته في «معجم الأدباء»: (١٦٧١/٤)، «الأعلام»: (٢٦٩/٤).

(٢) راجع ترجمته فى «معجم الأدباء»: (١٥١٠/٤)، و«البداية والنهاية»: (٣٩١/١٢)، «النجوم الزاهرة»: (١٠٣/٦).

(٣) «شرح ابن عقيل»: (٦/١).

سيبويه». وقد شرحها ابنُ هشام مرتين؛ الأولى: في كتابٍ سمَّاه: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، والثانية في كتاب سماه: «دفع الخصاصة عن قُرَّاء الخلاصة»، ولابن الناظم العلَّامة محمد بدر الدين بن محمد بن مالك شرحٌ عليها، ولابن العيني الحنفي شرح عليها، وللمكودي شرح عليها، وللأشموني شرح عليها، وغيرهم من علماء الأزهر الشريف، ممن لا يحصون كثرة، فقل لي بالله عليك هل هناك مدرسة علمية على الأرض كلها حفظت علينا لغة القرآن الكريم بمثل ما حافظ عليها علماء الأزهر الشريف؟.

ثم إنه سيأتيك من جهود علماء اللغة العربية في الأزهر الشريف، وكيف أنهم ربطوا علوم اللغة بالحديث الشريف بما يخطف العقول، ويسحر الأذهان، ويقف الإنسان مطئطئًا رأسه أمام هذا الطوفان الممزوج بالعلم والإيمان.

وفي علم القراءات: نزل بمصر الصحابي الجليل مالك بن عبد الله المعافري وشهد فتح مصر، وله رواية عن أبي ذر[1]، وأول من أقرأ بها القرآن بقراءة نافع، التابعيُّ الجليل أبو ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة، مولى الملامس الحضرمي المتوفى ١٨٨هـ، وكان ذلك قبل الخمسين ومئة[2]؛ واشتهر كثير من مصر بالإقراء، منهم:

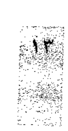
- الإمام الحجة عثمان بن سعيد الملقب بـ(ورش)، وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

- والإمام المجود الحاذق طاهر بن عبد المنعم وكان من كبار المقرئين في عصره بمصر.

---

(١) راجع ترجمته فى «أسد الغابة»: (٥/٣٠)، «الإصابة فى تمييز الصحابة»: (٥/٥٤٣).

(٢) راجع ترجمته في «تاريخ ابن يونس المصري»: (١/٣١٦)، «الإكمال في رفع الارتياب»: (٣/١٤٢)، «تهذيب الكمال»: (١٧/٤٥١).



- وكان عبد الله بن مالك بن سيف، أبو بكر التجيبي المقرئ من كبار قرّاء مصر، أخذ عن: أبي يعقوب الأزرق -صاحب ورش- تلاوةً، وسمع: محمد بن رمح، وجماعة[1].

- والشيخ أبو المفاخر: عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد ابن إمامة بن السند، الواسطي، المقرئ، النحوي، قرأ القرآن الكريم بالروايات على الشيخ أبي بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني، صاحب الشيخ أبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانيسي المقرئ، وأقرأه بالقاهرة، وأمَّ بالناس في الجامع الأزهر منها مدة، وحدث عن شيخه أبي بكر الباقلاني، وعن علي بن محمد بن علي الواسطي وغيرهما، سمع منه جماعة وتوفي في ليلة الثالث عشر من ذي القعدة من سنة أربع وتسعين وخمسمائة[2].

- وظل الأمر كذلك حتى كان الإمام الشاطبي الرعيني الأندلسي المتوفى ٥٩٠هـ ببلاد مصر، وكان يدرس متن «الشاطبية» والمعروف بـ«حرز الأماني ووجه التهاني» حتى يذكر أهل التاريخ أنَّ «الشاطبية» كانت من آخر العلوم التي ظلَّت تُدَرَّس في الجامع الأزهر الشريف، وهي التي تولاها أهل العلم بالشرح والتدريس على مدار التاريخ وإلى وقت الناس هذا. بل إن أكثر الناس انتفاعًا بالإمام الشاطبي أهلُ مصر في سائر البلدان، ويأبى الله تعالى إلا أن يكون مقر جثمانه الشريف في مصر، كما يذكر صاحب «وفيات الأعيان» فيقول: «ودخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكان يقول عند دخوله إليها: إنه يحفظ وقر بعير من العلوم، بحيث لو نزل عليه ورقة أخرى لما احتملها، وكان نزيل القاضي الفاضل، ورتبه بمدرسته بالقاهرة

---

(١) «تاريخ الإسلام»: (٢١٢/٢٣).

(٢) «تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب»: (٧٣/١).

متصدرًا لإقراء القرآن الكريم، وقراءاته، والنحو، واللغة، وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة، ودفن يوم الاثنين في تربة القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى، وزرت قبرَه مرارًا -رحمه الله تعالى-، وصلى عليه الخطيب أبو إسحاق العراقي -المقدم ذكره- خطيب جامع مصر»[1].

ناهيك أن أكابر القراء في العالم تعلموا بمصر وقرؤوا على شيوخها وأئمتها، فيعدد الإمام ابن الجزري أسانيد من تلقى عنهم «الشاطبية» فيقول: «وقرأت بمضمنها القرآن كله على جماعة من الشيوخ، منهم الشيخ الإمام العالم التقي أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن البغدادي المصري الشافعي شيخ الإقراء بالديار المصرية، وذلك بعد قراءتي لها عليه، قال: قرأتها وقرأت القرآن بمضمنها على الشيخ الإمام الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري الشافعي، المعروف بالصائغ شيخ الإقراء بالديار المصرية، قال: قرأتها وقرأت القرآن العظيم بمضمنها على الشيخ الإمام العالم الحسيب النسيب أبي الحسن علي بن شجاع ابن سالم بن علي بن موسى العباس المصري الشافعي، صهر الشاطبي، شيخ الإقراء بالديار المصرية، قال: قرأتها وتلوت بها على ناظمها الإمام أبي القاسم الشاطبي الشافعي شيخ مشايخ الإقراء بالديار المصرية، وهذا إسناد لا يوجد اليوم أعلى منه، تَسَلْسَلَ بمشايخ الإقراء، وبالشافعية، وبالديار المصرية، وبالقراءة، والتلاوة»[2].

ويذكر في كتابه «النشر في القراءات العشر» شيوخَه وشيوخَ شيوخِه من القراء المصريين بكثرة بالغة، فراجعْه.

---

(١) «وفيات الأعيان»: (٧٢/٤).

(٢) «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري: (٥٨/١)، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، ط. دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى.

- والحافظ أبو حيان الأندلسي النحوي المقرئ المتقن، المتوفى ٧٢٥هـ، تدفعه نفسه إلى القدوم إلى مصر ليقرئ ويعلم الناس بها، حتى قال الحافظ الذهبي: «ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولى في الفقه والآثار والقراءات واللغات، وله مصنفات في القراءات والنحو، وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرَّج به عدة أئمة».

قال الحافظ ابن الجزري: «ونَظَمَ القراءات السبع في قصيدة لاميِّة، سماها: «عقد اللآلئ» خالية من الرموز وجعل عليها نكتًا مفيدة، ونظم قراءة يعقوب، وشرح «التسهيل» شرحًا جليلًا، وله التفسير الذي لم يسبق إلى مثله، سماه: «البحر المحيط» في عشر مجلدات، وغير ذلك من المؤلفات، ونظمه في غاية الحسن، مع الدين والخير والثقة والأمانة».

- والحافظ السخاوي المصري الشافعي الذي أخذ القراءات بمصر عن ولي الله أبي القاسم الشاطبي وغيره، ثم ذهب إلى دمشق فكان شيخ مشايخ الإقراء بها، ولم يكن له شغل إلا العلم والإفادة، فأقرأ الناس نيفًا وأربعين سنة بجامع دمشق عند رأس سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام، وقصده الطلبة من الآفاق، وازدحموا عليه، وتنافسوا في الأخذ عنه، حتى قال الحافظ أبو عبد الله في «تاريخ الإسلام»: «قرأ عليه خلق كثير إلى الغاية ولا أعلم أحدًا من القراء في الدنيا أكثر أصحابًا منه».

وقال الصلاح الصفدى: «وكان السخاوي إمامًا، علامةً، مقرئًا، محققًا، مجودًا، بصيراً بالقراءات وعللها، إمامًا في النحو واللغة والتفسير، وله معرفة تامَّة بالفقه والأصول، وكان يفتي على مذهب الشافعي، وتصدر للإقراء بجامع دمشق، وازدحم عليه الطلبة؛ وتنافسوا في الأخذ عنه، وقصدوه من البلاد»[1].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: (٢٢/٤٤).

فقل لي بالله عليك: هل قامت مدرسة علمية في التاريخ الإسلامي بمثل هذه الجهود في حفظ أوجه القراءات بمثل ما قام علماء مصر والأزهر الشريف؟!!

أمَّا في علم الحديث الشريف فإنَّ أهل مصر من قديم يفتخرون بكثير من أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ الذين نزلوا مصر وحدَّثوا بها، وعلى رأسهم الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما والذي هو من أكثر الصحابة علمًا بحديث سيدنا رسول الله ﷺ بشهادة شيخ الرواية سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه[1]، وكذلك سيدنا عقبة بن الحارث الفهري، وسيدنا عقبة بن عامر الجهني، وغيرهم عشرات، حتى كتب العلَّامة الكبير الشيخ محمد بن الربيع الجيزي -رحمه الله تعالى- كتابًا ذكر فيه مئة ونيفًا وأربعين رجلًا من الصحابة الذين نزلوا مصر، وأورد فيه أحاديثهم، وما رواه أهل مصر، وسمَّاه: «معرفة الصحابة المصريين».

ثم كتب الحافظ السيوطي -رحمه الله تعالى- كتابه القيِّم: «دَرُّ السحابة، فيمن نزل مصر من الصحابة» لخَّص فيه كتاب ابن الربيع، وضمَّ إليه ما فاته مما أوردته الكتب الأخرى، كـ «الطبقات» لابن سعد، و«فتوح مصر» لابن عبد الحكم، و«تاريخ مصر» لابن يونس، ورتبه على حروف المعجم، وهو مطبوع مع «حسن المحاضرة».

وكتب الشيخ أحمد شحاتة الألفي السكندري: «أعلام أهل العصر، بما في الكتب الستة من أسانيد أهل مصر» وهو عبارة عن ترجمة للمصريين، من رواة الأحاديث النبوية الشريفة في الكتب الستة.

---

(١) روى البخاري في كتاب (العلم): باب (كتابة العلم)، حديث رقم: (١١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب».

ومن يراجع «تاريخ ابن يونس» أو «در السحابة فيمن نزل مصر من الصحابة» وكتب التاريخ والتراجم كافَّةً لظفر بالكثير ممن شَرُفت بهم مصر المحروسة، ويتبين لنا من ذلك أن الأعمدة التي قام عليها الحديث الشريف في مصر عامة والجامع الأزهر الشريف الأنور خاصة غير محصورة؛ ليُدلِّكَ ذلك على مزيد العناية الإلهية بأهل مصر المحروسة، فكُتِبَتْ الكتب وصُنِّفَتْ المصنفات في الحديث الشريف خاصة بما لا يُعَدُّ ولا يحصى على يد العلماء الأكابر الذين كانوا حملة تلك الرسالة إلى العالمين، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر والتتبع:

- عبد الله بن لهيعة المصري، المتوفى سنة ١٧٤هـ، صاحب المصنفات، والكتب الكثيرة التي أُحرقت في آخر عمره، وكان ابن لهيعة من العلماء المحدثين الكبار مع ضعفه، حتى قال الحافظ ابن كثير عنه في تصحيح حديث هو من رواته: «إنما يخشى من تدليسه وسوء حفظه، وقد صرح هاهنا بالسماع، وهو من الأئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه»[1]. وقال الحافظ الذهبي: «لا ريب أن ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية، هو والليث معًا، كما كان الإمام مالك في ذلك العصر عالم المدينة، والأوزاعي عالم الشام، ومعمر عالم اليمن، وشعبة والثوري عالما العراق، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان، ولكن ابن لهيعة تهاون بالإتقان، وروى مناكير، فانحط عن رتبة الاحتجاج به عندهم. وبعض الحفاظ يروي حديثه، ويذكره في الشواهد والاعتبارات، والزهد، والملاحم، لا في الأصول. وبعضهم يبالغ في وهنه، ولا ينبغي إهداره، وتتجنب تلك المناكير، فإنه عدل في نفسه. وقد ولي قضاء الإقليم في دولة المنصور دون السنة، وصرف. أعرض أصحاب الصحاح عن رواياته، وأخرج له: أبو داود، والترمذي، والقزويني، وما رواه عنه ابن وهب والمقرئ والقدماء فهو أجود»[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢٨/١).

(٢) «سير أعلام النبلاء»/ترجمة عبد الله بن لهيعة ١٢٦/٧.

– ثم كان فقيه مصر ومحدثها على الإطلاق الإمام الليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥هـ، والذي قال عنه الحافظ الذهبي: «كان الليث –رحمه الله– فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر، وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته»(١).

– وكَتَبَ الإمام عبد الله بن وهب القرشي المصري، المتوفى ١٩٧هـ «الجامع في الحديث» وقد نشره وعلق عليه دافيدويل وقد طبع بالمعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٤٨م، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢١٨١٥، ٢١٩١٦، ٢٢١٣٣، ٢٢١٣.

– ثم كان الإمام أسد بن موسى، المتوفى ٢١٢هـ، والذي لقبه الذهبي في السير بـ(أسد السنة) وقال عنه: «الإمام الحافظ الثقة... طلب العلم ولحق الكبار ورحل وجمع وصنف»(٢).

– وبعده الإمام نعيم بن حماد الخزاعي المتوفى ٢٢٧هـ، نزيل مصر، وهو أول من جمع المسند كما قال الحافظ السيوطي في «حسن المحاضرة»(٣).

– ثم كان الإمام الحافظ المتقن الحجة أحمد بن صالح المصري، المتوفى ٢٤٨هـ، حافظ زمانه بالديار المصرية، أبو جعفر المصري المعروف بابن الطبري، ولد بمصر سنة سبعين ومائة، وروى عن ابن وهب، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق، وأبي نعيم، وعفان، وخلق سواهم، وروى عنه الإمام البخاري، وأبو داود، وأبو زرعة الرازي،

(١) «سير أعلام النبلاء»/ترجمة الليث ٢٠٨/٧، ط. دار الحديث.

(٢) راجع ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: (٣١٦/٨).

(٣) حسن المحاضرة (٣٤٧/١)



والدمشقي، والدارمي، وغيرهم. قال فيه أبو زرعة الدمشقي: قدمت العراق فسألني أحمد بن حنبل من خلفت بمصر؟ قلت: أحمد بن صالح، فَسُرَّ بذكره، وذكر خيراً ودعا الله له.

- وكان للإمام يونس بن عبد الأعلى، المتوفى ٢٦٤هـ، مؤلفات عدة في الحديث الشريف.

- ثم كان الإمام العلم أبو جعفر الطحاوي، المتوفى ٣٢١هـ، صاحب كتاب: «شرح معاني الآثار» و«شرح مشكل الآثار» والذي يعد أول من كتب في هذا العلم بمصر على الإطلاق إذا استثني الشافعي على اعتبار أنه ليس من أهلها ولكنه عاش ومات بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال عنه الإمام الذهبي: «الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف»[1].

- ثم كان العلامة المحدث عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري المتوفى سنة ٤٠٩هـ، والذي ترجم له الذهبي فقال عنه: «الإمام الحافظ الحجة النسابة محدث الديار المصرية» وقال عنه الحافظ ابن حجر: «عبد الغني بن سعيد حافظ مصر».

- وكان الإمام عبد الرحمن بن محمد البزار، المعروف بابن النحاس المتوفى ٤١٦هـ والذي قال عنه الإمام الذهبي: «الشيخ الإمام الفقيه، المحدث الصدوق، مسند الديار المصرية».

- ثم كان الإمام القُضاعي الفقيه المحدث المؤرخ، المتوفى سنة ٤٥٥هـ، وهو

(١) «سير أعلام النبلاء»/ترجمة الطحاوي: (٣٦١/١١).

صاحب كتاب «الشهاب»، حتى قال ابن ماكولا: «كان متفننا في عدة علوم، لم أر بمصر من يجري مجراه».

- ثم جاء الحافظ الكبير، إمام الدنيا في زمانه، الحافظ أبو طاهر السِّلَفي، المتوفى سنة ٥٧٦هـ، والذي ترجم له الحافظ الذهبي ترجمة فخيمة، فكان مما قاله عنه: «وأملى مجالس بسلماس وهو شاب، وانتخب على غير واحد من المشايخ، وكتب العالي والنازل، ونسخ من الأجزاء ما لا يحصى كثرة، فكان ينسخ الجزء الضخم في ليلة، وخطه متقن سريع لكنه معلق مغلق، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عامًا يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وقدم دمشق سنة تسع وخمس مائة، فأقام بها سنتين يكتب العلم مقيمًا بالخانقاه، وقد جمعوا له من جزازه وتعاليقه معجم السفر في مجلد كبير، ثم استوطن ثغر الإسكندرية بضعًا وستين سنة، وإلى أن مات ينشر العلم ويحصل الكتب التي قل ما اجتمع لعالم مثلها في الدنيا. ارتحل إليه خلق كثير جدًّا، ولا سيما لما زالت دولة الرفض عن إقليم مصر وتملكها عسكر الشام، فارتحل إليه السلطان صلاح الدين وإخوته وأمراؤه، فسمعوا منه»[١]. حتى كتب الدكتور محمد محمود زيتون: «الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان»[٢].

- ثم كان الحافظ العماد الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، والذي قال عنه الحافظ زكي الدين المنذري: «كان العماد جامعًا للفضائل: الفقه، والأدب، والشعر الجيد، وله اليد البيضاء في النثر والنظم، صنف تصانيف مفيدة، وللسلطان الملك الناصر معه من الإغضاء والتجاوز والبسط وحسن الخلق ما يُتعجَّبُ من وقوع مثله»[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٧٦/١٥).

(٢) ط: مؤسسة شباب الجامعة.

(٣) «سير أعلام النبلاء»: (٤٤٦/١٥).

- ثم كان الحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، ولم يعمر حتى قال الحافظ الذهبي: «ولو عاش لساد»[1].

- وسلطان العلماء وفخر الإسلام: عز الدين ابن عبد السلام، المتوفى سنة ٦٦٠هـ، صاحب المؤلفات والتصانيف النافعة، وشهرته تغني عن التعريف به، وجلالته مشتهرة بين القاصي والداني.

- ثم كان الإمام ابن المنيِّر، المتوفى سنة ٦٨٣هـ، حتى قال الصلاح الصفدي: «وكان عالمًا فاضلًا مفننًا، وكان في علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس، وسمع الحديث من ابن رواج وغيره، وله تأليف على تراجم «صحيح البخاري» وله كتاب «الاقتفا» عارض به «الشفا» للقاضي عياض، وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين ودرس بعدة مدارس؛ وقيل: إن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام كان يقول: «ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص» وله ديوان خطب، وتفسير حديث الإسراء في مجلد على طريقة المتكلمين[2].

- ثم كان الإمام الفقيه الشافعي المحدث الثبت: بدر الدين أبو أحمد الحاجب، المشهور بأبي شامة، المتوفى سنة ٦٩٥هـ.

- ثم كان مجدد المئة السابعة باتفاق: ابن دقيق العيد محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي، المتوفى سنة ٧٠٢هـ.

---

(١) ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٤٠٤).

(٢) «فوات الوفيات»: (١/١٤٩).

- ثم كان الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، المتوفى سنة ٧٠٥هـ، والذي قال عنه الحافظ الذهبي في «معجمه»: «شيخنا الإمام الحافظ النسابة شيخ الأئمة، شرف الدين، أبو محمد التوني، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي الشافعي»(١).

- وكان الإمام أبو الفتح الميدومي، المتوفى ٧٤٥هـ، والذي قال عنه الصلاح الصفدي: «الشيخ الإمام المعمر المسند»(٢).

- ثم كان العلامة المحدث الفقيه: أحمد بن علاء الدين السيرامي الحنفي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، والذي قال عنه الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»: «برع في الفقه والأصول والمعاني والبيان، ودَرَسَ في عدة بلاد، ثم قدم ماردين فأقام بها مدة، ثم وصل إلى حلب فقطنها، فلما أنشأ الظاهر برقوق مدرسته بين القصرين استدعاه فقدم في سنة ٧٨٨هـ فاستقر شيخ الصوفية بها ومدرس الحنفية... ثم أقرأ الهداية وغير ذلك من كتب الفقه والأصول، وكان شيخنا عز الدين ابن جماعة يقرظه ويفرط في وصفه بالفهم والتحقيق، ويذكر أنه تلقف منه أشياء لم يجدها مع نفاستها في الكتب، ولم يزل على حالته موصوفا بالديانة والخير، والانجماع والتواضع وكثرة الأسف على نفسه، والاعتراف بتقصيره في حق ربه؛ إلى أن صار يعتريه الربو وضيق النفس، فمرض به إلى أن مات في ثالث جمادى الأولى سنة ٧٩٠ - رحمه الله تعالى»(٣).

---

(١) «المعجم المختص» للحافظ الذهبي: (حرف الدال)، (١/١٩٥).

(٢) «أعيان العصر وأعوان النصر»: (٥/١٩٥).

(٣) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، باب: (ذكر من اسمه أحمد) (١/٣٦٤).

- ثم كان الإمام الكبير عمر بن علي بن حفص الأنصاري المصري، المعروف بابن الملقن، المتوفى سنة ٨٠٤هـ، والذي قال عنه الحافظ السيوطي: وسمع من الميدومي وعدَّة، وتخرج في الحديث بالزين الرحبي ومغلطاي، وبرع في الفقه والحديث وصنف فيهما الكثير كـ «شرح البخاري» و«شرح العمدة» وألَّف في المصطلح: «المقنع»[١].

- ثم كان شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير، المشهور بالبُلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥هـ، والذي قال عنه الحافظ السيوطي: «الإمام العلامة شيخ الإسلام الحافظ الفقيه»[٢].

- ثم شيخ الإسلام الحافظ العراقي الذي قال عنه الحافظ ابن حجر إنه قد أحيا مجالس الإملاء للحديث الشريف، ونصه: «فأحيا الله به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس، قال الحافظ: وكانت أماليه يمليها من حفظه متقنة مهذَّبة محرَّرة كثيرة الفوائد الحديثية، قال: وكان الشيخ منور الشيبة، جميل الصورة، كثير الوقار، نزر الكلم، طارحًا للتكلف، لطيف المزاح، سليم الصدر، كثير الحياء، قل أن يواجه أحدًا بما يكرهه ولو آذاه، متواضعًا، حسن النادرة والفكاهة، وكان لا يترك قيام الليل بل صار له كالمألوف، كان كثير التلاوة إذا ركب، وكان عيشه ضيقًا»[٣].

- ثم كان الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث حافظ عصره شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ، صاحب التصانيف

(١) «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي: (١/٢٤٤).
(٢) «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي: (١/٥٤٢).
(٣) «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي: (١/٢٤٦).

المشهورة الذائعة الصيت والتي لا يستغني عنها طالب لهذا العلم الشريف، كـ«فتح الباري شرح صحيح البخاري» و«تقريب التهذيب» و«الإصابة في تمييز الصحابة» و«تعليق التعليق» و«لسان الميزان» و«مختصر تهذيب الكمال» و«نزهة النظر» و«النكت على ابن الصلاح»... وغيرها كثير، حتى قال محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، المتوفى سنة ٨٣٢هـ: «وبالجملة فهو أحفظ أهل العصر للأحاديث والآثار وأسماء الرجال المتقدمين منهم والمتأخرين، والعالي من ذلك والنازل، مع معرفة قوية بعلل الأحاديث وبراعة حسنة في الفقه وغيره»[1].

وقد وَلِيَ الحافظ ابن حجر الخطابة في الجامع الأزهر الشريف فترة طويلة كما نص على ذلك الحافظ السخاوي[2].

- ثم كان الإمام البدر العيني، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، قاضي القضاة بمصر ومؤرخها ومحدثها، وله شرح البخاري المسمى بـ«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» و«شرح قطعة من سنن أبي داود» و«شرح الكلام الطيب لابن تيمية» و«شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي» في اثنتي عشرة مجلدة، وله معجم لمشايخه في مجلد، وبالجملة فهو من كبار محدثي زمانه[3].

- ثم كان الحافظ السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ، والذي كان إمامًا علامةً مقرئًا محققًا مجودًا بصيراً بالقراءات وعللها، إمامًا في النحو واللغة والتفسير، وله

(١) «ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد»: (١/٣٥٥)، ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) انظر «التبر المسبوك»: (ص ٢٣١).

(٣) راجع ترجمته في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» للمسند محمد بن عبْد الحَيِّ الكبير الكتاني: (٢/٨٣٩)، بتحقيق إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٩٨٢م.

معرفة تامَّة بالفقه والأصول، وكان يفتي على مذهب الشافعي، وتصدر للإقراء بجامع دمشق، وازدحم عليه الطلبة وتنافسوا في الأخذ عنه وقصدوه من البلاد[1].

- ثم بزغ نور الحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، صاحب المؤلفات النافعة في الحديث والتفسير والفقه... وغيرها، وقد كان -رحمه الله- بحرًا من العلوم، وإذا كتب في علم كأنه لا يتقن غيره، وقد جالس الكبراء من أهل العلم؛ فاستمع للحافظ ابن حجر وكان يدعو أن يصل إلى رتبته في الحديث، ولِعَلَم الدين البلقيني، وشرف الدين المُناوى، ومحيي الدين الكافيجي، وسيف الدين الحنفي... وغيرهم.

- ثم كان العلامة الفقيه الأصولي المتقن المقرئ المجود شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦هـ، صاحب التصانيف النافعة والأخلاق الزكية الفاخرة، والذي قال عنه تلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني: «أحد أركان الطريقين (الفقه والتصوف)، وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلًا ولا نهارًا، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع كِبَر سنه يصلي سنن الفرائض قائمًا، ويقول: لا أُعَوِّد نفسي الكسل، وكان إذا جاءه شخص وطوَّل في الكلام يقول: بالعجل ضيَّعت علينا الزمن، وكنت إذا أصلحتُ كلمة في الكتاب الذي أقرؤه عليه أسمعه يقول بخفض صوته: الله الله لا يفتر حتى أفرغ.. وصنف المصنفات الشائعة في أقطار الأرض»[2].

- ثم كان الإمام الحافظ عبد الرؤوف المُناوي، المتوفى سنة ١٠٣١هـ، صاحب كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وغيره من المصنفات النافعة.

---

(١) راجع ترجمته في «الوافي بالوفيات»: (٤٤/٢٢).

(٢) راجع ترجمته في «الطبقات الكبرى» للشعراني: (١٠٧/٢).

- ثم كان العلَّامة الكبير (مسند الدنيا) كما لقبه الشوكاني في كتابه «البدر الطالع» أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي القاهري الشافعي والمتوفى ١٠٧٧هـ.

- ثم شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد بن عبد المنعم ابن صيام الدمنهوريُّ، المتوفى سنة ١١٩٢هـ، العلامة الموسوعي الفقيه المذاهبي المتقن لعلوم المعقول والمنقول حتى العلوم التجريبية.

- ثم كان الإمام الحافظ السيد محمد مرتضى الزَبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، صاحب «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» وسيأتي المزيد من مصنفاته.

- ثم كان شيخ الإسلام والمسلمين، وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ العلامة الفقيه المحدث المتكلم عبد الله بن حجازي الشرقاوي، المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، صاحب «فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي» وله «حاشية على شرح التحرير» و«التحفة البهية في طبقات الشافعية» و«شرح الحكم العطائية» وغيرها من المطبوع والمخطوط من مصنفاته النافعة[1].

- ثم العلَّامة الكبير والذي عليه مدار أسانيد المصريين: محمد بن أحمد بن عبد القادر، المعروف بالأمير الكبير، المتوفى سنة ١٢٣٢هـ، علَّامة مصر في زمانه بلا منازع.

- ثم العلَّامة الكبير شيخ الأزهر محمد بن علي الشنواني، المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، الذي قال عنه الشيخ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ): في كتابه «حلية البشر»: «حبر العلماء الأعلام، وبحر الفضلاء

(١) «الأعلام»: (٧٨/٤).

الفخام، شيخ الإسلام، وعمدة الأنام، الفقيه العلامة، والنحرير الفهامة، شيخ الجامع الأزهر؛ والمكان الأبهى الأنور، النحوي الأصولي الفقيه، والمحدث المفسر النبيه، حضر الأشياخ الأوائل، والسادة الأفاضل، كالشيخ فارس، وكالصعيدي، والدردير، والقرماوي، وتفقه على الشيخ عيسى البراوي، ولازم دروسه وبه تخرج، وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني»[1].

ومن مصنفاته الرائقة: «حاشية على مختصر البخاري لابن أبي جمرة» في الحديث، «الجواهر السنية في مولد خير البرية»، «حاشية على شرح زكريا الأنصاري لجوهرة التوحيد» وهي حاشية على مولد المدابغي، و«شرح أسماء الله الحسنى»، و«حاشية على شرح العضدية في آداب البحث»[2].

وهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر الخير، وشعاع من النور الذي جعل الله تعالى مقره في مصر المحروسة، ولو أني أفردت ترجمتهم وتناولت الحديث عن شيوخهم وتلامذتهم وآثارهم العلمية لطال بنا المقام كثيراً، ولرأينا ولو بصيص نور من نورهم ولرأينا كيف كانت جهودهم، ولكن هذا محيط لا يغيض، وبحر في العلم لا يزال يفيض، وإنما أردت الإشارة، واختصار العبارة، ومن وراء ذلك أن يعلم الخلق أجمعين كيف حمى الله تعالى شرعه ودينه من قديم، ولا زالت مصر بأزهرها الشريف الذي نصبه الله تعالى في هذه الأرض هي منبع العلم؛ وبها جامع العلوم، وهي أول من قام بواجب البلاغ، في كل بقعة من بقاع الأرض، وليس هذا ادِّعاءً لأزهريتي، بل شهد بفضل الأزهر الشريف كبار علماء الدنيا، حتى قال بيار دودج في كتابه القيِّم «الأزهر في ألف عام» ما نصه: «ومما يثير الفخر والإعجاب أن نرى

(١) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»: (١/١٢٧٠).

(٢) راجع: «معجم المؤلفين»: (١١/٦٣).

خريجي الأزهر الشريف قد حملوا مشاعل الثقافة الإسلامية، وتعاليم الدين الحنيف، وأن الأزهر نفسه كان المنارة التي تشع النور في العالم، من سيبريا إلى نيجيريا، ومن مراكش إلى الصين؛ قبل أن يسمع الناس بأمريكا أو كشف عنها بعد، كما كانت البقاع الشمالية من أوربا تعيش في تيه الضلالة والجهل برابرة بدائيين»[(١)]. وشهد بذلك العلامة الكبير مسند العصر سيدي محمد بن عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المغربي، حيث يقول: «أعظم الكليات في العالم الإسلامي اليوم: أزهر مصر، ثم جامع الزيتونة جار تونس».

وإليك شهادة واحدٍ من أركان العلم والفكر والثقافة بالمشرق، وهو العلامة أبو الكلام آزاد، وهو أنموذج أزهري مُشرِّف، حيث أتقن اللغة الأُرْدية، وتضلَّع من اللغة الإنجليزية، والفارسية، والتركية بجانب ما تلقاه من العلوم الأزهرية، فوجد فيه ضالته المنشودة فأحب الأزهر الشريف حبًّا جعله يقول: «إذا كان للمسلمين قبلة يتجهون إليها في صلواتهم كلَّ يوم خمس مرات وهي الكعبة؛ فإنَّ للمسلمين قبلة أخرى يتجهون إليها في كل وقت لطلب العلم وهي الأزهر»[(٢)].

فكان الأزهر الشريف بحقٍّ هو قبلة المسلمين من كل بقعة من بقاع الأرض، حتى يذكر المقريزي -رحمه الله تعالى- أن عدد الطلبة المغتربين الذين كانوا يلازمون الإقامة في الأزهر الشريف خمسون وسبع مئة، وفي هذا يخبر هو عن زمنه فقط، فماذا لو نظر في زماننا ورأى عدد الوافدين في الكليات الأزهرية على اختلافها، لرأى ما يثير العجب، ويرى كيف ساق الله تعالى أفئدة الناس وجعلها تهوي إليه.

---

(١) «الأزهر في ألف عام» لبيار دودج (ص ١٧٥)، بتحقيق د/ حسين فوزي النجار، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الأزهر الشريف وأثره في صناعة ثقافة العالم (ص ١١)، للدكتور أسامة السيد الأزهري، بتصرف واختصار، منشورات مكتب رسالة الأزهر.

وصفوة القول:

أقول: إنَّ الأزهر الشريف كان ولا يزال هو الموئل لعلوم الإسلام كلها، حتى في أصعب الأوقات في تاريخنا الإسلامي كله؛ فبعد سقوط بغداد، وهجوم التتار من الشرق، وسقوط الأندلس من الغرب، ضاع أكثر التراث العلمي للمسلمين، وقتل العلماء، وأحرقت الكتب، فأوكل الله تعالى حفظ دينه إلى الأزهر الشريف؛ فأصبح هو المأوى والمستقر الذي آبت إليه علوم الدين واللغة، وأصبح هو العاصمة الثقافية للعالم الإسلامي كله، وسيظل كذلك بفضل الله تعالى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

*****

نبذة عن مجد الأزهر الشريف
في تحمل العلوم التجريبية وغيرها

الأزهر الشريف جامعة علمية عريقة، تعمل على سدِّ حاجات المجتمع كله، ولم ينعزل الأزهر الشريف منذ نشأته عن حياة الناس؛ فكان هو الجامع والجامعة والذي عليه أن يكفل للمسلم كل ما يحتاجه من الثروة العلمية، والحياة المدنية الراقية، فلم يكن الأزهري مفسرًا، أو محدثًا، أو لغويًا، أو غير ذلك من العلوم الشرعية والعربية فحسب، بل وجدناه قائد حضارة عريقة تولَّدت عنده عندما نظر إلى المجد العالي الذي صنعه أسلافه، والمتأمل في الشرع الشريف يجد أنه يتفاعل مع الحضارات الأخرى، ويعلمنا أن ننتفع بما عندهم إن كان نافعًا، والذي تأملته في تاريخ علماء الأزهر الشريف أنهم كانوا صانعي حضارة في كل مجالات الحياة، حتى قال العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون -رحمه الله تعالى- عن غناء مصر علميًّا: «ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر، لما أنَّ عمرانها مستبحر، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعليم العلم»[1].

وابن خلدون -رحمه الله تعالى- في هذا النص لا يخبر عن العلوم الشرعية فقط، بل إنَّ حديثه هنا ليترامى إلى ما يشمل علوم الدين والدنيا، فقد ذكر في نصه السابق (العمران والحضارة)، مما يوحي بتلك الفنون، وأنها كانت في المصريين بدرجة كبيرة لافتة للنظر دون غيرهم من أهل الأرض.

---

(١) «مقدمة ابن خلدون»: (ص٥٢٤).

وسيظهر لك الآن أنَّ كلامه عن علماء مصر إذا انطبق على أحدٍ من أهل مصر؛ فإنه لا ينطبق بالدرجة الأولى إلَّا على علماء الأزهر الشريف، الذين ورثوا هذه العلوم عن آباءهم كابرًا عن كابر، وجعلوها علومًا شرعية لا تنفك عن دراسة علوم الشريعة الإسلامية، حتى كتبوا في زماننا كتبًا كان مرادهم منها توجيه العلوم كلها نحو الإسلام، وكيفية التعامل معها في العصر الحديث. وهذا المنهج هو منهج الأزهر الشريف الذي تربى عليه أئمته فقادوا الدنيا كلها فكان الواحد منهم يجمع بين جنباته دائرة العلوم الشرعية مُلمًّا بكثير من العلوم التجريبية التطبيقية حتى كُتبت عدة مؤلفات تعمل على مزج العلوم كلها في بوتقة محددة، مع النظر في المشكلات التي تعوق ذلك ومواجهتها، وبرز ذلك في كتابات الأزهريين، ومن ذلك:

- كتب العلَّامة الدكتور السيد رزق الطويل، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر الشريف بحثًا بعنوان: «معوقات توجيه العلوم توجيهًا إسلاميًّا: أسبابها وطرق علاجها».

- وكتب الأستاذ الدكتور خمساوي أحمد خمساوي الأستاذ بكلية الزراعة، جامعة الأزهر الشريف: «الفكر الموسوعي والتوجيه الإسلامي للعلوم الحضارية المدنية»، وهذا نموذج لمزج العلوم التجريبية بعلوم الشريعة عند علماء الأزهر الشريف، كما كان هو العهد عند أئمة الإسلام السابقين الذين تكلموا في أوجه إعجاز القرآن الكريم. ولو أنك قلَّبت طرفك في علماء الأزهر الشريف منذ عدة قرون لرأيت العجب العجاب، فخذ مثلًا على سبيل المثال لا الحصر:

- العلَّامة علي بن عبد القادر النبتيتي الحنفي الأزهري، المتوفى سنة ١٦٥٠م، والذي كان آية من آيات الله الكبرى في جملة من العلوم الشرعية والتجريبية، فهو الفقيه، النحوي، العالم بالفرائض، والحساب، والميقات، والأوفاق، والأدب، والنحو،

والعروض، وهو الذي وليَ التوقيت في الجامع الأزهر الشريف، ومن مؤلفاته: «مطالع السعادة الأبدية في وضع الآفاق والخواص الحرفية والعددية»[1].

- وكان للعلَّامة أحمد الشرقي السفاقسي الأزهري، المتوفى سنة ١٦٨٢م، توسع في تلك العلوم، فكان -رحمه الله تعالى- ممن ولي التدريس بالجامع الأزهر الشريف في زمانه، وله رسالة مسماة بـ«الدرر الفاخرة في العمل بربع المقنطرات، في جميع الأقطار والجهات»[2].

- وكان للعلَّامة الكبير محمد المنفلوطي، الشافعي، الشاذلي، الأزهري، المتوفى سنة ١٧٥٠م «الدرر البهية بحل ألفاظ السخاوية» في الحساب[3].

- وكان لشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الحفني[4] المتوفى سنة ١١٨١هـ، ١٧٦٧م «حاشية على السبط في الجبر والمقابلة».

---

(١) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٦/١٢٦)، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين»: (١/٢٤٣).

(٣) المرجع السابق: (١٠/٧٤).

(٤) هو شيخ الإسلام: محمد الحفني بن سالم بن أحمد الشافعي المصري، الشهير بالحفني، الشيخ العالم المحقق المدقق العارف بالله تعالى، قطب وقته، أبو المكارم نجم الدين، ولد بـ(حفنة) قرية من قرى مصر قريب بلبيس سنة إحدى ومائة وألف، ودخل الأزهر واشتغل بالعلم على من به من الفضلاء، كمحمد بن عبد الله السجلماسي، وعيد بن علي النمرسي، ومصطفى بن أحمد العزيزي، والشمس محمد بن إبراهيم الزيادي الملقب بعبد العزيز، وعلي بن مصطفى السيواسي الحنفي الضرير، والجمال عبد الله الشبراوي، والشهابين أحمد الملوي وأحمد الجوهري، والسيد محمد بن محمد البليدي، والشمس محمد بن محمد البديري الدمياطي، وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكري وتربى على يديه، وألَّف التآليف النافعة، منها: حاشية على شرح الهمزية لابن حجر، وحاشية على شرح رسالة الوضع، وحاشية على حاشية الحفيد على المختصر، وحاشية على شرح الرحبية للشنشوري، وغالب حواشي أخيه الجمال يوسف مأخوذة منه، وكان يدرس أولًا بالسنانية وبالوراقين، ثم في الطبرسية داخل باب الجامع، ثم لما توفي الجمال عبد الله الشبراوي نقل التدريس إلى محله داخلِ الجامعِ، وكان يحضر درسه أكثر من خمسمائة طالب، وكان حسن التقرير ذا فصاحة وبيان، شهمًا، مهابًا، محققًا، مدققًا، يهرع إليه الناس جميعًا، واشتهرت طريقة الخلوتية عنه في مشرق الأرض ومغربها في حياته، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، رحمه الله تعالى. راجع «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»: (٤/٥٠).

- وكان لشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد بن عبد المُنْعم بن صيام الدمنهوري[1] المتوفى ١٧٧٨م، توسع عجيب في علوم الشريعة، وكذا العلوم التجريبية، حتى قال عنه الدكتور بيار دودج: «أقبل على دراسة علوم الحيوان، والنبات، والمعادن، إلى جانب بعض الدراسات العلميَّة، كتخزين المياة في الآبار، وأعراض المرض، ومسبباته، ومداواة لدغة العقرب، وعلاج البواسير، وغير ذلك من وسائل العلاج الطبية»[2].

وظهر ذلك مما كتبه -رحمه الله تعالى- في عدة رسائل غاية في النفاسة، منها:

- رسالة عن الحياة في استنباط المياة (جيولوجيا).
- القول الصريح في علم التشريح (طب).
- العلاج اليسير في علاج المقعدة والبواسير (طب).
- عقد الفرائد فيما للمثلث من الفوائد (هندسة).
- الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة (كيمياء).

إلى غير ذلك من علوم الشريعة، فقد كان الشيخ -رحمه الله تعالى- يُلقَّب بالمذاهبيِّ؛ لأنَّه جمع المذاهب الأربعة وأتقنها، وبرع فيها، وكتب في القراءات، والحديث، والتفسير، والتصوف، واللغة، والبلاغة، إلى غير ذلك من علوم الشريعة.

- ثم كان للعلَّامة الكبير شيخ الإسلام وشيخ الأزهر محمد بن الحسن بن محمد ابن أحمد السمنودي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١١١٩هـ، ١٧٨٥م، الفقيه

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري، شيخ الجامع الأزهر، وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف في الفقه وغيره، كان يعرف بالمذاهبي لعلمه بالمذاهب الأربعة، ولد في دمنهور، وتعلم بالأزهر، وولي مشيخته، وكان قوالًا للحق، هابته الأمراء وقصدته الملوك. راجع «الأعلام» للزركلي: (١/ ٦٤).

(٢) «الأزهر في ألف عام» لبيار دودج: (ص ٩٤).

المحدث المقرئ منظومة في علم الفلك[1].

- ثم كان للشيخ علي الطحان الأزهري المتوفى سنة ١٢٠٧هـ، ١٧٩٣م، منظومتان لاميتان في الطب، كبرى وصغرى[2].

- وكتب المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي الأزهري المتوفى سنة ١٢٣٧هـ، ١٨٢٢م؛ كتابًا قيِّمًا في علم الفلك، سمَّاه: «دستور تقويم الكواكب السبعة»[3].

---

(١) هو شيخ الإسلام: ابن الحسن بن محمد بن أحمد السمنودي الشافعي الأحمدي ثم الخلوتي المصري الشهير بالمنير، الشيخ الإمام المحدث المقري الصوفي العارف بالله، ولد بسمنود سنة تسع وتسعين وألف، وقدم الأزهر وعمره نحو عشرين سنة بعد أن حفظ القرآن العظيم وجمع للسبع والعشر، ونظم المنظومة في قراءة ورش، وجاور بالأزهر، وأخذ عن جملة من العلماء، منهم: الشمس محمد السجيني، وعلي أبو الصفا الشنواني، والشمس محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، وأجازه أبو حامد محمد البديري الدمياطي، والقطب السيد مصطفى البكري الدمشقي، والشمس محمد بن أحمد عقيلة المكي، والنجم محمد بن سالم الحفني، وعليه انتفع وبه اشتهر، وأخذ الناس عنه الحديث، والقراءات، والفقه، طبقة بعد طبقة، وألف مؤلفات نافعة، منها: «شرح الطيبة» وهو من أجل تآليفه، و«شرح الدرة» ومنظومة في طريقة ورش وشرحها، ورسالة في رواية حفص، ورسالة في أصول القرآن، وله في التصوف «تحفة السالكين» و«الآداب السنيه لمريد سلوك طريق السادة الخلوتية» وهو شرح على منظومة له في ذلك، ومنظومة في علم الفلك وشرحها، ورسالة في مساحة القلتين، ورسالة في تصريف اسمه تعالى اللطيف، وله شرحان على البسملة، سَمَّى الأول: «إلهام العزيز الكريم فيما في خبايا معان بسم الله الرحمن الرحيم» تكلم فيها على الأسرار الواقعة في البسملة، والثاني تكلم فيه على البسملة من حيث ما يتعلق بألفاظها، وله شعر رائق يتعلق غالبه بالحقائق، وصار شيخ الأزهر، وهو أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية، وكانت وفاته عقب صلاة الجمعة حادي عشر رجب سنة تسع وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة المجاورين -رحمه الله تعالى- رحمة واسعة، ورحم من مات من أموات المسلمين أجمعين آمين . راجع: «سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر»: (١٢٢/٤)، «معجم المؤلفين»: (٢١٢/٩).

(٢) علي الطحان الأزهري، المصري، فقيه، أصولي، ناظم، مشارك في بعض العلوم، من آثاره: منظومات في الفقه، والمنطق، والتوحيد، والعروض، والبيان، والطب، لاميتان كبرى وصغرى، وحاشية على شرح الملوي على السمرقندية . «معجم المؤلفين»: (١١٢/٧).

(٣) عبد الرحمن بن الحسن بن إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي الزيلعي، العقيلي، المصري، الحنفي، مؤرخ مشارك في بعض العلوم. ولد بالقاهرة، وتعلم بالجامع الأزهر، وجعله نابليون حين احتلاله مصر من كتبة الديوان، وولي إفتاء الحنفية في عهد الخديو محمد علي الكبير، وتوفي مخنوقًا بطريق (شبرا) في رمضان. من مؤلفاته: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» في أربعة أجزاء ويعرف بتاريخ الجبرتي، و«مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس»، و«دستور تقويم الكواكب السبعة»، و«مختصر تذكرة داود الأنطاكي».
راجع «معجم المؤلفين»: (١٣٣/٥).

- وللعلَّامة الشيخ مصطفى البولاقي المالكي الأزهري المتوفى ١٨٤٧م، رسائل في الجبر والمقابلة وحساب المثلثات(١).

- وللعلَّامة رفاعة بن رافع الطهطاوي الأزهري، المتوفى ١٨٧٣م، والذي كان أحد أركان النهضة العلمية في مصر، كما قال عنه الزركلي، والذي درَّس اللغات واهتم بها، حتى قال عمر طوسون: وهو مؤسس مدرسة الألسن وناظرها، وأحد أركان النهضة العلمية العربية، بل إمامها في مصر، وكتب عن العادات والتقاليد، والتاريخ، ومن مؤلفاته في العلوم المختلفة، كتابه القيم المسمى بـ«مبادئ الهندسة» وله كتاب بعنوان: «التعريفات الشافية لمريد الجغرافية» وله «جغرافية ملطبرون» وله «جغرافية بلاد الشام» إلى غير ذلك من مؤلفاته(٢).

- وللعلَّامة إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقي الأزهري المتوفى سنة ١٨٨٣م «حسن البراعة في علم الزراعة» وله «الحجج البينات في علم الحيوانات»(٣).

- وللعلَّامة الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري المتوفى سنة ١٨٨٩م رسالة في رسم المربع المقنطر لعرض دمشق(٤).

---

(١) هو العلامة الشيخ: مصطفى بن رمضان بن عبد الكريم بن سليمان بن رجب البرلسي، المصري، المالكي، الشهير بالبولاقي (أبو يحيى) فقيه مشارك في بعض العلوم، أصله من البرلس من غربية مصر، وولد في بولاق بالقاهرة، وتصدر للإفتاء والتدريس بالأزهر واستمر إلى أن توفي ببولاق. من تصانيفه: «الخطب السنية للجمع الحسينية»، «المنهل السيال لمن أراد شرب الزلال»، «السيف اليماني لمن قال في حل سماع الآلات والأغاني»، رسائل في الجبر والمقابلة وحساب المثلثات، و«الحصن والجنة على عقيدة أهل السنة». راجع «معجم المؤلفين»: (٢٥٢/١٢).

(٢) راجع ترجمته في «الأعلام» للزركلي: (٣/٥٥-٥٦).

(٣) «معجم المؤلفين» (٤٨/١).

(٤) المرجع السابق (٣٧/٢).

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر الشيخ شمس الدين الأنبابي(١) المتوفى سنة ١٣١٣هـ، ١٨٩٦م رسالة في مداوات مرض الطاعون.

وقد انفتح علماء الأزهر الشريف على العالم، وعملوا على وصول دعوتهم إلى العالمين؛ ومنهم شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعي الأزهري المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، ١٨٣٤م، فقد عالج علوم الجغرافيا معالجة جيدة، وكانت له تعليقات على كتب الطب، بل وكانت له منظومات، ودرس في علم التشريح، وأتقن الرصد للنجوم، وغير ذلك من العلوم المختلفة، وكان مما كتبه في ذلك رسالة في كيفية العمل بالأسطرلاب، والربعين المقنطر والمجيب، والبسائط(٢).

- وكان من شيوخه العلامة الكبير الذي قال عنه عبد الرحمن الجبرتي في تاريخ من مات سنة ١٢٣٠هـ: «ومات في هذه السنة العلامة الأوحد والفهامة الأمجد المنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم بغية الفصحاء والفضلاء المتقدمين، والمتميز عن المتأخرين: الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي» والذي قد تلقى علومًا عديدة، وبرع فيها براعة تثير العجب، فدرس علم الحكمة، والهيئة، والهندسة، وفن التوقيت، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر الشريف، حتى رثاه شيخ الإسلام حسن العطار بقصيدة توحي بقدر الشيخ -رحمه الله تعالى- قال فيها:

---

(١) هو شيخ الإسلام محمد بن محمد بن حسين الأنبابي، الشافعي، شمس الدين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بالقاهرة، وتلقى جميع العلوم المتداولة في عصره بالأزهر ودرس فيه، وعين أمينًا لفتوى مشيخة الأزهر، فشيخًا للأزهر مرتين، وتوفي بالقاهرة في ٢١ شوال. من تصانيفه الكثيرة: حاشية على شرح أحمد الدردير على رسالته في البيان، وسماها: «تحفة الإخوان»، حاشية على شرح القطر لابن هشام في النحو، تقرير على مقدمة القسطلاني في شرحه على الجامع الصحيح للبخاري، ورسالة في رياضة الأطفال وتأديبهم، وتقرير على حاشية محمد الأمير على شرح أحمد الملوي على السمرقندية لأبي الليث في البلاغة. «معجم المؤلفين»: (٢٠٩/١١).

(٢) المرجع السابق: (٢٨٥/٣).

يمينًا لقد جلَّ المصاب بشيخنـــا * الدسوقي وعاد القلب بالهمِّ مُترعا

وشابت قلوب لا تفارق عندمـا * تنكرت الأسماع صوت الذي نعا

فللناس عذرٌ في البكاء وللأسى * عليه وأما في السواء فتجزعـــا

وكيف وقد ماتت علــومٌ بفقده * لقد كان فيها جهبذيًّا سميدعا[1]*

- وكتب العلَّامة الفلكي الكبير حسين زايد الأزهري المتوفى ١٨٨٧م «المطلع السعيد في حسابات الكواكب على الرصد الجديد» وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ.

- وكان للشيخ محمد الظواهري -أخي الشيخ محمد الأحمدي الظواهري[2] شيخ الأزهر والمتوفى سنة ١٩٤٦م- رسالةٌ في علم الوضع.

- وكان شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، العلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق[3]، المتوفى سنة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م، يتقن اللغة الفرنسية، حتى كانت له

(١) راجع ترجمته في «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن الجبرتي (٧/٣٢٣-٣٢٤) باختصار شديد وتصرف، تحقيق وشرح الأساتذة: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، والسيد إبراهيم سالم، ط الأولى. لجنة البيان العربي ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م.

* ومراده بالجهبذي: النقاد الخبير، والسميدع: السيد الكريم الشريف السخي.

(٢) هو شيخ الإسلام محمد الأحمدي بن إبراهيم الظواهري، فقيه شافعيٌّ مصري، ولد في قرية (كفر الظواهري) بشرقية مصر، وتعلم في الأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد عبده وآخرين. وولي مشيخة الجامع الأحمدي في (طنطا) بعد أبيه، ونقل إلى (أسيوط) فكان شيخًا لمعهدها مدة، ولما انتهى ما كان يسمى (الخلافة العثمانية) في بلاد الترك (سنة ١٩٢٠) وعقد (مؤتمر الخلافة) في القاهرة سنة ١٩٢٦م وكان الشيخ الظواهري جريئا في اقتراح انفضاضه على غير قرار لأنه لم يتكامل فيه تمثيل الأمم الإسلامية. فانفض. ثم كان رئيسًا للوفد المصري في مؤتمر مكة (سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م)، وقويت صلته بملك مصر في ذلك العهد، فعين شيخًا للأزهر سنة ١٩٢٩م، واستقال سنة ١٩٣٥م، وفي عهده أصدر الأزهر مجلة «نور الإسلام»، وتحول الأزهر إلى جامعة على نظام حديث وتوفي بالقاهرة، وكان خطيبًا، فيه نزعة صوفية شاذلية. له كتاب «العلم والعلماء» في نظام التعليم، وضعه حين بدأ دعوته إلى إصلاح الأزهر، و«رسالة في الأخلاق». وجمع ابنه فخر الدين الأحمدي بعض أخباره ومذكراته في كتاب سماه: «السياسة والأزهر» وفيه أن الشيخ (محمد عبده) قال للظواهري: إن أباك سماك (الأحمدي) نسبة إلى السيد أحمد البدوي. «الأعلام» للزركلي: (٦/٢٦).

(٣) هو شيخ الإسلام مصطفى بن حسن بن أحمد عَبْد الرازق، كان وزيرًا للأوقاف، ثم شيخًا للأزهر، من=

مؤلفات عديدة باللُّغة الفرنسية، وقد ترجم «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده، وغيرها من الكتب.

– وكان شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ إبراهيم حمروش، المتوفى سنة ١٩٦٠م، بارعًا في العلوم الرياضية، وكان يتولى تدريسها في المعاهد الأزهرية.

– وكان شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمد الخضر حسين، متقنًا للُّغة الألمانية بطلاقة، وقد كتب في فنون متعددة.

– وكان شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ عبد الرحمن تاج، متقنًا للُّغة الفرنسية، وقرَّر وقتها دراسة اللغات الأجنبية في جميع مراحل التعليم، بدءًا من المعاهد والكليات والدراسات العليا.

=أسرة (عبد الرازق) المعروفة في (أبي جرج) من قرى (المنيا) بمصر. ولد بها، وتخرج بالأزهر، وتتلمذ للشيخ محمد عبده، وأكمل دراسته في (باريس) و(ليون)، وانتدب لتدريس مباحث إسلامية في (ليون)، فوضع رسالة عن (الإمام الشافعي)، وعاد إلى القاهرة سنة ١٩١٦م، فعين سكرتيراً عامًا لمجلس الأزهر، فمفتشا بالمحاكم الشرعية، فأستاذًا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب. وأسندت إليه وزارة الأوقاف (سنة ١٩٣٨م) ثم عين شيخًا للجامع الأزهر (سنة ١٩٤٥م) واستمر إلى أن توفي بالقاهرة، وكان هادئ الطبع، يتمهل في تفكيره قبل أن يتكلم أو يكتب، وقورًا، مع التواضع، يستجم لبعض أنسه ولا يتبذل، نقي الأسلوب في بيانه، نير الفكر محاضراً وكاتبًا، يحاسب نفسه على الكلمة، قال الدكتور طه حسين: «كان مصطفى أديبًا مقلًّا، وعالمًا مقلًّا، ورب قليل خير من كثير»، ومن كتبه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية»، و«فيلسوف العرب والمعلم الثاني» في سيرة الكندي والفارابي، و«الدين والوحي والإسلام» و«البهاء زهير» في ترجمته وشعره، و«محمد عبده» سيرته، و«مذكرات مسافر» و«مذكرات مقيم» نشرهما في الصحف تباعًا، وساعد برنار ميشيل في ترجمة «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية، وفي وضع كتاب بالفرنسية عن (محمد عبده) . وله كتب لم تنشر، منها كتاب في (المنطق) وكتاب في (التصوف) و «فصول في الأدب» تقع في مجلدين كبيرين، و «مذكراته اليومية» مهيأة للطبع، نشر شيئًا منها في بعض الصحف بتوقيع (الشيخ الفزاري)، وكان من أعضاء المجمعين: العلمي العربي، والعلمي المصري. انظر كتاب «الفيلسوف الكامل والشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق وأثره في الفكر الإسلامي الحديث» للدكتور عصمت نصار، طبع في أوائل «الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق»، طبعة دار الهداية بالقاهرة.

- وكان شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمد الفحام المتوفى سنة ١٩٨٠م، متقناً للّغة الفرنسية، ونال دبلوم مدرسة (الأليانس) في باريس، كما نال دبلوم اللغات الشرقية الحية في الأدب العربي، ونال في نفس العام دبلوم اللهجات اللبنانية والسورية؛ ودبلوم التأهيل لتعليم اللّغة الفرنسية، نال كل ذلك من جامعة (يورو) بكلية الآداب، وكان -رحمه الله تعالى- ممثلًا للأزهر الشريف في باكستان، والهند، وموريتانيا، واليابان، وليبيا، والجزائر، وإيران، وما من بلدٍ نزل بها إلَّا وأحبه أهلها حبًّا جمًّا، حتى إن أهل موريتانيا كانوا يلقبون الشيخ -رحمه الله تعالى- بموريتاني.

- وفي زماننا سماحة مفتي الديار المصرية السابق، الشيخ علي جمعة، فإنه مشتغل بعلوم الشريعة الإسلامية، من فقه، وأصول، وهو مجال تخصصه الدقيق، وفي نفس الوقت جلس لإقراء الكتب الستة، في الجامع الأزهر الشريف، وله دروس في التفسير، ودرَّس في علم التصوف والسلوك، وله فيه باعٌ طويل، وهو مِنْ أتقن مَنْ رأيتُ في علوم العربية، وفي الوقت ذاته، دَرَس أسس علم الاقتصاد الإسلامي والغربي، وعلم المحاسبة، والقانون الوضعي، وعلم الإدارة، وعلم الرياضيات، وغيرها، حتى ذكر العلَّامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري، في ترجمته ما نصه: «وقد ذكر لنا مرة أنه سأل العلَّامة الشيخ محمد خاطر، مفتي الديار المصرية سابقًا، عن المقادير المذكورة في كتب الفقه، وخصوصًا: (الدرهم والدينار) وما أشبه، فقال الشيخ: لا أدري، ولكن سَل الصاغة، فإنَّ عندهم خبرة بالموازين والمقاييس، قال شيخنا: فسألتُ الصاغة فلم يعرفوا، فانتبهت من يومها إلى أمر مهمٍّ جدًّا، وهو أنَّ كل مسألة شرعيةٍ يتوقف فهمها على أصلٍ في علم آخر، أذهب لأدرسها في ذلك العلم أولًا، ثم أرجع لقراءتها في كتب العلم الشرعيِّ، قال شيخنا: فبناءً على ذلك دَرَسْتُ الكيمياء، وَدَرَسْتُ الرياضيات، وفهمت فلسفة المعادلات، وَدَرَسْتُ في

الفلك، والموسيقى، وَدَرَسْتُ علوم الإدارة، وَدَرَسْتُ القانون... وغير ذلك كثير»[1].

وكذلك شيخُنا العلامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري الذي كلما كلمناه في باب من العلم وجدناه بحرًا فيه، وكأنه من تخصصه الدقيق؛ في الحديث الشريف وعلومه، أو الفقه وأصوله، أو القرآن وعلومه، أو اللغة ومتعلقاتها، وكان يتولى تدريس الحديث وعلومه، وكان له درس في أصول الفقه، وكتب مقدمة رائعة في (أصول التفسير)، وبجانب هذا جلس مرة في الجامع الأزهر الشريف يحدثنا عن الأدب الفرنسي والإنجليزي وأنه طريق التعرف على حضارة الأمم وعقائدها، ويوصينا بأن نقرأ لأدباء من الغرب، وسافر بلدان العالم واطلع على ثقافاته، فحصَّل بذلك خيراً وعلمًا كثيراً؛ وغيرهما من علماء الأزهر الشريف ممن طافوا المشارق والمغارب.

*****

(١) راجع ترجمته الرائعة لشيخنا في «أسانيد المصريين»: (٥٣٩: ٥٥٧) ط. دار الفقيه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

علماء الأزهر الشريف لم يتنكبوا تاريخ أسلافهم

يظن كثير من الناس أنَّ دور الأزهر الشريف انتهى في الفترة المتأخرة، وأنَّ وجوده لا وجود، وأنه تقاعس عن دوره في نشر الدعوة الإسلامية، وتخريج رموزٍ تحمل همَّ الدين.

وأنا أقول: قد أوافقكم بأنَّ الأزهر الشريف ربما اعتراه بعض الضعف في الفترة المتأخرة، ولكنني أجزم جزمًا أكيدًا أنَّ دور الأزهر الشريف كان ولا يزال فعَّالًا في المجتمع إلى درجةٍ كبيرة، وكما ضَعُفَ بعض الطلبة الذين تخرَّجوا، واعتلى بعضهم رتبة الإمامة، وبعضهم التدريس، فإنَّ لدينا بفضل الله تعالى نماذج أزهرية ما يضاهيها أحدٌ من المتصدرين للدعوة والتدريس، وفي الوقت ذاته مارس كثير من علماء الأزهر الشريف الدعوة في مصر وخارج مصر، ولو تأملت مقدار البعثات العلمية التي يرسلها الأزهر الشريف، ووزارة الأوقاف إلى دول العالم لأدركْتَ دور الأزهر الشريف وفاعليته، وتأثيره على ثقافة العالم، ومدى تأثر الناس به، مع الأخذ في الاعتبار أنَّ هؤلاء على درجة عالية من الكفاءة والخبرة، وإن شئت أن تقرأ عن ثمرة الجهود الأزهرية في الدعوة إلى الله تعالى، وتعلمَ قدرَ الأزهر الشريف، فاقرأ ما كتبه الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في رسالة علمية رائعة تحدث فيها عن «دور الأزهر الشريف في القرن العشرين» وهي بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة، برقم (٣٤٤١)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد طلعت أبي صير، واقرأ «الدعوة الإسلامية في شرق آسيا .. عوامل انتشارها والتحديات التي تواجهها» (رسالة دكتوراه) بأصول الدين بالقاهرة برقم (٢٧٢٥) سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م للدكتور عبد الرحمن محمد النجار،

وقد كان رئيسًا لبعثة الأزهر الشريف ومديرًا للمركز الإسلامي في (دار السلام) عاصمة (تنزانيا)، ثم طالع بشهود العيان كيف حال الأزهريين في دول العالم، وكيف تعامل الناس معهم، حتى إنه يحكي أنه لما أنشأ معهدًا هناك على نمط الأزهر الشريف في (مقديشيو) سنة ١٩٦١م، وكان الامتحان والأسئلة عن طريق الأزهر الشريف، وأُرسلت أوراق الإجابات إلى الأزهر الشريف، واعتمدها شيخ الأزهر الشريف بنفسه، ثم هو يصور حال الناجحين الذين تسلموا شهادة نجاحهم وعليها توقيع شيخ الأزهر الشريف، فيقول: «وشهدت أكثر من منظر مؤثر للطلاب الذين تسلموا شهاداتهم وعليها توقيع شيخ الإسلام، لقد اعتبروها وثيقة مقدسة، وعملوا لها براويز وعلقوها في بيوتهم، وبعضهم طاف بها في الشوارع في مواكب دينية يُنشد فيها الأناشيد المختلفة»[1].

بل إنه يصور حب العالم لرجال الأزهر الشريف فعندما زار إحدى المناطق هناك لمح أمرًا عجيبًا وموقفًا مؤثرًا، ينبئك عن حب العالم وشوقه إلى الأزهر الشريف ورجاله، ومدى سعادتهم الغامرة برجال الأزهر، فيقول: «وجلست مع الأهالي فترة من الزمن، ولما حان موعد الانصراف وركبت السيارة، وابتدأت تتحرك رأيت رجلًا مُسنًّا يتوكأ على عصا، وأقبل من بعيد مهرولًا تتعثر خطاه، وهو قادم ويشير إلى السيارة، فتوقفت لأرى حال هذا الرجل الشيخ، وجاء وقال: لقد سمعت أن أحد مشايخ الأزهر جاء إلى منطقتنا فسارعت لأراه، وأخذ يضع يده على ملابسي الأزهرية كمن يتبرك بها ويقول: الحمد لله الذي أطال في عمري حتى رأيت شيخًا من شيوخ الأزهر»[2].

---

(١) «الدعوة الإسلامية في شرق آسيا .. عوامل انتشارها والتحديات التي تواجهها» (دكتوراه) بأصول الدين بالقاهرة برقم: (٢٧٢٥) سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م. ؛ للدكتور عبد الرحمن محمد النجار، ص ١٢٤- ١٢٥.

(٢) المرجع السابق: (ص ٢٤٥).

هكذا ينظر العالم إلى الأزهر، وهكذا ينظر المصريون له، فكثير من المصريين لا يدركون قدر الأزهر في بلادهم، وقد تقدم أنه إن كانت الكعبة قبلة المسلمين في الصلاة فالأزهر الشريف قبلة المسلمين في العلم، فقل هذا للذين لا يدركون ما أمدَّ به الأزهر دول العالم كله؛ ومن أراد الوقوف على دور الأزهر الشريف على مدار التاريخ إلى عصرنا الحاضر فليراجع مثلًا: «الأزهر وأثره في النهضة الأدبية»[1] و«الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا»[2]، (الأزهر أثر وثقافة)[3] و«دور الأزهر السياسي في مصر إبَّان الحكم العثماني»[4]، و«دور الأزهر في السودان»[5] وغير ذلك كثير.

فكما قام الأزهر الشريف في تاريخه القديم بصيانة الشرع الشريف، وانفتح على العالم كله، كان هو الحاصل في العصر الحاضر، فهم أكثر شعوب الأرض محافظة على القرآن الكريم، والسنة النبوية، لا كما يدَّعي البعض بُعدهم وانحرافهم عن أمجاد سلف هذه الأمة المعصومة المرحومة. فرأينا أنَّ الأزهريين هم **سادة قُرَّاء الدنيا**، الذين علَّموا الدنيا كلها كيف تكون قراءة القرآن الكريم، فهم أكابر علماء الدنيا وخاصة في العصور المتأخرة:

-فمن ذا الذي يجابه العلامة المقرئ الكبير، عبد الرحمن الأجهوري، المالكي، الأزهري، المتوفى ١١٩٨هـ، ١٧٨٤م وكان -رحمه الله تعالى- ممن ولِيَ التدريس في الجامع الأزهر الشريف، وهو صاحب الأسانيد العالية في القراءات وصاحب كتاب

(١) لمؤلفه: محمد كامل الفقي، ط: المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف.

(٢) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.

(٣) من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/وزارة الأوقاف.

(٤) مطبوع بمكتبة وهبة.

(٥) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

«الملتاذ في الأربعة الشواذ»[1].

– ومن ذا الذي يجابه خاتمة المحققين، وعُمْدَة الفضلاء المدققين، العلَّامة الأزهري محمد بن أحمد بن عبد الله الضرير، الشهير بمتولي، المتوفى ١٣١٣هـ؟ وكان -رحمه الله تعالى- شيخ المقارئ المصرية في زمانه، وكان عالمًا مُحقِّقًا، متبحِّرًا في علوم القرآن الكريم، واسع الحفظ والاطلاع، وقد قاربت مؤلفاته أربعين مؤلفًا، منها: «الوجوه المسفرة في إتمام القراءات الثلاثة المتممة للعشرة» وله «تحقيق البيان في عد آي القرآن» وله منظومات في الفواصل والرسم وغير ذلك.

– ومن ذا الذي يجابه آية الدهر، ووحيد العصر، العلَّامة الكبير الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي الأزهري، المتوفى ١٤٠٣هـ، صاحب المؤلفات والتصانيف النافعة؟

– ومن ذا الذي يجابه شيخ المقرئين على الإطلاق الشيخ محمود خليل الحصري المتوفى سنة ١٩٨٠م؟ والذي كان آية من آيات الله تعالى الكبرى، التي حفظ الله تعالى بها القرآن الكريم، وكان الشيخ -رحمه الله تعالى- أول من سجل المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم، ثم برواية ورش عن نافع، ثم برواية قالون والبزي، وسجل المصحف المعلم، وقرأ القرآن الكريم في آسيا، وأفريقيا، وأوربا، وأمريكا، وكثير من الدول العربية والإسلامية، وأسلم على يديه خلق كثير.

– ومن ذا الذي يجابه العلَّامة المرحوم، شيخ المقارئ المصرية، الشيخ علي محمد الضبَّاع -رحمه الله تعالى-؟

(١) «معجم المؤلفين»: (١٣٥/٥).

- ومن ذا الذي يجابه العلَّامة الأزهري الشيخ، أحمد بن عبد العزيز الزيَّات المتوفى ١٤٢٤هـ، -رحمه الله تعالى-؟

- ومن ذا الذي يجابه العلَّامة الشيخ، عامر السيد عثمان، المتوفى ١٩٨٨م -رحمه الله تعالى- شيخ المقارئ المصرية؟

- والعلامة المقرئ المجود الشيخ محمد رفعت المتوفى سنة ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، والذي قال عنه الزركلي في «الأعلام»: «أشهر القراء في العصر الأخير، وأعلم قراء مصر بمواضع (الوقف) من الآيات... وامتاز بإبداع في الترتيل وإتقان للتجويد، في صوت عذب ينفذ إلى القلوب وتطمئن إليه النفوس. سجلت إذاعتا مصر ولندن بعض ما كان يتلوه»[1].

ومن ذا الذي يجابه العلامة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، وكان -رحمه الله- قارئًا لمسجد الإمام الشافعي سنة ١٩٥٢م، ثم لمسجد سيدنا الحسين سنة ١٩٨٥م، وذلك بعد الشيخ محمود علي البنا، وقد طاف المشارق والمغارب، وأسلم على يديه خلق كثير.

وكل هؤلاء وغيرهم لم تخرج أسانيدهم عن علماء الأزهر الشريف، وقلَّ أن تجد إسنادًا من أسانيد القراء إلا وسلسلة أسانيد الأزهريين تملأ الإسناد، وهذا في بلاد العرب والعجم على السواء، وغير هؤلاء ممن لا يحصون عَدًّا، وكلهم تخرَّجوا من الأزهر الشريف، أو درسوا على أئمته كابرًا عن كابر. فقل لي بالله عليك هل قامت جهود في مدرسة علمية على الأرض كلها لتحفظ علينا كتاب الله تعالى بمثل ما قامت جهود علماء الأزهر الشريف؟

---

(١) «الأعلام» للزركلي: (٩١/٧).

وهل هناك مدرسة علمية خرَّجت لنا من يوازي هؤلاء في أزمانهم أو بعد أزمانهم؟ فالأزهريون هم أول من عملوا على حفظ كتاب الله تعالى ونشره وتعليمه بين الخلق، وطافوا به البلدان والأقطار، وما من واحدٍ منهم إلا وتخرَّج في الأزهر الشريف، وقرأ على يديه خلق كثير من مصر وخارجها، وسلسلة أسانيدهم في القراءات منتشرة في جميع بلدان العالم العربي وغير العربي على السواء.

وفي جانب العقيدة الإسلامية: تجد أنهم الذين حموا عقيدة أهل السنة والجماعة من انحرافات المضللين، وجهل الجاهلين، فدرَّسوا الكتب المعتمدة للمتكلمين والتي أطبقت عليها المدارس العلمية في المشارق والمغارب، ودرسوا موقف الفلاسفة الغربيين، وكيف ينظرون إلى الإله، وموقفهم من عقائد المسلمين، واهتم الأزهريون بتراث أئمة وفلاسفة المسلمين، أمثال حجة الإسلام الغزالي، وإمام الحرمين الجويني، وعضد الدين الإيجي؛ ليجابهوا بها أصحاب هذه العقائد الفاسدة، ويخاطبون القوم بما يفهمون من الاستدلالات العقلية المجردة التي لا يفهمون غيرها، ثم لأنَّ علم الكلام يعمل على إعمال العقل، وتوسيع الأفق، وتعليم أسس التفكير السليم، وعلم الكلام والفلسفة مع علوم الشريعة لا انفصال بينهما ألبتة، حتى كتب الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية كتابًا قيِّمًا بعنوان «العلاقة بين أصول الفقه والفلسفة والطريق إلى التراث الإسلامي».

ثم إنَّ هناك مسألة في غاية الأهمية تحتم علينا دراسة علم الكلام، والفلسفة، والمنطق، وهي إدراك مراد الأئمة الأكابر من الفقهاء والمحدثين في كتبهم، حتى إنه لا يتهيأ لدارسٍ أن يُلِمَّ بعلوم الفقه، والحديث، وغيرها، من علوم الشرع الشريف، إلَّا وقد تمرَّن على كتب الفلسفة والمنطق وطالعها، حتى كنا ونحن ندرس في الفقه الحنبلي مع شيخنا العلَّامة الشيخ محمد السيد في الجامع الأزهر الشريف وكنا نقرأ

من كتاب «الروض المربع بشرح زاد المستنقع» للعلامة البهوتي، وفي موضع من أول كتاب الطهارة، وقف الشيخ عند قول العلَّامة البهوتي «(كتاب): هو من المصادر السيَّالة، أي: التي توجد شيئًا فشيئًا ...»، فذكر لنا أنَّ عبارة الشيخ هذه تُدِلُّنا على ثمرة علوم الشيخ الواسعة بعلم الكلام. ثم شرع يشرح لنا الجواهر والأعراض، وأن نوع (سيَّالة) هذا إنما هو أحد قسمي الأعراض لدى علماء الكلام، وأن من لم يدرس علم الكلام فلن يدرك مدلولات هؤلاء العلماء في كتبهم، وما خلَّفوه من تراثهم.

ونظيره لسيدي الشيخ أحمد مَعْبِد عبد الكريم -حفظه الله تعالى- في دروس مصطلح الحديث، وشرحه لكتاب «تدريب الراوي» للحافظ السيوطي، كثيراً ما كان يشير إلى ارتباط علم الحديث الشريف بعلم الأصول، وعلم المنطق والكلام، وكان يقول: «الذي لم يدرس أصول الفقه لا تأخذ منه فقه الحديث»، ويبيِّنُ لنا أن هناك عبارات في كلام المتقدمين لا يتسنَّى للدارس فهمها إلَّا بمعرفة المنطق، كقولهم: (عموم وخصوص مطلق) أو (عموم وخصوص وجهي)، ويذكر لنا حضوره مع الشيخ الدكتور حسن الشافعي -حفظه الله تعالى- في دروس المنطق في الجامع الأزهر الشريف. فانظر إلى هذه المعاني الغالية التي بها يكمل المنهج العلمي صحيحًا مستقيمًا كما ينبغي أن يكون، والتي يغفل عنها كثير من المشتغلين بالعلم الشرعي خاصة.

ولعلَّ رفضهم لتلك العلوم مبني على فهم مغلوط، وهو الذي أدَّى ببعضهم أن يرفض كتب التراث كما ظهر عند بعضهم، ممن لم يدرك مراد صاحب الكتاب، كما عند آخرين، ولعلَّ هذا من أهم الأسباب التي حالت بين كثير من المشتغلين بالعلم وبين كتب التراث وعدم فهمها، وهو ما نبَّه عليه شيخنا الدكتور علي جمعة -حفظه الله تعالى- بقضية فقد العلوم الخادمة للفهم، فقال: «فكل عِلْم من هذه

العلوم كان يعتمد على بِنْيةٍ فكرية، هي عبارة عما حصَّله العالِمُ من درسٍ في مختلف العلوم الأخرى، فالذي كَتَبَ في الفقه درَس قبله المنطق، ودرس علم الكلام، ودرس ما كانوا يسمونه بعلم الوضع، ودرس النحو، ودرس البلاغة، ودرس علوم العربية، ودرس الأصول، ودرس علومًا كثيرة أخرى، كوَّنت نسيجه الفكري، وكوَّنت بِنْيته الذهنية، فجلس وهو يتكلم في الفقه يتكلم بهذه الأداة التي تولَّدت عنده في ذهنه من دروسه المختلفة... ولهذا لما كُتِبَ الفقه رأيناه وكأنه مُسْتَبْطِن للمنطق، ومستبْطِن لما عليه علماء الكلام من مفاهيم، ومستبْطِن أيضًا لما عليه علماء الحكمة العالية، وعلماء الأصول»[1].

ثم إنك مع هذا تجد بعض المنتسبين إلى العلم يخوضون في هذا المنهج المستقيم، ويدَّعون أنه لا يسمن ولا يغني من جوع، وأن من تمنطق فقد تزندق، وأنه علم عقيم يبحث في نظريات فلسفية تخالف الشرع الشريف، وأنه لا يربي عقيدة أو سلوك... إلخ !!

وقد كُتبت المؤلفات العديدة في الجمع بين الفلسفة والدين، وأنَّ الفلسفة الإسلامية منهج علمي قديم اعتمده أئمة السلف الصالح، وطبقوا قواعده في مناظراتهم مع الخصوم، وأصحاب العقائد الفاسدة والضالة المنحرفة، وأنهم كانوا يَنْهَوْنَ عنها حتى لا يتقحَّم فيها العوام فتختلط عندهم المفاهيم، وأنها دراسة مقصورة على المشتغلين بالعلم، ومن أهم تلك المؤلفات ما كتبه الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود -رحمه الله تعالى-: «التفكير الفلسفي في الإسلام» وهو مطبوع في مكتبة الإيمان القاهرة.

---

(١) «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية» للدكتور علي جمعة (ص ١٦) ط. دار السلام. الطبعة الثالثة. ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

- وكتب الأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي الأزهري، عميد كلية أصول الدين بالقاهرة، وأستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف كتابًا ماتعًا سماه: «قضية التوفيق بين الدين والفلسفة عند مفكري الإسلام»[1].

ثم إنك تجد علماء الأزهر الشريف لم يهملوا جانب الإيمان العقدي المستقر في القلب، والجانب الروحي البعيد عن الفلسفة، بل عملوا على أن تكون هذه العقيدة متغلغلة في عقلية المسلم ونفسيته، وأن تظهر نتائجها على أخلاقه وسلوكه، بعيدًا عن علم الكلام وأقوال الفلاسفة ومن شاكلهم، فكَتَبَ شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر الشريف، الشيخ أحمد بن عبد المُنْعم بن صيام الدمنهوري -رحمه الله تعالى- في ربطها بالسلوك: «تحفة الملوك في علمي التوحيد والسلوك».

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر الشريف عبد الله الشرقاوي -رحمه الله تعالى-: «العقد الفريد في استنباط العقائد من كلمة التوحيد».

- وكتب العلَّامة الدكتور رؤوف شلبي -رحمه الله تعالى-: «منهج القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية»، وله «العود أحمد إلى النبع الصافي في العقيدة والسلوك».

- وكتب العلَّامة الشيخ عبد الفتاح عبد الله محمد بركة الأزهري، وكان -رحمه الله تعالى- الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف: «العقيدة وبناء الإنسان».

- وكتب العلَّامة الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى-: «ركائز الإيمان»[2]، وله «عقيدة المسلم».

---

(١) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م.

(٢) طبع بمطبعة الشعب، القاهرة

– وللإمام العلَّامة المفسر المجدد الشيخ محمد متولي الشعراوي –رحمه الله تعالى–: «القضاء والقدر» إعداد الدكتور أحمد فراج[1].

– وكتب الأستاذ الدكتور محمد عبد الله عفيفي «عقيدة التوحيد وأثرها في توجيه ضوابط السلوك» بحث منشور في حولية كلية أصول الدين بالمنوفية.

– وكتب الأستاذ الدكتور سامي عفيفي حجازي، أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف «العقيدة والأخلاق في الإسلام»[2] وغير ذلك مما يصعب حصره أو جمعه؛ في ربط العقيدة بالأخلاق والسلوك، فتأمل هذا الحفاظ على تراث الأمة في العقيدة الإسلامية وتجسيدها واقعًا عمليًّا في حياة الناس.

ونظير ذلك في الفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة:

– فوجدنا أئمة السادة الحنفية الكبار ممن ألفوا في المذهب، أمثال شيخ الجامع الأزهر: الشيخ أحمد بن صيام الدمنهوري صاحب كتاب «فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان».

– وكذا شيخ الجامع الأزهر: الشيخ محمد المهدي العباسي صاحب رسالة في التحقيق فيما اشتهر من تلفيق في فقه السادة الحنفية.

– والعلامة الكبير مفتي الديار المصرية في زمانه: عبد القادر الرافعي المعروف بـ(أبي حنيفة الصغير) وهو صاحب «التحرير المختار على الدر المختار» لخاتمة المحققين الإمام الكبير ابن عابدين الحنفي.

(١) وهو مطبوع في دار الشروق.

(٢) طبعته: مكتبة الإيمان، القاهرة.

- وعلى مذهب السادة المالكية وجدنا شيخ الأزهر: الشيخ محمد الخراشي صاحب «فتح الجليل» و«الشرح الكبير» و«الشرح الصغير» وهو مختصر للكبير.

- وعلى مذهب السادة الشافعية كان شيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي صاحب كتاب: «التحفة البهية في طبقات الشافعية».

- ثم كان العلَّامة الكبير أحمد بن أحمد بن يوسف بن عبد اللطيف الحسيني الشافعي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ الذي اعتنى بكتاب «الأم» للإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- وطبعه على نفقته وشرحه، حتى قال العلَّامة المحدث الفقيه أحمد ميقري شميلة الأهدل في كتابه المسمى بـ«سلم المتعلم المحتاج» ونقله العلامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري ونصه: «ثم كتاب «الأم» من أعظم كتب الشافعية، الشرقية والغربية، صنفه إمام المذهب: محمد بن إدريس الشافعي -رضي الله تعالى عنه- جمع فيه أصول المذهب وفروعه، عبادة ومعاملة، مع بيان النصوص القرآنية والحديثية، التي أداها اجتهاده باستنباط الأحكام منها، وكان عزيز الوجود، تسمع به الأمة ولا تراه، إلى أن قيض الله صاحب الهمة الشماء، علامة دهره في عصره، سعادة صفي الدين أحمد بك الحسيني المعظم -رحمه الله تعالى- فجمع أجزاءه المتفرقة بعد شتاتها، من مصر، فالحجاز، فاليمن، فالشام، فأوربا، برواية صاحب إمام المذهب -رحمه الله تعالى- عنه: الربيع بن سليمان المرادي -رحمه الله- فطبع على نفقته وانتشر».

قال شيخنا الدكتور أسامة السيد الأزهري: «وشرحه على كتاب «الأم» كبير جدًا وقد سماه: «مرشد الأنام إلى بر أم الإمام»، وقد شرح فيه أبواب العبادات في أربعة وعشرين مجلدًا، قدم له بجزءٍ في تراجم أئمة الشافعية إلى طبقة مشايخه، ومخطوطه موجود في دار الكتب المصرية، وقد اطلعت على بعضه، وطالعت منه

قدرًا، ومقدمته في غاية الأهمية، حيث اشتملت على قواعد مذهب الشافعية، وعلى تراجم أعيان المذهب، من الإمام الشافعي -رحمه الله- إلى طبقة أشياخه السيد أحمد بك الحسيني، رحم الله الجميع»[1].

- وعلى مذهب السادة الحنابلة شيخ الحنابلة في زمانه المرداوي المقدسي وعنه أخذ شيخ الجامع الأزهر أحمد بن عبد المُنعم بن صيام الدمنهوري صاحب كتاب «الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني»، والعلَّامة شيخ الحنابلة منصور ابن يونس البهوتي صاحب كتاب «كشف القناع على متن الإقناع» و«دقائق أولي النهى لشرح المنتهى» و«الروض المربع بشرح زاد المستنقع»... وغيرها.

حتى تمثَّل أمير الشعراء أحمد شوقي هذه العناية فقال:

حتى ظننا الشـــافعي ومالكًا * وأبا حنيفة وابن حنبل حُضَّرا
إنَّ الذي جعل العتيق مثابة * جعل الكنانيَّ المُبـــاركَ كَوثَرا

ونظير ذلك في علوم اللغة العربية، فلشيخ الجامع الأزهر إبراهيم بن موسى الفيومي المتوفى سنة ١١٣٧هـ شرح لكتاب «المقدمة العزية للجماعة الأزهرية» في علم الصرف من تأليف أبي الحسن الشاذلي في مجلدين.

- ولشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشريف عبد الله الشبراوي منظومة في علم النحو، وهي منظومة لامية في خمسين بيتًا، منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم (٣٦٠٢ج)، وهي مطبوعة وقد شرحها غير واحد.

---

(١) «سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج»: (ص ٤٤)، نقلًا عن «أسانيد المصريين» ص (٣٠٨-٣٠٩).

- ومن بعده لشيخ الإسلام، وشيخ الجامع الأزهر الشريف، محمد الحفني، -رحمه الله تعالى- حاشية على «شرح الأشموني» في ألفية ابن مالك في النحو.

- ولشيخ الإسلام والمسلمين، وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ الأنبابي شرح على «شذور الذهب»، وله تقرير على «حاشية السجاعي على شرح قطر الندى»، وله تقرير على «حاشية الصبان على شرح الأشموني».

- ولشيخ الإسلام والمسلمين، وشيخ الجامع الأزهر، الشيخ سليم البشري في النحو كتابًا ماتعًا سماه: «الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس»، وعليه اعتمد المُدَرِّسون في الأزهر الشريف.

- ولشيخ الإسلام والمسلمين، وشيخ الجامع الأزهر، محمد الخضر حسين «المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة» وله «الخيال في الشعر العربي» وله ديوان شعر «خواطر الحياة».

- ولشيخ الإسلام والمسلمين، وشيخ الجامع الأزهر، محمد الفحام «كتاب سيبويه» وهو عبارة عن مناقشة لكتاب سيبويه وما لاحظه عليه النحويون.

إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، كأعمال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجة، والشيخ خالد الأزهري، وغيرهم عشرات.

ولأجل هذه الجهود الأزهرية في خدمة الشريعة الإسلامية، كان للأزهر دوره الفعَّال في العصر الحديث، ثم كانت الجهود في المجال غير الشرعي، والعمل على سدِّ متطلبات الحياة، من العلوم التجريبيَّة، فوجدنا كليةً للطب، والصيدلة، والهندسة، والزراعة، والعلوم، وغيرها في الأزهر الشريف، وما من كلية من تلك الكليات إلا

وتخرَّج فيها لا أقول مئات بل ألوف؛ وذلك لأنه منهج متكامل يغطي كل حياة المسلم، وليس على الأرض كلها فيما أعلم مدرسة علمية حفظت علوم الدين والدنيا مثل الجامع الأزهر الشريف، حتى وقف أمير الشعراء أحمد شوقي -رحمه الله تعالى- يهتف قائلًا وسط شعوب العالم كله عندما علم بخطوة إصلاح الأزهر الشريف:

قم في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا * وانثر على سمع الزمان الجوهرا

واجعل مكان الدُرِّ إن فصلته * في مدحه خرز السمـاء النيِّرا

واذكره بعد المسجدين معظما * لمســاجد الله الثلاثة مكبرا

واخشع مليًّا واقض حق أئمة * طلعوا به شوقًا وماجـوا أبحرا

كانوا أجلَّ من الملوك جلالة * وأعز سلطـانا وأفخم مظهرا

زمن المخاوف كان فيه جنابهم * حرم الأمـان وكان ظلهم الذرا

من كل بحرٍ في الشريعة زاخرا * ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

لا تحذ حذو عصابة مفتونة * يجدون كل قديم شئ منكرا

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا * من مات من آبـائهم أو عمَّرا

من كل ماض في القديم وهدمه * وإذا تقدم للبنــــاية قصرا

وأتى الحضارة بالصناعة رثَّة * والعلم نزرا والبيـــان مثرثرا

يا معهدًا أفنى القرون جداره * وطوى الليالي ركنه والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نوره * وأضـــاء أبيض لجها والأحمرا

وأتى الزمـان عليه يحمي سنة * ويزود عن نسك ويمنع مَشْعرا

في الفاطميين انتمى ينبـــوعه * عذب الأصول كجدهم متفجرا

عين من الفرقان فاض نميرهـــــا * وحيًا من الفصحى جرى وتحدرا

ما ضرني أن ليس أفقك مطلعي * وعلى كواكبه تعلمت الســـرى

لا والذي وكل البيـــان إليك لم * أك دون غايات البيان مقصرا[1]

*****

(١) «الشوقيات» (١/١٧٥) ط. الثانية، مجلة سركيس يناير ١٩٢٥م.

وقفة تأملية

لا تحسبنَّ أنَّ ما سبق من حديثٍ عن منهج الأزهر الشريف وحمله للشرع الشريف، إنما هو ضربٌ في بَيْداءَ تَيْهاءَ، أو أنَّه حديث يترامى السير فيه إلى شُقَّةٍ بعيدةٍ وسفرٍ غير قاصدٍ، بل إنني ما خرجت عن بحثي قيد أُنملة، وما ذكرته من حديث عن منهج الأزهر الشريف وتحمله للشرع الشريف، هو المنهل العذب الذي عليه أعتمد في دائرة محددة؛ أراها مَظَنَّة لطريق أسير فيه، وغاية أنشدها.

فبنظرة تأملية فيما سبق وجدنا كيف كانت عناية الله تعالى بأهل مصر من قديم الزمن، وكيف أنَّ الله تعالى صرف إليها أفئدة العلماء من المشارقة والمغاربة إلى الجامع الأزهر الشريف، حتى ذاع صيت الأزهر الشريف بين العالمين، ورأتْ شعوب العالم أثره البنَّاء لعقول الرِّجال، وكيف أنه جمع علوم الدين والدنيا، وكيف حثَّ علمائه على تعلم اللغات، والطب، والهندسة، والفلك، والكيمياء، فرأينا البارزين في كل دولة من دول العالم قد تشرَّبوا علوم الأزهر الشريف، وحملوا نور الهداية إلى كل بقعة من بقاع الأرض، حتى قال بيار دودج كلمة موجزة تكشف لنا عن فضل الجامع الأزهر الشريف على العالم كله، وكيف أنَّ أبناءه هم عَصَبُ الأمة، وعقلها المفكر، والأيدي العاملة، ومِشْعَل الهداية، وطريق التقدم، وبناء الحضارة، فقال ما نصه:

«ومما يثير الفخر والإعجاب أن نرى خريجي الأزهر الشريف، قد حملوا مشاعل الثقافة الإسلامية، وتعاليم الدين الحنيف، وأن الأزهر نفسه كان المنارة التي تشع

النور في العالم، من سيبريا إلى نيجيريا، ومن مراكش إلى الصين قبل أن يسمع الناس بأمريكا أو كشف عنها بعد، كما كانت البقاع الشمالية من أوربا تعيش في تيه الضلالة والجهل، برابرة بدائيين»[(١)].

ومن يتأمل ولو قليلًا كتب التراجم لوجد كيف أنَّ الأزهريين هم الذين حملوا نور الهداية إلى العالمين، وأشعلوا نور الهداية في قلوب الناس، وأحدثوا ثورات علمية في بلادهم، وخرَّج الواحد منهم أجيالًا وعباقرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

– تخرج العلَّامة محمد الكافي التونسي المالكي الأزهري، ودرَّس في الأزهر عشرين عامًا، وأخذ عن كبار علماء الأزهر الشريف، كالعلَّامة المحدث الكبير أحمد بن محجوب الرفاعي الفيومي، وشَيْخَي الأزهر: سليم البشري، وأبو الفضل الجيزاوي، وبخيت المطيعي مفتي الديار المصرية، وغيرِهم، ثم توجه إلى صفاقس فدرَّس بها، وسافر إلى طرابلس الغرب، ودرَّس في الحرم النبوي[(٢)].

– وتخرَّج في الجامع الأزهر الشريف، العلَّامة جعفر بن إسماعيل البرزنجي المتوفى ١٣١٧هـ، ١٨٩٩م الذي تولَّى إفتاء الشافعية بالمدينة[(٣)].

– وتخرَّج العلَّامة محمد هاشم الجعفري، الفقيه، الأصولي، المتكلم، البياني، الناظم، في الجامع الأزهر الشريف، فكان قاضيًا بطرابلس الشام، ثم قاضيًا بلواء بنغازي، فمفتيًا بنابلس[(٤)].

---

(١) «الأزهر في ألف عام» لبيار دودج (ص ١٧٥).

(٢) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين»: (١٣٦/١٢).

(٣) المرجع السابق: (١٣٤/٣).

(٤) المرجع السابق: (٥٤/١٢).

- قال الزركلي في كتابه «الأعلام» عن العلَّامة الأزهري الكبير، إسماعيل بن أحمد الأحمدي، الشهير بإسماعيل الحافظ، المتوفى سنة ١٨٧١م: «فقيه طرابلس الشام ومحدثها في عصره»[1].

- وكان العلَّامة الشيخ إسماعيل بن عبد الله الكُرْدفاني السوداني الأزهري، المتوفى سنة ١٨٩٣م، متولِّيًا الإفتاء في كُرْدفان.

- وكان العلَّامة الشيخ محمد الطرابلسي الأزهري، المتوفى سنة ١٩٠٠م، متولِّيًا الإفتاء في طرابلس الغرب إلى أن توفي[2].

فكان للأزهر الشريف دوره الحضاري في بلاد العالم كله، وتأثرت الثقافة العالمية بأبنائه في شتى بقاع العالم.

- فقَدِمَ الشيخ أحمد عباس البيروتي الشهير بالأزهري؛ ليتعلم في الأزهر الشريف، ثم عاد إلى بيروت، فأنشأ الكلية الإسلامية، حتى عُرِفَتْ بكلية الشيخ، حتى قال الزركلي: «وكان لها أثر كبير في تربية روح اليقظة العربية الحديثة، وتخرَّج بها جمهور من حملوا فكرة الاستقلال العربي في عهد الترك»[3].

- وكان العلَّامة الكبير عبد الله العلمي الغزي الفلسطيني الأزهري، المتوفى ١٩٣٦م، متولِّيًا التدريس في جامع غزة الكبير، ثم مفتشًا للمعارف، ووليَ التدريس في الجامع الأموي، وله مؤلفات عديدة في الفقه، والتفسير، والميراث[4].

---

(١) راجع «الأعلام» للزركلي (١/٣١٨).
(٢) «معجم المؤلفين»: (١١/١٦٠).
(٣) راجع «الأعلام»: (١/١٤٢).
(٤) «معجم المؤلفين»: (٦/١٦٧).

- وتخرج في الأزهر الشريف، الشيخ عبد الحليم الجيلاني، الفلسطيني، المتوفى سنة ١٩٣٧م، بعد الملازمة عشر سنوات في رحاب الجامع الأزهر الشريف وتشرب روح الجهاد من علماء الأزهر الشريف وأهل مصر، فشارك في ثورة ١٩١٩م مع المصريين، ثم عاد إلى فلسطين فعُيِّن إمامًا وخطيبًا بالحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، واشترك في ثورة ١٩٣٦م، وأسندت إليه قيادة المناضلين في قضاء الخليل، حتى فاضت روحه شهيدًا[١].

- ومثله العلامة الشيخ المناضل/ عبد الرحيم الحاج محمد الفلسطيني الأزهري، المتوفى سنة ١٩٣٨م، الذي مكث في الأزهر الشريف لطلب العلم ستة أعوام، وشارك في ثورة ١٩٣٦م، ثم تولى بعدها القيادة العامة لجميع المجاهدين في شمال فلسطين[٢].

- وتخرَّج من الأزهر الشريف العلَّامة سليم بن حسن اليعقوبي الفلسطيني، المتوفى سنة ١٩٤١م؛ وقد أقام في رحاب الجامع الأزهر اثنتي عشرة سنة؛ وهو يطلب فيها العلم، ثم عاد إلى فلسطين فعُيِّن مدرِّسًا في جامع يافا، فمفتيًا لها، وكان مع علوم الشريعة أديبًا شاعرًا، حتى كان يُنْعَتُ بحسَّان فلسطين[٣].

حتى قال بيار دودج عن ثمرة علماء الأزهر الشريف في دول العالم: «وأما الطلاب الأجانب الذين أتموا دراستهم بالأزهر، وعادوا إلى بلادهم، فإنهم يضطلعون بأعمال تعد صورة جليلة لأثر الأزهر في تلك البلاد».

(١) «جهود الأزهر الشريف في دعم قضية فلسطين والقدس الشريف» (ص٢٠، ٢١)، د/ محمد علي حُلة، ط. الأزهر. هدية مجلة الأزهر - ربيع الآخر ١٤١٨هـ.

(٢) المرجع السابق: (ص ٢١).

(٣) «الأعلام» للزركلي: (٣/١٧٧).

ثم جعل يذكر في ذلك أمثلة كثيرة، للتدليل على ذلك من إمداد الأزهر الشريف لبلاد الحجاز، والرياض، والسودان، والصومال، وأرتريا، وليبيا، ولبنان، والعراق، وسوريا، ومالي، والهند، وغزة، وفرنسا، ولندن، وواشنطن، ويذكر في ذلك أعداد الطلبة الأزهريين، في كل دولة من دول العالم، فكان ممن ذكرهم من خريجي الأزهر الشريف في أفغانستان وباكستان: العلَّامة الشيخ فؤاد فخر الدين، والذي كان مسؤولًا عن العديد من المسائل العامة، والعلَّامة الشيخ أبو الحسن محي الدين، وكان أستاذًا بجامعة (دكا) شرق الباكستان، وفي بلاد الهند كان العلَّامة الأزهري محمد عمران الندوي، عميدًا لكلية دار العلوم في (لكناو)، وكان العلَّامة الشيخ محمد إسلام الدين أستاذًا بجامعة (كلكتا)، وكان الشيخ محمد مظهر علاء الدين أحمد، والسيد محيي الدين حسن، أستاذين بجامعة أليجار (عليكرة)، وفي أندونسيا تخرَّج في الأزهر الشريف الشيخ رضيان فتح الرحمن، والشيخ أحمد الأزهري، وقد اعتلا كل منهما منصب الوزارة للشؤون الدينية في أندونسيا، وكان السفير الأندونيسي لدى الباكستان الدكتور محمد الراجيدي الأزهري، وغيرهم خلائق لا يحصون.

حتى عن طلبة الأزهر ودورهم في بلاد الصين قال: «ومما قيل يبدو واضحًا أنَّ خريجي الأزهر الأوائل في الصين يتسنمون مراتب القيادة»[1].

وكان العلَّامة الشيخ الفقيه إبراهيم المختار المينفراوي السيهاوي الأزهري مفتيًا للديار الأرتية.

ومن تتبع ذلك خرج بثروة علمية واسعة، بل بمجلدات كبار تؤكد على دور الأزهر الشريف، حتى في أشد أوقات ضعفه -التي يزعمونها- هو قوي، تظهر ثمرته

(١) «الأزهر في ألف عام» (ص ١٧١ – ١٧٥).

على العالم كله، وأنَّه لا يزال حيًّا، قويًّا، نابضًا ناشرًا دعوته بالخير بين العالمين، في حيوية متجددة وعزم لا يفتر، ومهما حاول المغرضون أن يزعزعوا من هيبته في قلوب الناس، إلا أنَّ كل العالم شهد وأقرَّ بفضل الأزهر الشريف.

والذي يتطاول على الأزهر الشريف، إما أن يكون ممن عاش في خيره، ونسي النعمة التي أنعم الله بها عليه، وإما أنه عجز عن الالتحاق به، وعرف قيمته وأهميته، فتغلب الحقد عليه بإملاء من الشيطان فجعل يطعن في مناهجه وتاريخه العريق، وإما أنه دخل الأزهر وفشل في الدراسة، فأرسل على الأزهر الشريف وابل ذمِّه، ولكل هذه الأنواع أمثلة في واقعنا المعاصر، فتأمله.

ومع تطاول هؤلاء شهد العالم كله بفضله، لأنهم عاينوا وعايشوا خيره ومجده، وأحسُّوا بقيمة الأزهريِّ فيهم، وكيف أنه يعمل على بناء أمة، وأن أولادهم يدرسون في الأزهر الشريف، ثم يعودون إلى بلادهم بُناة للحضارة، حتى قال الرئيس الأندونيسي (سوهارتو) في استقبال فضيلة الإمام الأكبر: جاد الحق علي جاد الحق -رحمه الله تعالى- يوم الاثنين ٢٩ من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، ١٩٩٥/٩/٢٥م: «إنني في غاية السعادة لما ألمسه من علاقات وطيدة تربط أندونسيا بشقيقتها مصر، خصوصًا من خلال الجهود والخدمات الجليلة التي يقدمها الأزهر الشريف لأبناء أندونسيا، والذي أسهم كثيراً في التنمية الشاملة التي تشهدها البلاد»(١).

وقال السناتور (راجا ظفر الحق) رئيس رابطة مؤتمر العالم الإسلامي بباكستان، في الترحيب بالإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي -رحمه الله تعالى-: «وقد استلهمنا من أحداث التاريخ أنَّ بمصر نهرين عظيمين:

---

(١) «مجلة الأزهر»: (ص ١٩) بتاريخ ٢٠ جمادي الآخرة ١٤١٦هـ.

أولهما: نهر النيل الخالد، الذي يروي أرضها ويملؤها بالخير، فساعدها على تأسيس أعظم حضارة عرفها التاريخ القديم.

وثانيهما: نهر النور والعلم والهداية الإسلامية، الذي ينبثق نوره من الأزهر الشريف، كعبة العلم منذ أكثر من ألف عام، وحتى يومنا هذا وهو يؤدي رسالته السامية في كل بقعة من بقاع العالم»[١].

فهذا شئ من شهادة العالَم والتاريخ للأزهر الشريف، وأهمية دوره في ارتقاء الشعوب، فكأني بالجامع الأزهر الشريف يخبر عن نفسه متحدثًا بنعمة الله تعالى عليه:

عَبْرَ القرون وطيلة الأزمان * عين العناية والهدى ترعاني

وعلى مدى الأعصار يعلو في الورى * بعناية المولى العظيـــــــم مكاني

وبفضل ربي لاح فضلي في الورى * فالعلم رَمْزي والهدى عنـــــواني

وتلوح في أُفُق العلوم شواهدي * ويفوح في الدنيا شذا بُنيـــاني

أنا في علوم الشرع نَجْمٌ مُزْهِرٌ * سطعتْ بشائره على الأزمان

أنا شمسُ تحقيق المعارف والهدى * ربي تعـــــــالى للورى أهداني

مافيَّ من مِقدار موضع ذرة * إلَّا ارتوت بمحبة الرحمـــــن

وأنا الحفيظ على مواريث الهدى * وأنا الوعـــــــاء لمنهج القرآن

تُلِيَ الكتاب بساحتي وتأرجَتْ * بسماع آيات الهدى أركــــاني

ألْفًا من الأعـوام والقرآن في * صحني يُرتل فاستنار جناني

---

(١) «مجلة الأزهر»: رحلة الإمام الأكبر إلى باكستان (ص١٣٧) شهر شعبان ١٤١٧هـ.

ولكم شَرُفْتُ بأنْ تلواْ في ساحتي * سُنَنَ الشفيع فأورقت أفنـــــاني

وتشابك الإسناد بين مشايخي * والزائرين لهم من الأعيـــــان

ولكم شَهِدْتُ الساجدين لربهم * في ساحتي من كل ذي وجدان

حتى كأنَّ منابري ومنائـــــري * بُنِيَتْ بأهل الفضل والإحسان

وكم انطوت حول القرون ومنبري * بالحق يصدح كي يزيح الجـــاني

مذ شُيِّدَتْ بالعلم أروقتي سمت * حتى جَمَعْتُ العلم في جــدراني

عندي تشابكت المنابع بالهُدى * فمناهجي أرقى بلا نكـــــران

شَهِدَتْ لِيَ الدنيا بِحُسْنِ طرائقي * في العلم بل شَهِدَتْ برفعة شاني

أنا موئل العلم الشريف وموطن الـ * ـمجد المنيف ومنهل العرفـــــان

أن حافظ الشرع المجيد وخادم النـ * ـهج السديد له الإله حمـــــاني

أنا قبلة العلم المنير وكعــــ * ـبةٌ للدارسين ومنبع الإيمان

وكم انبرتْ نحوي الوفود فقمت في * إكرامهم بالعلم والإتقـــــــــان

ما في البسيطة أمَّةٌ إلَّا وقد * ألْقَتْ إليَّ بطالبٍ ظمئــان

فسقيتُهم شهد العلوم مُحَبَّرًا * ومزجتهم بالنور والإيقـــان

حتى غدوا كي ينذروا ويحذروا * فأنا المراد بآية القـــــــرآن

وإذا استفاضت في الورى أنباء ما * قد خصني ربي به وحبـــــــاني

فمن الذي يرنو لنيل مكارمي * من ذا يقارع في الهدى برهاني

إلى أن قال:

ياطالب العلم الشريف فمنهجي * هو عصمة للطـــــالب الحيران

لا تعْدُ عينك عنه إنَّ مـــآله * خير مدى الأزمان والأكوان

كم من مدارس شُيِّدت لكنها * بادت وسبحـــان الذي أبقاني

فبقيت أشهد فضل ربي أنـــه *كم صانني ولكم وكم أعطاني

عبر الأكابر فوق متن معارفي * فسموْا وكانـــــوا زينة البلدان

كانوا بحوراً في المعارف والهدى *كانوا ليــوث الحرب في الميدان

ومناجمي ملأى وبحري لم يزل * يروي بفضل الواهب المنــــان

ولسوف أبقى شامخًا والعلم في * صحني منير والشيـــوخ لساني

ثم الصلاة على النبي محمـــــدٍ * ما حنَّت الدنيا لشجو أذاني[1]

*****

(١) من قصيدة بعنوان «الأزهر يتحدث عن نفسه» للدكتور أسامة السيد الأزهري (ص:٣-٨) ط. مكتب رسالة الأزهر

من الجهود الأزهرية في خدمة السنة النبوية

كل ما سبق إنما هو تمهيدٌ لهذا الفصل، وقد رأينا فيما سبق كيف كانت عناية الله تعالى تحف بالجامع الأزهر الشريف، وثبت من خلاله أنَّ الأزهر الشريف هو القائم الأول بحراسة الدين، وأنَّ أيَّ جهود علمية فائقة ملحوظة بعين الاحترام والتقدير فإنها ليست بصاحبة السبق؛ لأن الأزهر الشريف سابق ومتقدم، والفضل للمتقدم كما قيل، وهذه حقيقة شهد بها المنصفون، والعقلاء، وأرباب الفكر، ممن تعلم في الجامع الأزهر، أو خارج الجامع الأزهر الشريف.

ومن هنا بطل ادِّعاء من ادَّعى أنَّ الأزهريين ضعاف في الحديث الشريف، فمن زعم ضعفهم في الزمن المتقدم فقد أثبت لنا عدم التدقيق في بحثه، إذ أنَّ أئمة السنة النبوية ممن تولَّوا التدريس في الجامع الأزهر الشريف قديمًا وما يحيط به ويدور في فلكه من مدارس العلم، هم سادة الدنيا في أزمانهم، فمن ذا الذي يعدل الإمام القضاعي؟ والحافظ السِّلفي؟ وشيخ الإسلام البُلْقيني؟ والزين العراقي؟ والحافظ ابن حجر العسقلاني؟ والحافظ السخاوي؟ والحافظ السيوطي؟ وغيرهم ممن لا يحصون، كانوا ولا زالوا هم حماة السنة النبوية؛ بما خلَّفوه لنا من ثروة علمية، يعجز اللسان عن وصفها، والقلم عن خطِّها!!

ومن زعم ضعفهم في الزمن الحاضر فقد خالف الحقيقة، ولو أنه أمعن النظر ولو لدقائق معدودة في القرنين الأخيرين فقط؛ لخرج بثورة علمية أزهرية ملأت طباق الأرض نورًا وعلمًا، ولعلَّ السبب في هذا الادِّعاء أنَّ الجهود الأزهرية جهودٌ مفرَّقة،

مبعثرة، تحتاجُ إلى جمع مكثَّفٍ، وترتيبٍ دقيقٍ، كما قال أستاذنا الدكتور العلَّامة المحدث أسامة السيد الأزهري -حفظه الله تعالى-:

«إنما نشأ هذا مِنْ أنَّ تلك الجهود التي قام فيها علماء الأزهر الشريف بخدمة الحديث الشريف وقعت مفرقة الأطراف، متباعدة الأكناف، وأنه لم ينتهض أحدٌ إلى يومنا هذا ليدْأب على جمع النظير إلى نظيره، والشبيه إلى شبيهه، فإنه إذا ما جُمعت الأشباه والنظائر، وإذا جُمعت جهود الأكابر في صعيدٍ واحدٍ تكشَّف لنا مقدار ما أمدَّ به الأزهر الأمة الإسلامية من الجهود في الحديث الشريف، وصيانته من كافة الوجوه والزوايا، حتى إنه قد ظهر لي بعد يسير نظر وتتبع، أنه ما من مدرسة علمية في المشرق ولا في المغرب قد خدمت الحديث الشريف روايةً ودرايةً، وفقهًا، وصنعةً، وتصحيحًا وتضعيفًا، كما قام به الأزهر الشريف؛ حتى وقد تبدى لي بعد يسير تتبع وتأملٍ أنَّ هناك وَهْمًا كبيراً قد سرى إلى الأذهان، وخيَّم فيها، وهو القول بأنَّ الأزهر الشريف ليس ببيئة حديث»[1].

وهذا كلام لا يصدر إلَّا عن عالمٍ مستبصرٍ، مثل شيخنا العلَّامة الدكتور أسامة السيد الأزهري، فقد اطلعت على محاضرة لشيخنا المذكور بعنوان: (الحديث والمحدثون في الأزهر الشريف) وقد نُشِرت في «رسالة الأزهر» وهي محاضرة قيمة تنبئ عن سعة علم واطلاع الشيخ -حفظه الله تعالى- واعتمادًا على هذا فقد هداني الله تعالى وشرح صدري لأن أتوسع أكثر في هذا الموضوع، ولستُ بمتقصٍّ؛ إذ من المستحيل -لا أقول من الصعب- أنْ أجمع كل الجهود الأزهرية ولو في القرن الماضي فقط؛ إذ أنَّ الأزهر الشريف ليس أزهر مصر فقط، بل هو أزهر العالم كله، وما من

(١) جزء من مقال في «رسالة الأزهر» -وهو كتاب دوري يصدر عن (مكتب رسالة الأزهر)- (ص ٥٧) الإصدار (٢) شهر ذي القعدة ١٤٣٢هـ بتصرف.

بلد في العالم إلَّا وتخرج منه أزهريون، حملوا مشاعل الهداية والخير إلى العالمين، وألَّفوا في العقيدة، والحديث، والتفسير، وغير ذلك من العلوم مما لا يعد ولا يحصى.

ثم بالإضافة إلى هذا أردت إبراز منهجية علمية مهمة في تاريخ الأزهر الشريف، تجعلنا نقف حيال أي شبهة بشيءٍ من التفكير، والتحليل، وعدم التسليم إلَّا بعد التثبت والاحتياط، وألَّا نردد ما يردده الببغاوات دون دراسة، أو تمحيص، أو تدقيق.

وقد استعنت بالله رب العالمين، أن أجمع بعضًا من تلك الجهود التي قدَّمها علماء الأزهر الشريف في خدمة السنة النبوية؛ فوجدت من الجهود ما لا يوصف ومن الأعمار التي فنيت -وما هي بفانية عند الله تعالى- في خدمة السنة النبوية، ما يجعل الأزهري يرفع قامته مفتخرًا بهؤلاء الأئمة الأعلام، والشموس المضيئة، والبدور النيِّرة، ويوقن أنَّ الأزهر الشريف ورجاله هم حملة الدين، وورثة النبوة، وفوجئت عند الاطلاع بأسماء عريقة، ورموز غالية، قاموا فخدموا الحديث الشريف من عدة جوانب، منها ما انفردوا به عن الأقدمين؛ وكذا المشتغلين من غير الأزهريين من المعاصرين، وكلها في غاية الأهمية وإليك بيانها بشيءٍ من التوضيح:

*****



الفصل الأول: لمحة من جهود الأزهريين حول إفراد المؤلفات عن فضل السنة النبوية وتاريخها

وهذا الباب يدل دلالة واضحة على شدة الاهتمام بالسنة المشرفة من قِبَلِ علماء الأزهر الشريف، وأنهم دائمًا وأبدًا يحثون الناس على طلبها والاستزادة منها؛ لأنهم يعلمون أنَّ السنة النبوية هي الشق الثاني من الوحي الشريف.

وكان هذا المنهج منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عندما قاموا فتناوبوا في النزول على سيدنا رسول الله ﷺ ورحلوا من بلدٍ إلى بلد ليسمعوا ربما حديثًا واحدًا، كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من طريق محمد بن عقيل عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث في القصاص لم أسمعه منه فابتعت بعيرًا فشددت رحلي؛ ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت مصر أو الشام فأتيت عبد الله بن أنيس، فقلت: حديث بلغني عن رسول الله ﷺ ولم أسمعه في القصاص، خشيت أن أموت قبل أن أسمعه»[1].

ومثله ورد عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما رواه الحميدي في «مسنده»: عن عطاء بن أبي رباح، قال: خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأخبر به فعجل وخرج إليه فعانقه، ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال:

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب (الأهوال)، (٤/٥٧٤- ٥٧٥)، ط. دار المعرفة، بيروت.



حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فأخبر عقبة به فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: ما بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ ولم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، فقال عقبة: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنًا في الدنيا ستره الله يوم القيامة»، فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة؛ فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلَّا بعريش مصر»[1].

فانظر -رحمني الله وإياك- إلى هذه الروح العالية، وإلى التفاني، وإتعاب البدن، وإنفاق المال، في سبيل التوصل إلى حديث رسول الله ﷺ، والتحقق منه، فكان لزامًا على العلماء أن يبينوا ما عاناه الصحابة رضي الله عنهم، وما تكبدوه من تعب ومشقة؛ حتى يصل إلينا حديث رسول الله ﷺ، ثم يبينوا حاجة الأمة إلى السنة النبوية، وكيفية التعامل معها؛ لأنها الشارحة، الموضحة، المفصلة، المخصصة، المقيدة، المؤكدة، المُشرعة... إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم، فكُتبت مؤلفات عديدة في هذا الباب المفرد مما يصعب حصره على الباحث، وذلك لأنَّ أهل الحديث من الأزهريين علموا أنَّ قرابتهم من رسول الله ﷺ وصحبتهم له إنما تأتي بالدرجة الأولى من مدارستهم لأحاديث رسول الله ﷺ؛ لما رواه الترمذي: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة). قال ابن حبان في «صحيحه»: «هذا الحديث بيان صحيح على أنَّ أولى الناس برسول الله ﷺ في يوم القيامة أصحاب الحديث؛ إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم». ويقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: «أهل الحديث في كل زمان كالصحابة في زمانهم». وإلى هذا أشار بعضهم فقال:

---

(١) «مسند الحميدي» أحاديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. (١/١٨٩) برقم (٣٨٤) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الأولى، حيدر آباد ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.

أهل الحديث همو أهل النبي وإن هم * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

كانت تلك النصوص التي علمها السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الدافعَ والمحرِّكَ الذي دفع الأزهريين لأنْ يكشفوا عن كنوز السنة النبوية، وأن يوثقوا الصلة بينهم وبينها، وإني لمتتبع في ذلك ما كُتب في الفترة المتأخرة فقط؛ وليس ما كتب في العصور الأولى؛ لأؤكد أنَّ الأزهريين في القرنين الأخيرين خاصة كانوا أكثر الناس التزامًا بالسنة النبوية، ودفاعًا عنها، وتأليفًا في بحوثها، وتصنيفًا، وتحقيقًا، وتصحيحًا وتضعيفًا...

وهأنذا ذاكرٌ لك طرفًا مما كتبه الأزهريون في فضل السنة النبوية، وتاريخها، والعمل بها، غير متقصٍّ ولا متتبع:

- فقد كتب العلَّامة الكبير علي بن عبد الحق الحجامي، المالكي، الأزهري الشهير بالقوصي: «إيقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن»[1].

- وكتب شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود «السنة في مكانتها وفي تاريخها»[2] وله «السنة الشريفة ومكانتها في الإسلام»[3]، وله أيضًا «الرسول ﷺ وسنته التشريعية»[4].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي «عناية المسلمين بالسنة ومدخل لعلوم الحديث»[5].

(١) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين»: (١١٨/٧).

(٢) ط: مكتبة الإيمان- القاهرة.

(٣) ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

(٤) ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ١٣٩٤هـ.

(٥) وهو مطبوع في مطبعة الأنصار. القاهرة سنة ١٣٩٨هـ.

- وكتب العلَّامة الكبير سيدي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة «لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث»[1].

- وكتب العلَّامة المحدث الكبير الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين «السنة والتشريع»[2].

- وكتب العلَّامة الأستاذ الدكتور/ سيد أحمد رمضان المُسيَّر الأزهري -الذي كان يعشق الأزهر من أعماق قلبه حتى قال: «لو كان لي من الأبناء عشرة ما علمتهم إلا في صحن الأزهر القديم» والذي ترقى حتى كان رئيسًا لقسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة- كتابَه الماتع وقد كان رسالة للدكتوراه سنة ١٩٤٦م: «السنة مع القرآن»، وله «السنة المطهرة» كلاهما بتحقيق ولده الدكتور/ محمد سيد أحمد رمضان المسير[3].

- وكتب العلَّامة الدكتور الشيخ محمد محمد أبو زهو «مكانة السنة في الإسلام»، وله كتابه الماتع «الحديث والمحدثون» أو «عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية»[4]، والذي نال به فضيلتُه شهادةَ العالمية مع لقب أستاذية علوم القرآن والحديث، عام ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م، من الجامع الأزهر الشريف قسم تخصص المادة بكلية أصول الدين.

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق «بحوث في السنة النبوية» وهو بحث أصولي نفيس[5].

---

(١) ط: حلب - مكتبة المطبوعات.

(٢) ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤١١هـ.

(٣) ط: مكتبة الإيمان . الجامعة الأزهرية.

(٤) ط: دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٤هـ.

(٥) ط: مكتبة السنة - القاهرة.

- وكتب العلَّامة اللغوي الأديب الكبير محمد عبد الرحيم جاد التلاوي، الأزهري، الشافعي المولود سنة ١٩٣١م كتابًا قيمًا بعنوان «السنة تدوينها وحجيتها» وهو مطبوع.

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي «مكانة السنة»[1].

- وللأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم «السنة النبوية وعلومها» دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها في أعظم عصور التدوين ودفاع عن السنة ورد لشبهات المستشرقين وأعداء الإسلام[2].

- وكتب الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي «المدخل لدراسة السنة النبوية»[3].

- وكتب الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش «السنة المشرفة وعلوم الحديث»[4].

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «السنة النبوية ومكانتها وعوامل بقائها وتدوينها»[5]. وله كذلك كتابه الماتع: «المدخل إلى السنة النبوية» وهو عبارة عن بحوث في القضايا الأساسية عن السنة النبوية، كمصدر السنة النبوية، وعلاقتها بالقرآن الكريم، وقضية درجات العمل بالسنة النبوية.

- وكتب الأستاذ الدكتور مصطفى محمد أبو عمارة «أضواء على المدارس الحديثية النشأة والتطور» وهو مطبوع.

---

(١) ط: سعد سمك للمطبوعات.

(٢) ط: مكتبة غريب – القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ.

(٣) ط: مكتبة وهبة – القاهرة.

(٤) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٥) ط: دار الاعتصام القاهرة.

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد محمود كريمة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف: «السنة النبوية الشريفة»، وهو مطبوع ملحقا بمجلة الأزهر.

- وكتب الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مِزيَدْ أستاذ ورئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر الشريف كتابًا قيِّمًا بعنوان: «تاريخ السنة ومراحل تصنيفها»، وله كتابه القيِّم «مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري حتى عصرنا الحاضر»[1].

ناهيك عن رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) التي تتبعت تاريخ السنة النبوية المشرفة ومدارسها ومظاهر الاهتمام بها عند علماء المسلمين مما يدلك على مزيد العناية من قِبَلِ الأزهريين للسنة النبوية المباركة وإليك جانب من هذه الرسائل النفيسة المهمة:

- كتب الدكتور عبد الجليل عيد محمدين «مدرسة الحديث في الشام في القرنين الأول والثاني الهجري» وهي رسالة (دكتوراه) في كلية أصول الدين بالقاهرة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم (٧٣٧١٥٨).

- وكتب الدكتور علي رشيد أحمد «السنة النبوية في القرن الثاني الهجري» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد شوقي خضر برقم (٢٤٨: ٢٥١).

- وكتب الدكتور أحمد عمر هاشم «السنة النبوية في القرن الثالث الهجري»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد العظيم الحكيم، مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة، برقم (٢٣٧٩).

---

(١) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية.

- وكتب الدكتور جلال الدين إسماعيل «السنة في القرن الرابع الهجري» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، برقم (٢٩٤٢)، سنة ١٩٨٠م.

- وكتب الدكتور عبد الجابر فايد فراج «السنة النبوية في القرن السادس الهجري» رسالة (دكتوراه) برقم (٣٥٢٨)، سنة ١٨٨٩م.

- وكتب الدكتور محمود رشاد خليفة «مدرسة الحديث في اليمن» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية برقم (٢٧٦)، وله كذلك «مدرسة الحديث في مصر منذ سقوط بغداد» تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى التازي برقم (٢٤٣٣).

- وكتب الدكتور يحيي ضاهر جمعة «السنة النبوية في القرن السابع الهجري» رسالة (دكتوراه) برقم (٣٥٠٠) سنة ١٩٨٩م.

- وكتب الدكتور أحمد عطا الله عبد الجواد «السنة في القرن الثامن الهجري» رسالة (دكتوراه) برقم (٣٥٧٦)، سنة ١٩٩٠م.

- وكتب الدكتور محمد محمود أحمد هاشم «السنة النبوية في القرن العاشر الهجري» رسالة (دكتوراه) برقم (٣٦٢٧) سنة ١٩٩١م.

- وكتب الدكتور حمد إمام اللبان «السنة في القرن الحادي عشر الهجري»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم (٣٣٩٨) أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الدكتور علي رشيد النجار «السنة النبوية في القرن الثاني عشر الهجري» رسالة (دكتوراه)، برقم (٣٦٧٢)، سنة ١٩٩٢م.

- وكتب الدكتور وليد محمد السكندري «السنة في القرن الثالث عشر الهجري» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم (٣٨٠١).

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد حسين محمد إبراهيم «من جهود الأمة في حفظ السنة».

ولو أني تتبعت معكم هذا الباب في نصف القرن الماضي فقط لخرجت منه بمؤلفات يصعب حصرها، ولكن ما ذكرته هنا وما سأذكره في الفصول التالية، إنما هو إشارة عابرة لنعلم كيف أنَّ علماء الأزهر الشريف ما تركوا بابًا لخدمة السنة إلَّا وكان لهم فيه مدخل، ثم أرادوا أن يغرسوا محبة السنة في قلوب الناس، وأن يعظموها كما عظمها سلفنا الصالح، وأن يحثوا الناس أن يرحلوا في البحث عنها كما رحل من سبقنا، وأنَّ السنة حُفظت من جيلٍ إلى جيل ومن زمنٍ إلى زمن، وأنه يجب علينا أن نراعيها ونطلبها كما طلبها من قبلنا؛ إذ أنَّ حياة المسلم تقوم عليها، وأنَّ لها من القداسة عندنا ما يجعل المسلم لا يُقَدِّمُ على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ شيئًا، وأرجو من الله تعالى أن يجعلنا من الذين لا يُقَدِّمونَ على كتاب الله تعالى ولا كلام رسوله ﷺ شيئًا، وأن يجعلنا من المتَّبعين له، والمقتفين أثره، وأن يحشرنا الله تعالى مع السائرين على مدرجة حبيبه ونبيه، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

*****

الفصل الثاني: لمحة من جهود الأزهريين حول دفع الشبهات عن السنة النبوية

السنة النبوية هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، ولما علم أعداء الإسلام منزلة السنة في صدور المسلمين عملوا على إثارة الغبار على ضوئها؛ حتى لا يرى الناسُ نورها، ولكن هل يحجب الغبار نور الشمس المشرقة؟! أقول: كلا؛ فإنَّ السنة نور لن يُطفأ أبدًا، لأنها محفوظة بحفظ الله تعالى لها، مهما حاول المغرضون والجاهلون الذين قاموا وجعلوا يهيلون التراب على تراث الأمة المحمدية، ويشككون في الكتب المعتبرة التي تلقتها الأمة بالقبول، جيلًا بعد جيل، حتى وصلت إلينا، ولعل هؤلاء هم المشار إليهم في حديث رسول الله ﷺ: «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديث فيقول: بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه؛ وإنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله»[1].

فقاموا يثيرون الشبهات حول السنة النبوية وحجيتها، فقال قائلهم:

- ما لم يكن في كتاب الله، فليس على أحد فيه فرض.
- إن السنة ليست بحجة.
- لا نحتاج للسنة مع وجود القرآن.
- لا نعمل بأحكامها حتى نعرضها على القرآن.
- إنَّ الله تعالى تعهد بحفظ القرآن الكريم دون السنة.

(١) «المستدرك»: (١/١٩١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت .

- إنَّ في السنة ما يتعارض مع القرآن الكريم.
- إنَّ في السنة ما يتعارض مع السنة.
- إنَّ في السنة ما يتعارض مع العقل.
- إنَّ في السنة ما يتعارض مع التاريخ.
- إنَّ الصحيح والضعيف والموضوع يصعب تمييزه.
- إنَّ هناك رواة كذابين رُويت أحاديثهم في كتب معتبرة عند أهل السنة.

إلى غير ذلك من الشُبَه التي ادَّعاها الحاقدون قديمًا وحديثًا حول السنة المشرفة، وخاصة في العصر الحديث، فكان لزامًا على حملة الدين وورثة النبوة، أبناء الأزهر الشريف، أن يدافعوا عن السنة النبوية، ويميطوا عنها جهل الجاهلين، وعبث العابثين، فوجدنا لعلماء الأزهر الشريف اليد الطولى في إماطة هذا الأذى عن السنة المشرفة، وعن صاحبها ﷺ، فكتبوا كتبًا غاية في النفاسة وقوة الحجة والإقناع، ومن بين هذه الكتب والمؤلفات:

- ما كتبه شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر سليم بن فراج البشري، المتوفى سنة ١٣٣٥هـ، ١٩١٧م «المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية» ردَّ فيها على الملحدين ردودًا قوية، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية.

- وكتب العلَّامة سلامة هندي العزامي القضاعي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٩٥٦م «البراهين الساطعة في الرد على بعض البدع الشائعة»[١].

- ثم كتب العلَّامة الكبير سيد أحمد رمضان المسير الأزهري، المتوفى سنة

(١) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين» (١٣/٣٩٠).

١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م في أطروحته للدكتوراه من كلية أصول الدين قسم الحديث والتفسير بعنوان: «موقف السنة من القرآن» ناقش فيها الأستاذ أحمد أمين في مزاعمه حول الحديث الشريف ورجاله في كتابيه «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» بتاريخ ١٩٤٦م. وقد طبع في كتاب: «دفع شبهات عن الحديث والمحدثين» الجزء الخاص بالشبهات التي أثارها صاحب فجر الإسلام وضحاه، وهو مطبوع في دار الطباعة المحمدية بالأزهر الشريف.

- ثم كان الكتاب الماتع الممتع الذي قلَّ نظيره «دفاع عن السنة ورد شُبَه المستشرقين والكتاب المعاصرين» للعلَّامة الكبير الدكتور محمد محمد أبي شهبة الدسوقي الأزهري، المتوفى سنة ١٩٨٣م، والذي قال في مقدمته: «ولا يزال في كل قطر من أقطار الإسلام من شغف بالسنن والأحاديث، وتعمق في دراستها، وجاهد في رد الشبهات عنها، وألَّفوا في هذا السبيل المؤلفات القيِّمة من علماء الأزهر، وغيرهم من علماء الحجاز، والشام، والهند، والمغرب، وقد شاء الله سبحانه لي -ولله الحمد والمنة- أن أكون من المتشرفين بدراسة السنة، والمدافعين عن ساحتها الطاهرة، دفاعًا عن علم وتثبت، ودراسة واقتناع، لا عن عصبية وعاطفة، وقد عرضتُ لبعض هذه الشبهات وردِّها ردًّا علميًّا، في كتابي الذي نلت به درجة الأستاذية (الدكتوراه) وسميته «الوضع في الحديث ورد شُبَه المستشرقين والكُتَّاب المعاصرين» ط: الأزهر الشريف، وملحق به كتاب: «الرد على من ينكر حجية السنة» للأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق، وقد طُبع في مكتبة السنة، وطبع غير مرة.

- وكتب الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، وكان -رحمه الله تعالى- رئيسًا لقسم الحديث بجامعة الأزهر الشريف، ونائبًا لرئيس جامعة الأزهر الشريف، ورئيسًا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العالم والمحدث الكبير كتب كتابًا ماتعًا،

سمَّاه: «الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة» تناول فيه ردًّا قويًّا على الشبهات التي تُثار حول الحديث النبوي الشريف والإسلام عامة(١).

– وكتب الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الحميد أحمد، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر الشريف، كتابًا قيمًا يثبت فيه أنَّ الله عز وجل عصم نبيه ﷺ من سهام الأعداء كلها في الماضي والحاضر إلى يوم الدين وسماه: «إنا كفيناك المستهزئين»(٢).

–وكتب العلَّامة المحدث الأستاذ الدكتور رؤوف شلبي الشرقاوي الأزهري: «السنة النبوية بين إثبات الفاهمين وجهل الجاهلين»(٣).

– وكتب الأستاذ الدكتور عبد الموجود عبد اللطيف «السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم»(٤).

– وكتب الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني «الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية» عرض وتفنيد ونقد(٥).

– وكتب العلَّامة عبد السلام محمد حبوس الأزهري الشرقاوي الأزهري المتوفى ٢٠٠٨م: «إدراك المغيث في الذب عن عرض أهل الحديث».

– وكتب العلَّامة المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم «دفاع عن الحديث النبوي»(٦).

---

(١) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٢) ط: القرآن الكريم — بيروت.

(٣) ط: دار القلم — الكويت.

(٤) مكتبة الإيمان — القاهرة

(٥) وهو مطبوع في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . العدد (١٨١) في جزئين.

(٦) ط: مكتبة وهبة . القاهرة.

- وكتب العلَّامة الأزهري، شيخ بلاد الشام، الشيخ نورالدين عتر «السنة المطهرة والتحديات».

- وكتب العلَّامة الشيخ الدكتور سعد سعد جاويش الحسيني الأزهري «السنة مسؤولية الأمة شبهات وردود».

- وكتب العلَّامة المتكلم الثبت الأستاذ الدكتور طه الدسوقي حبيش، أستاذ العقيدة والفلسفة بأصول الدين «السنة في مواجهة أعدائها»(١). حتى سجل –حفظه الله تعالى– مناظراته مع بعض المنكرين للسنة النبوية في بعض كتبه وذكرهم بأسمائهم.

- ومثله العلَّامة المحدث الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي في مناظراته معهم، وقد عُرضت على بعض القنوات الفضائية.

- وقد كتب العلَّامة المحدث الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي كتابه الماتع الممتع، والذي تصدى فيه لدفع الشبهات المثارة حول كثير من الأحاديث، وبعض الرواة للأحاديث النبوية، والذي سمَّاه: «دفع الشبهات عن السنة والرسول»(٢).

- وكتب الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مزيد «شبهات حول السنة النبوية: تفنيدها، والرد عليها» وهو مطبوع.

- وله كذلك: «شبهات المشككين ومزاعمهم التي أثيرت حول امتهان الإسلام للمرأة وسلبها حقوقها: مناقشتها والرد عليها من السنة النبوية المشرفة»(٣).

---

(١) ط: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٢) ط: مكتبة الإيمان. القاهرة.

(٣) وهو بحث منشور في حولية كلية دار العلوم/جامعة الفيوم. العدد السابع عشر. يونيو سنة ٢٠٠٧م.

- وكتب الأستاذان الجليلان، العلاَّمة الدكتور محمود محمد أحمد بكَّار، والعلاَّمة الدكتور محمد سيد شحاتة «شبهات حول السنة» وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء.

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الموجود القرشي «الفصول الزكية في سيرة خير البرية مع عرض لمفتريات المستشرقين وأخطاء غيرهم والرد عليها» وهو مطبوع.

- وكتب الأستاذ الدكتور علي يوسف السبكي «أزواج النبي الطاهرات وحكمة تعددهن»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمود عبد الوهاب عبد الحفيظ رحمة، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر الشريف «تعدد الزوجات بين النظرية والتطبيق والرد على ما يوجه إليها من افتراءات .. دراسة حديثية محققة»[2].

- وكتب الأستاذ الدكتور عادل محمد درويش، أستاذ الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف «حجية السنة والرد على شبهات المنكرين لها»[3]، وله كذلك: «نظرات في السنة وردود على شبهات الطاعنين والمستشرقين»[4].

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد محمود كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر «السنة النبوية بين الاجتراء والافتراء»، وله كذلك: «الاعتداءات الأثيمة، على السنة النبوية القويمة»[5].

---

(١) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٢) وهو مطبوع في مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٣) ط: مجلة التراث ـ جاكرتا ـ إندونسيا.

(٤) ط: دار العلم ـ مصر.

(٥) ط: ١٩٩٩ م.

- وكتب الأستاذ الدكتور عادل محمود عبد الخالق: «القول المبين في الدفاع عن سنة سيد المرسلين»[1].

- وكتب الدكتور عماد السيد الشربيني: «شبهات حول الحديث النبوي والرد عليها»[2].

ناهيك عن رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) في هذا الجانب الخضم الواسع، ومن ذلك:

- ما كتبه الدكتور عماد السيد إسماعيل، رسالة (ماجستر) بعنوان: «السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام» تحت إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار، بكلية أصول الدين بالقاهرة[3].

- وكتب الدكتور البدري عبد المجيد سالم رسالة (ماجستير) بعنوان: «الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم من العصر النبوي إلى العصر الحاضر» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م.

- وكتب الدكتور شعيب أسلم محمد «الرسول في كتابات غير المسلمين» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٣٢٣١).

- وكتب الدكتور عماد السيد محمد «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في

(١) ط: دار المنار ـ ٢٠٠٩م.

(٢) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٣) وهي مطبوعة في مطبعة دار اليقين ـ مصر، ط: الأولى سنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

ضوء السنة النبوية» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٤٣).

- وكتب الدكتور إبر اهيم عبد الرحمن عبد الحميد «شبهات المستشرقين حول التراث الإسلامي» رسالة (ماجستير)، مخطوطة بكلية أصول الدين.

- وكتب الدكتور سعيد المرصفي «السنة النبوية بين أنصارها وخصومها» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد السيد ندا مخطوطة في كلية أصول الدين، برقم: (٢٥٧٢).

حتى كانت المؤلفات الأزهرية في الدفاع عن السنة النبوية غاية في القوة والزود عن الشريعة، فكم رأينا من مؤلفات ربما ألَّفها أصحابها للرد على شبهةٍ، أو لتصحيح ما أُشكل، أو فُسِّر تفسيراً مخالفًا للهدي النبوي ولروح الشريعة الغراء.

- فكتب الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة: «الإسراء والمعراج» تصدى فيه لمنكري الإسراء والمعراج بالروايات الصحيحة، مع بيان فوائد الإسراء والمعراج.

- وكتب العلَّامة عبد الله الصديق الغماري جزءًا فيه رد على الألباني، نشر ضمن الرسائل الغمارية[1].

- وكتب العلَّامة الكبير محمد زكي الدين إبراهيم الشاذلي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. «الأربعون حديثًا الحاسمة ردعًا للطوائف المكفرة الآثمة».

---

(١) ط: دار الجنان. بيروت ١٤١٠هـ.

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «دفع أباطيل د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة، والرد على اللواء محمود شبل في إنكار يوم عرفة»[1].

- وكتب الدكتور محمد زين العابدين محمد الطشو «شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة» رسالة (ماجستير)، سنة ١٩٩٠م.

- وكتب الأستاذ الدكتور محمود محمد أحمد بكَّار «من قضايا السنة .. حديث لطم موسى لملك الموت وردُّ الشُّبَه الواردة عليه»، بحث نُشر في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط.

ناهيك عن آلاف لا أقول مئات المقالات من الصحف والمجلات التي تناولت الرد على مثل هذه الأفكار المسمومة.

وما ذكرته غيض من فيض، فجهود الأزهريين في الدفاع عن السنة النبوية المشرَّفة لا تُقدَّرُ بمقدار، فقد ردوا الشبهات عن بعض الرواة، وبعض الأحاديث، وأقاموا الأدلة والبراهين القاطعة على منكري السنة النبوية، حتى إنهم لم يتركوا لصاحب مقالٍ مقالًا، فذَبُّوا عن رسول الله ﷺ جهل الجاهلين، وعبث العابثين، وذَبُّوا عن عِرْضِ أهل الحديث ليدفعوا اجتراء المفترين الكذَّابين، ودفعوا شبهات المستشرقين والعلمانيين حول الإسلام عامة، وحول السنة النبوية وعلومها خاصة، وخاصة في ظل التيارات المعاصرة التي لا تعد، والتي هي أخطر ما يكون على الإسلام والمسلمين، كالبهائية، والقاديانية، والشيعة المغالين، والليبراليين وأساتذتهم من العلمانيين، وما شاكلهم من أصحاب التيارات المتعصبة، فتجد أنَّ هؤلاء ما

(١) ط: دار الاعتصام. بالقاهرة.

تصدى لهم في الغالب إلَّا علماء الأزهر الشريف، أمثال الشيخ داعية عصره: الشيخ عبد الحميد كشك، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد المسيَّر، والدكتور عبد المهدي عبد القادر، والدكتور عبد الله عبد الحميد علي سمك، وغيرهم لا يحصون.

فهل وجدنا مدرسة علمية على الأرض كلها دافعت ونافحت عن الإسلام بمثل ما دافع ونافح علماء الأزهر الشريف؟

*****

الفصل الثالث: لمحة من جهود الأزهريين
في مجالس إقراء الكتب الحديثية

قراءة الكتب الحديثية في مجالس العلم سُنَّة قديمة دأَب عليها العلماء، وصارت مسلكًا مهمًّا في خدمة السنة النبوية؛ للمحافظة على ضبط الألفاظ النبوية، والتي تلقاها أهل العلم كابرًا عن كابر، حتى تصل النسبة إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وللمحافظة على سلاسل أسانيده؛ لتظل سُنَّة السند من أهم خصائص هذه الأمة المحمدية.

وعندما نقرأ في سيرة وتراجم أئمة الحديث النبوي الشريف نجد كيف كانت ملازمتهم لشيوخهم، وحضور مجالسهم سماعًا؛ ليعوا عنهم الشرع الشريف كاملًا غير منقوص، والذي يتولى هذه المجالس لا بد أن يكون على درجة عالية من الفهم والتلقي، ويشهد له أهل العلم بجواز جلوسه للتعليم، وكما قال مالك -رحمه الله تعالى-: «وليس كل مَنْ أحب أن يجلس في المسجد جلس، فإن رأوه أهلًا لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك»[1].

ومن كثرة تردادهم لأحاديث رسول الله ﷺ وإقراءها في مجالس العلم كان الواحد منهم يحفظها عن ظهر قلب، كما حدث مع ابن أبي داود عندما «ذهب إلى سجستان اجتمع عليه الناس وسألوه أن يحدثهم، فقال: ليس معي كتابٌ.

---

(١) «الديباج» لابن فرحون (ص٢١).

فقالوا: ابن أبي داود وكتاب؟! قال: فأثاروني، فأمليت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث»[(١)].

ولما حُرقت كتب ابن حزم الأندلسي في (أشبيلية) أعاد أكثرها من حفظه وذاكرته، وكان يقول: «فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس، بل هو في صدري يسير معي حيث استقلت ركائبي، وينزل إن أنزل، ويدفن في قبري»[(٢)].

ولذا كان السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحثون على هذه السنة الحميدة، وهي المداومة على إقراء الكتب الحديثية، في مساجدهم، وفي بيوتهم، وأن يفردوا مجالس خاصة للإقراء، فعن سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تذاكروا الحديث فإنَّ ذكر الحديث حياته»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تذاكروا الحديث فإنَّ الحديث يهيج الحديث»[(٤)].

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا؛ فإنكم إنْ لم تفعلوا يدرس»[(٥)].

وكان وكيع بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لولا أنَّ الحديث عندي أفضل من التسبيح ما حدثت»[(٦)].

---

(١) «لسان الميزان» لابن حجر: (٣/٢٩٦).
(٢) «ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثة» للأستاذ المكي أقلاينة (ص ٥٧-٥٨).
(٣) «المستدرك»: (١/٩٥) .
(٤) «سنن الدارمي»: (١/١٥٠).
(٥) «المستدرك»: (١/٩٥).
(٦) «شرف أصحاب الحديث» لأبي بكر الخطيب (ص ٨٢-٨٣).

فكان السلف الصالح يحتاطون غاية الاحتياط في حديث رسول الله ﷺ ووجدناهم رضي الله تعالى عنهم يوقفون بعضهم عند سماع الحديث، فعندما سمعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا روى عن رسول الله ﷺ: «الشهر تسعٌ وعشرون، قالت: رحم الله أبا عبد الله، إنما قال: الشهر يكون تسعًا وعشرين»[1].

وكما روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن توحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»؛ فقال رجل: الحج وصيام رمضان، قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ[2].

وروى مسلم كذلك في «صحيحه» عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغيت». قال أبو الزناد: «هي لغة أبي هريرة إنما هو فقد لغوت»[3].

ويذكر الرامَهُرْمُزِي أنَّ طاووسًا اليماني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان يعد الحديث حرفًا حرفًا»[4].

وكان هذا الحرص من السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على مجالس الإقراء ليصونوا الكلام النبوي من اللحن والخطأ، وليسمعه الناس كما سمعوه هم من رسول الله ﷺ.

---

(١) «مسند الإمام أحمد»: (٦/٥١).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»: (١/٤٥)، كتاب (الإيمان)، باب (أركان الإسلام) رقم: (١٦)، ط: دار إحياء التراث العربي.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»: (٢/٥٨٣)، كتاب (الجمعة)، باب (في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة) برقم: (٨٥١)، ط: دار إحياء التراث العربي .

(٤) «المحدث الفاصل»: (ص ٥٣٩).

ومن أشد الناس التزامًا بإقراء الكتب الحديثية من قديم على أهل العلم علماءُ الأزهر الشريف، فوجدنا أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالى- والذي تولى خطبة الجمعة فى الجامع الأزهر الشريف، وهو ثمرة أزهرية عريقة، يفتخر به القاصي والداني، وخضع لعلمه كل من اشتغل بالحديث وعلومه، فنجد أنَّ الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- كان يعقد مجالس الإقراء والإملاء، بعد أنْ أخذ عن أكابر شيوخ عصره «واجتمع بحافظ العصر عبد الرحيم ابن الحسين العراقي فلازمه عشرة أعوام وتخرج به وانتفع بملازمته»[١] بل ورحل -رحمه الله تعالى- إلى المدن المصرية، والبلاد الشامية، والحجازية، وكذا إلى اليمن، بعد أن جاور في مكة المكرمة فترة طويلة، وأكثر من الجثو تحت رُكَبِ العلماء غاية الإكثار، فأخذ عن العالي والنازل، والشيوخ والأقران، ومن دونهم، حتى اجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، وكان كثيراً ما يملي في مجالسه العلمية، حتى أملى أكثر من ألف مجلس، وكان وهو خارج مصر يأخذه الحنين إليها، ويتذكر أيام أن كان يجلس والناس حوله يستمعون لحديث رسول الله ﷺ فينشد قائلًا:

متى تنجلي يا أفق مصر بأقماري * وأروي عن اللقيا أحاديث بشارِ

وأقرأ آي الوصل من صحفِ أوجه * مواضع ختم اللثم فيها كأعشارِ

إلى مصر واشوقًا إلى مصر وأهلها * تشوق حبٍ للنوى غير مختارِ

ويا وحشتي يا مصر منك لبلدة * لداخلها بالأمن بشرى من الباري[٢]

وكذا من جاء بعده من أمثال الحافظ السخاوي، والحافظ السيوطي... وغيرهم كثير.

---

(١) «الضوء اللامع» للسخاوي: (٢/٣٩).

(٢) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر(١/٣٥)، ط. دار الغد العربي. بتحقيق العلامة الشيخ/طه عبد الرؤف سعد.

حتى قال الدكتور أحمد عمر هاشم -حفظه الله تعالى- وأطال في عمره: «كان الأزهريون في قديمهم الغابر لا يدرسون السنة في موجزات أو مختارات تُتبع ببعض الشروح والتعليقات وتوصف بالمذكرات كما تشاهد اليوم، ولكنهم كانوا يدرسون السنة في مصادرها الأصيلة، حيث يُقرأ الكتاب من ألِفه إلى يائه بعناية وإحكام، والمتتبع لتراجم العلماء في تاريخ الجبرتي يعجبه أن يجد الكتب الأصيلة في السنة المطهرة مما درس طالب الأزهر، فالشيخ شمس الدين الحفني شيخ الأزهر -مثلًا- يدرس في مجال السنة «سنن أبي داود»، و«سنن النسائي»، و«سنن ابن ماجه»، و«الموطأ» للإمام مالك، و«مسند الإمام الشافعي»، ومعاجم الطبراني، و«صحيح ابن حبان»، و«المستدرك» للنيسابوري، وليس الحفني بدعًا في هذا الإلمام البارع بأمهات كتب الحديث، بل إن زملاءه وأساتذته وتلاميذه كانوا ينتحون ما انتحاه، وأكثرهم كان حريصًا على أن يتصل اسمه برجال السند ليكون حلقة في السلسلة المنتهية بصاحب الأثر، كالبخاري، ومسلم، ومالك. هذا الشغف البالغ باتصال السند إلى أرقى مصادره في الكتاب المشروح، ومع العلماء إلى الحرص على سماع المتن من الأساتذة في مجالس التلاوة»[1].

والحديث عن مجالس الإقراء هنا في العصور المتأخرة في الجامع الأزهر الأنور؛ لم تَقِلّ أبدًا عما كان عليه الجامع الأزهر الشريف في الفترة سالفة الذكر؛ فوجدنا أنَّ شيخ الإسلام والجامع الأزهر الشيخ محمد علي الشنواني، المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، صاحب الثبت المشهور المسمى بـ«الدرر السنية فيما علا من الأسانيد الشنوانية»، وله أيضًا حاشية على مختصر البخاري لابن أبي جمرة، وهي نسخة خطية بدار الكتب المصرية، كان -رحمه الله تعالى- يجلس لإقراء الكتب الحديثية، وكان مجلسه

(١) «المحدثون في مصر والأزهر»: (ص ٣٧٧)، ط. مكتبة غريب.

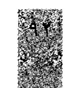
-رحمه الله- يَكْتَظُّ بالحاضرين، حتى تخرَّج من تحت يديه من حمل مسؤولية الإقراء من بعده، أمثال العلَّامة الكبير مصطفى بن محمد المبلِّط المتوفى ١٢٨٤هـ ١٨٦٧م، وقد أجازه -رحمه الله تعالى- في ثبته المشهور، ومما قاله في إجازته له: «لازمني مدة مديدة، وسنين عديدة حضوراً وسماعًا، حتى غزر علمه، ثم التمس مني الإجازة وكتابة السند، فأجبته لذلك بشرط ألَّا يترك الإفادة» ومنه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية.

وكان الشيخ مصطفى المبلِّط -رحمه الله تعالى- يُقرئ الحديث الشريف ويجلس بين يديه كبار العلماء، وكان من بينهم العلَّامة الكبير، الفقيه المالكي، أحمد بن محجوب الرفاعي الفيومي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ، ١٩٠٧م.

وكان المبلِّط -رحمه الله تعالى- مكثراً من إقراء «صحيح البخاري» على وجه الخصوص، حتى إنه قد عَكَفَ على إقرائه سنوات طوال، وكلما ختمه استفتحه من جديد، وكان ممن حضره عليه الشيخ طه بن يوسف الشعبيني المتوفى ١٣٧٣هـ، وحضر صحيح الإمام مسلم على شيخ المالكية في زمانه العلامة الشيخ محمد عليش بأسانيده إلى الأمير الكبير.

وكان من بعده تلميذه العلَّامة المحدث الشيخ أحمد بن محجوب الرفاعي الفيومي الأزهري، وقد ترجم له شيخنا العلَّامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين» فقال عنه: «وكان -رحمه الله- قائمًا بإقراء الحديث، معنيًا بذلك، مشهوراً به، حتى ذكر عنه تلميذه العلَّامة محمد البشير ظافر الأزهري: (وكان مواظبًا على قرءاة كتب الحديث، كـ «الموطأ» والصحيحين، والكتب الستة)»

وفي موضعٍ آخر قال عنه: «وكيفما قلَّبْتَ طرفك في علماء الأزهر، لا تجد



إلَّا من أخذ عنه، أو عن أحد تلامذته، ويمكنك أن تستثني الشربيني، والبشري، ثم تقول: إنَّ كل الأزهريين عيال عليه في العلم»[1].

ثم كان العلَّامة الكبير الشيخ يوسف الدجوي الأزهري، المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، وكان عضوًا في جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، فقد كان -رحمه الله تعالى- يعقد مجالس إقراء الكتب الحديثية بالجامع الأزهر الشريف في مجلسٍ ضخمٍ يحضره خلق كثير، حتى وصف العلَّامة الشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي في كتابه المسمى بـ«مقامات خير» -وهو كتاب منشور بالأُرْدِيَّة، ولم يُترجم إلى العربية- هذا المجلسَ الذي كان يَقرأ فيه الشيخ يوسف الدجوي «صحيح الإمام البخاري» وأنَّ الجامع الأزهر الشريف كان يزدحم بالحاضرين لدرس الشيخ، وكان -رحمه الله- في مجلس الإقراء يتطرق إلى علوم الحديث ومصطلحه، فيتكلم عن الرجال، وما يتعلق بالبحوث الحديثية، ثم يتكلم عن الناحية الفقهية، وأقوال شرَّاح الحديث، والناحية العربية، كما يذكر من حضر مجلسه من العلماء الأكابر[2].

ويذكر الأستاذ محمد رجب البيومي -رحمه الله- واصفًا أحد المجالس الخاصة للشيخ يوسف الدجوي في بيته ويقرأ عليه العلامة الكوثري فيقول: «وقد رأيت بنفسي أحد مجالس الحديث النبوي بدار العلامة يوسف الدجوي، وشاهدت العلامة الكوثري يقرأ في خشوع حديث الموطأ، والدجوي فوق كرسيه يسمع في يقظة وانتباه، وكان المشهد عجيبًا»[3].

---

(١) «أسانيد المصريين»: (ص: ١٨٥)، «اليواقيت الثمينة»: (ص ٦٣).

(٢) راجع «مجلة الأزهر» - مقال الدكتور أسامة السيد عن الحديث والمحدثين فى الأزهر الشريف (ص٦٤) بتصرف واختصار.

(٣) «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (٢/٤٩٩).

وكان في نفس الوقت يجلس العلَّامة المحدث الكبير محمد بن حبيب الله الشنقيطي الأزهري، والذي كان يعتني بإقراء صحيحي البخاري ومسلم على وجه الخصوص، والكتب الستة على وجه العموم، وكان يقرأ في المسجد الحسيني، ويقرأ كذلك في بيته، وكان ممن حضره عليه العلَّامة الكبير محمد محمد السماحي، والعلامة الشيخ محمد محمد أبو زهو، والعلامة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، وسيدي صالح الجعفري الأزهري حتى قال عنه: «شيخي حبيب الله الشنقيطي -رحمه الله- لقد شاهدت منه كرامات، منها: أنني ذهبت إلى بيته بجوار القلعة ناويًا بقلبي أن أستأذنه في أن أكون مُقرئًا له متن حديث البخاري ومسلم، فلما وصلت البيت وجلستُ بغرفة الاستقبال، وهي أول مرَّة أزوره بها جاءني مبتسمًا، فلما سلمت عليه وقبلت يده، قال لي: أنت إن شاء الله ستكون سرَّادًا لِيْ هذا العام، ومعنى (سرَّادًا) أي: مقرئًا، والحمد لله، قد لازمته إلى الممات، ونزلت قبره، ولحدته بيدي»[1]. قال: ولازمته خمسة عشرة سنة، وكان يبدأ الحديث فيغوص في بحر التراجم، وشرح الحديث، ويأتي بتفسير آيات قرآنية، ومسائل فقهية وأصولية، وغير ذلك.

وظلَّ العلَّامة الكبير المحدث محمود الغنيمي يشرح صحيح الإمام البخاري زمنًا طويلًا، وكان ممن حضره عليه أيضًا سيدي صالح الجعفري -رحمه الله تعالى- حتى قال: «وقد ألهمني الله تعالى منذ ثلاثين سنة، وأنا أقرأ في «البخاري» حينما درسته على الشيخ محمود الغنيمي -رحمه الله- بعد صلاة الصبح بالقبلة القديمة بالجامع الأزهر»[2].

---

(١) «الكنز الثري في مناقب الجعفري» (ص ٤٢-٤٣)، ط: دار جوامع الكلم. القاهرة.

(٢) المرجع السابق: (ص٤٨).

وهذا يدلك دلالة واضحة على أنَّ منهج التلقي في الأزهر الشريف لم ينقطع مطلقًا، وأنَّ مجالس الإقراء تعني طول المداومة على القراءة، وتعني الملازمة أعوامًا عديدة ليحسن الانتفاع بالشيخ، بل ومن قبل كل هؤلاء؛ كان شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، العلامة المحدث الكبير الشيخ سليم البشرى، المتوفى سنة ١٣٣٥هـ؛ عن عمر يناهز التسعين عامًا، وكان محدثًا كبيرًا، مشتغلًا بالحديث وعلومه، والذي عكف طيلة عمره في إقراء كتب الحديث الشريف؛ وخاصة «صحيح الإمام البخاري»، وكان الجامع الأزهر يمتلئ بالحاضرين من العلماء وطلبة العلم، حتى كان من العلماء فقط نحوًا من خمسمئة عالم وباقي الطلبة الذين لم يحص عددهم[1].

فكان -رحمه الله تعالى- قطبا من أقطاب الحديث الشريف، حتى لما توفي رثاه شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصيدة بليغة مؤثرة، قال في مطلعها:

أيدري المسلمون بمن أصيبوا * وقد واروا (سليمًا) في التراب

هوى ركن الحديث فأيُ قطب؟! * لطلاب الحقيقة والصّواب

موطأَ مالكٍ عَزِّ البخاري * ودع لله تعزية الكتاب

فما في الناطقين فمٌ يُوفِي * عزاء الدين في هذا المصاب

قضى الشيخ المحدث وهو يملي * على طلابه فصل الخطاب

ولم تنقص له التسعون عزمًا * ولا صدته عن درك الطِلاب

وما غالت قريحته الليالي * ولا خانته ذاكرة الشباب[2]

(١) «الأزهر الشريف فى ضوء سيرة أعلامه الأجلاء» د/عبد الله نصر (ص١٤٢) ط. مكتبة الايمان. القاهرة.

(٢) «ديوان حافظ إبراهيم»: (١٨٩/٢)، «الأزهر الشريف في ضوء سيرة أعلامه الأجلاء» د/ عبد الله سلامة نصر ص١٤٢، ط. مكتبة الإيمان.

وكان من أولئك الأئمة أيضا شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الببلاوي المالكي الحسني الإدريسي، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، وهو الحائز على الإجازة العالية بما في ثبت الشيخ محمد بن محمد الأمير الكبير، ومنها نسخة خطية بدار الكتب برقم (٣١٢) مصطلح حديث.

وكان يتولَّى مجالس التدريس والإقراء بالجامع الأزهر الشريف والمسجد الحسيني، وكان ممن أجيزوا منه الشيخ محمد بن حامد المراغي المالكي الجرجاوي بما في ثبت الأمير الكبير، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب.

فهذا شئ من عقد الجوهر الذي حافظ عليه علماء الأزهر الشريف، وسلسلة السند التي تولوها بالرعاية والعناية في وقت هُجرت فيه مجالس الإقراء للسنة النبوية إلَّا ما ندر بين كثير من طلبة العلم، وهذا من قديم الزمان -كما بينت- إلى الفترة المتأخرة التي عادت فيها مجالس الإقراء على يد سماحة وفضيلة مفتي الديار المصرية السابق، الدكتور علي جمعة -متعه الله بالصحة والعافية- والذي أقرأ الكتب الستة في الجامع الأزهر الشريف.

وقد سألت سماحته وفضيلته يومًا في الجامع الأزهر الشريف صانه الله تعالى بعد درسه في الأصول، عن مجالس الإقراء لعلماء الأزهر الشريف في الفترة المتأخرة، فأخبرني أنَّ العلَّامة الشيخ محمد السمالوطي أقرأ الكتب الحديثية في الجامع الأزهر ومسجد سيدنا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا الشيخ عبد ربه سليمان، وأقرأ كذلك العلامة عبد الله بن الصديق الغماري في مسجد سيدنا الحسين.

ثم وجدت لشيخنا العلامة الدكتور أحمد عمر هاشم: «أما الأستاذ محمد إبراهيم السمالوطي فقد كان صاحب حلقة حديثية للشرح بالمسجد الحسيني،

وحلقة أخرى للقراءة بمسجد السيدة زينب، وقد ذكرت مجلة الأزهر في نعيه بعدد صفر ١٣٠٥هـ -وكانت تسمى حينئذٍ مجلة «نور الإسلام»- ذكرت أن له عناية خاصة بعلم الحديث دراية ورواية، فكان نبراسًا منيراً، طالما سطع ضوءه في أفق هذا العلم، فانتفع به الطلاب وجماهير المسلمين، وحاز بذلك عظيم التقدير»[1].

ورأيت لشيخنا الدكتور أسامة السيد الأزهري في ترجمته للشيخ محمد السمالوطي، حديثًا عن مجالسه في الإقراء، وذكر الكتب التي كان يقوم -رحمه الله تعالى- بقراءتها، فقال ما نصه: «ثم إنَّه شرع في التدريس في المسجد الحسيني، فدرَّس: «الجامع الصغير» للسيوطي، و«الموطأ»، و«رياض الصالحين»، و«شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة» للشنواني، وغيرها مع «تفسير البيضاوي»»[2].

وكانت قراءة الشيخ -رحمه الله- قراءة شرح وتدقيق، وكان ممن حضر عليه الشيخ صالح الجعفري فقال عن شرح حديث من الأحاديث النبوية: «ومما منَّ الله به عليَّ أنني تلقيت هذا الحديث بشرحه عن شيخي الشيخ محمد السمالوطي بالمسجد الحسيني، شرع يشرح فيه من بعد العصر إلى قُرب المغرب»[3].

وكان الشيخ السمالوطي -رحمه الله تعالى- مشتغلًا بالحديث الشريف وعلومه بل هو «من أحفظ أهل عصره للحديث، وأضبطهم له، وأعرفهم بفنونه، وطبقات رجاله، يعرف الضعاف، والوضاع، والمدلِّسين، ويبحث عن أصول رواية الحديث في مظانِّها، وله تعاليق وحواش على كثير من الكتب التي قرأها»[4].

---

(١) «المحدثون في مصر والأزهر»: (ص ٣٧٨).

(٢) راجع ترجمته في «أسانيد المصريين»: (ص ٦١٣).

(٣) «الكنز الثري في مناقب الجعفري»: (ص٤٠).

(٤) «أسانيد المصريين»: (ص٦١٥).

ثم لا تحسبنَّ أنَّ مجالس الإقراء توقفت عند علماء الأزهر الشريف وإن كانت قد توقفت في الجامع الأزهر الشريف فترة من الزمن، فقد كان من علماء الأزهر الشريف من كان يتولى مجالس الإقراء في مساجد أخرى، أو في بيوتهم، حتى أعادها فضيلة الدكتور علي جمعة فعادت السنة الجارية بإقراء الكتب الحديثية كما سبق بيانه، فأقرأ الكتب الستة في الجامع الأزهر الشريف، وحضره كثيرون، وأجازهم بأسانيده العالية المتصلة بسيدنا رسول الله ﷺ وهو يروي في الحديث الشريف عن شيوخ كُثُر، أمثال العلامة عبد الله بن الصديق الغماري المتوفى ١٤١٣هـ، ومسند الدنيا محمد بن ياسين الفاداني المتوفى ١٤١٠هـ، ومحمد الحافظ التيجاني المتوفى ١٣٩٨هـ، والعلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة المتوفى ١٤١٧هـ، وعن مسند الحجاز العلامة الكبير محمد بن علوي المالكي المكي... وغيرهم كثير، حتى كتب العلامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري ثبتًا يجمع فيه أسانيده، وسماه: «فتح الملك العلي، في أسانيد مولانا الشيخ علي».

ثمَّ حمل من بعده مسؤولية الإقراء جماعة، فقرأ العلَّامة الشيخ يسري السيد جبر الأزهري «صحيح البخاري» مع الشرح، غير مرة، وقرأ كذلك «الشفا» للقاضي عياض في أربع سنوات.وقرأ العلَّامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري «سنن الترمذي» وكذا «الشمائل».

ثم كان في مرحلة أخرى -من بعد تولي الأستاذ الدكتور أحمد الطيب لمشيخة الأزهر الشريف- تحت إشراف فضيلة المفتي كوكبة من مدرسته، وبدأت مجالس الإقراء تعود إلى سابق عهدها من جديد؛ بل أشد، وبدأت كتب السنة تعود إلى سابق عهدها كأنها في العصور الأولى من حياة السلف الصالح.

فقرأ العلَّامة الدكتور محمد وسام عباس الأزهري «صحيح البخاري» وكانت قراءة عناية وتدقيق، فيتكلم عن الرجال، وأقوال الشرَّاح أحيانًا، والأحكام الفقهية، وربما كان يقف وقتًا طويلًا حول رجال السند وتاريخ وفياتهم، وشرفني الله تعالى بالحضور معه، حتى أذكر مرة أنَّه وقف في مسألة فأطال فيها النفس، حتى إنه قال: لم يصب فيها القسطلاني، وتأملنا الحافظ ابن حجر فوجدناه قد نبَّه عليها، حتى أذكر وقتها أنه قال لنا: (لو لم نخرج من الدرس إلا بهذه الفائدة لكفت)، ثم قال: هذا يذكرنا بكلام الشافعي -رحمه الله تعالى-:

سهري لتنقيح العلــوم ألذُّ لي * من وصل غانيةٍ وطيب عناق

وتمايُلي طَرَبًا لحلِّ عويصـــــــةٍ * في الدرس أشهى من مُدامة ساق

وألذُّ من نقر الفتاة لدُفِّهـــا * نقري لأُلقي الرَّمْل عن أوراقي

وأبيت سهران الدُّجى وتبيته * نومًا وتبغي بعد ذاك لحـاقي

وعلى إثرها تذكرت ما قاله العلامة ابن عرفة:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة * وتقرير إيضاحٍ لمشكل صـــــورةِ

وعزو غريب النقل، أو حل مقفل * أو اشكالٍ ابدته نتيجة فكـــرةِ

فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد * ولا تتركنْ فالترك أقبح خُـــلةِ

فأجابه تلميذه الأبي بقوله:

يمينًا بمن أولاك الله أرفع رتبة * وزان بك الدنيا بأكمل زينةِ

لمجلسك الأعلى كفيلٌ بكلهـــا * على حينما عنها المجالس ولَّتِ

فأبقاك من رقَّاك للخلق رحمــةً * وللدين سيفًا قاطعًا كل فتنةِ[1]

(١) «حاشية سنية وتحقيقات بهية»: (ص١٧-١٨)، مطبعة الحلبي .

وقرأ الشيخ عصام أنس النقشبندي «موطأ الإمام مالك»، و«سنن الإمام ابن ماجه»، و«مسند الإمام الشافعي».

ولا زالت دروس الإقراء في الجامع الأزهر الشريف موصولة في زماننا تؤدي ثمارها بحمد الله تعالى، وستظل كذلك بفضل الله ومَنِّه.

*****

الفصل الرابع: لمحة من جهود الأزهريين في إخراج المصنفات والجوامع الحديثية

وهذا فنٌّ خَدَمَه علماء الأزهر الشريف خدمة منقطعة النظير، فبالنظر مثلًا في مؤلفات الأئمة القدامى، أمثال: الإمام القضاعي، والحافظ المنذري، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي، والحافظ السيوطي... وغيرهم ممن تربى في أحضان الجامع الأزهر، وجدنا أنَّ لعلماء الأزهر الشريف في تأليف الكتب الحديثية وتصنيفها سيلًا عارمًا لا يقدر بمقدار، يغفل عنه أكثر المعاصرين الذين يخوضون في علماء الأزهر الشريف، الذين تبعوا نهج سلفهم الصالح في تمسكهم بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله ﷺ، ولم يشذ علماء الأزهر الشريف في العصور المتأخرة عن إدراك مجد الآباء، ولعلي أذكر لك الآن شذرات مما قام به علماء الأزهر الشريف من تصنيفٍ للكتب الحديثية الكبرى والصغرى، ما بين مختصرٍ، ومرتبٍ، وجامعٍ لأحاديث معينة من كتب المحدِّثين، على اختلاف الموضوعات والاتجاهات:

- فوجدنا لشيخ الإسلام والجامع الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي «المختار من التجريد لأحاديث الجامع الصحيح»[1].

- ثم وجدنا لشيخ الإسلام حسن القويسني «سنن القويسني» ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

---

(١) بتحقيق جماعة من علماء الأزهر الشريف – ومراجعة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. ط: القاهرة ١٣٧٥هـ.

– وأين من يتهم علماء الأزهر الشريف وعندنا الإمام العلَّامة أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م، صاحب كتاب «بدائع المنن في ترتيب مسند الشافعي والسنن مقيدًا بالقول الحسن»[١]، وصاحب كتاب «منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود»[٢]، وله «تهذيب جامع مسانيد أبي حنيفة» مع شرحه: «بغية المريد شرح جامع المسانيد»، وله «هداية المقتفي إلى ترتيب مختصر الحصكفي» وله «إتحاف أهل السنة البررة بزبدة أحاديث الأصول العشرة». وهو كذلك أول من قام فخدم «مسند الإمام أحمد بن حنبل» خدمة لم يُخْدَم بها المسند منذ أن جمعه صاحبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مؤلَّفه الضخم المسمى بـ«الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني» و«بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» والأول في ٢٤ جزءًا في ١٢ مجلدًا ضخمًا، والذي أعاد ترتيبه على الأبواب الفقهية؛ بحيث يلحق كل حديث في المسند إلى بابه الفقهي، وهذا مسلك صعب سلكه –رحمه الله تعالى– رحمة واسعة، ويستلزم منه وقتًا، ودراسة، ودراية، وتوفيقًا من الله تعالى قبل كل هذا، فقام –رحمه الله تعالى– زمنًا من عمره وحياته حابسًا نفسه سنين طويلة حتى يخرج لنا هذا العمل الضخم[٣]، حتى قال العلامة الكبير الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف: «وقد أدركنا الشيخ –رحمه الله– وهو منقطع للعلم والتأليف، وقانع من الدنيا بأدنى اليسير، عاكفًا على إخراج هذه المبسوطة الجليلة نحو (٢٥) عامًا، عدا كتبه الأخرى، حتى لقي الله تعالى»[٤].

(١) مطبعة الأنوار – بالقاهرة.

(٢) ط: المنيرية . القاهرة ١٣٢٧هـ .

(٣) وهو مطبوع في دار إحياء الترث العربي . بيروت.

(٤) «العلم والعلماء في ظل الإسلام»: (ص١٣٢، ١٣٣)، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

ولعلَّ مجهود الشيخ -رحمه الله تعالى- هو دعوة الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- حين قال: «فلعلَّ الله يقيض لهذا الديوان العظيم من يرتبه، ويُهَذِّبه، ويخرج ما كرر فيه، ويصلح ما تصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره، ويرتب الصحابة على المعجم.. حتى قال: ولولا أني قد عجزت عن ذلك لضعف البصر وعدم النية وقرب الرحيل لعملت في ذلك».

قلت: فانظر رحمني الله وإياك كم من العمر مضى بعد الإمام الذهبي، بل وقبله، ولم تتوفر عناية العلماء لخدمة المسند بمثل ما قامت جهود الأزهريين في الفترة المتأخرة، على يد عالم من علماء الأزهر الشريف. وعمل الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا وجهوده في ترتيب مسند الإمام أحمد يدل بالدرجة الأولى على علو مكانته ورسوخ قدمه في علم الحديث الشريف، مع توفيق من الله تعالى قبل ذلك، حتى قال -رحمه الله تعالى- في أول مقدمة كتابه هذا:

«ولما كنت منذ الطفولة ولوعًا بكتب السنة إلى نهاية الطلب، ويسَّرَ الله لي في تلك المدة قراءة الكتب الستة، وغيرها من الأقوال المتبعة عند المحدثين، اشتاقت نفسي إلى قراءة المسند، وذلك في سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وهي نهاية الحلقة الرابعة من عمري، فوجدته بحرًا خِضَمًّا، يَزْخَرُ بالعلم، ويموج بالفوائد، بيد أنه لا فرصة -(والفرصة من البحر: محط السفن، أي: الميناء)- له، ولا سبيل إلى اصطياد فرائده -أي: جواهره النفيسة-، واقتناص شوارده، فخطر بالخاطر المخاطر، وناجتني نفسي أنْ أُرتب هذا الكتاب، وأعقل شوارد أحاديثه بالكتب والأبواب، وأقيد كل حديث منه بما يليق من باب وكتاب، وأقرنه بقرينه وأنيسه، وأجلس كل جليس مع جليسه، فاستصغرت نفسي هنالك، واستعجزتها عن ذلك، ولم يزل الباعث يقوى، والهِمَّة تنازعني، والرغبة

تتوفر، وأنا أُعلِّلها بما في ذلك من التعرض للملام، والانتصاب للقدح، والأمن من ذلك جميعه مع الترك، ويأبى الله إلا أن يتم نوره»[1].

ولأجل ما قدَّمه الشيخ -رحمه الله تعالى- من جهود في خدمة السنة النبوية، كتب الباحث عبد العزيز مهند حسين رسالة (ماجستير) في كلية أصول الدين بالقاهرة بعنوان «العلامة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وجهوده في السنة» سنة ١٩٩٢م. وبعد هذه الأعمار التي أنفقت في خدمة الحديث الشريف نجد من يدعي أن علماء الأزهر بعيدين عن السنة النبوية!!!

- ثم حسب الأزهريين فخرًا بالعلامة المحدث المحقق البارع الشيخ أحمد محمد شاكر، والذي قال عنه شقيقه محمود محمد شاكر: «أما عمله الذي استولى به على الغاية، فهو شرحه على مسند أحمد بن حنبل، منه خمسة عشر جزءًا، فيها من البحث، والفقه، والمعرفة، ما لم يلحقه فيه أحد من أهل زمانه»[2]. ثم بعد كل هذا تجد من يتهم علماء الأزهر بِقِلَّةِ البضاعة في الحديث الشريف وعلومه!!

- ثم أين من يدَّعي ذلك ولدينا العلَّامة المحدث الكبير محمد حبيب الله الشنقيطي، أستاذ الحديث الشريف بكلية أصول الدين في أول نشأتها في الخازنداره بشبرا، ومؤلفه الماتع المسمى بـ«زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» وقد شرحه في كتابه المسمى بـ«فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم» في خمسة مجلدات كبار[3].

(١) «الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني»: (١/١٢-١٣)، ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(٢) «جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر»: (٢/١٠١٤).

(٣) ط: مطبعة مصر. ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

- وللدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم: «الموسوعة الحديثية» وهي مخطوطة في أربعة عشر مجلدًا.

- وقامت لجنة من أساتذة كلية أصول الدين بالقاهرة بجمع: «الموسوعة الحديثية الكبرى» وهي مخطوطة في مكتبة الكلية.

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم «موسوعة الأحاديث النبوية الصحيحة» من كتب السنة الصحيحة مع الشرح(١).

- وللعلّامة المحدث محمد زكي الدين أبي القاسم الحجازي المالكي الأزهري كتابًا ماتعًا سماه «جامع البيان لما اتفق عليه الشيخان» وهو صاحب الإسناد العالي من العلامة الكبير الشيخ أبي محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني، والعلامة المحدث الكبير محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني، كما ذكره في مقدمة كتابه، وأن الواسطة بينه وبين البخاري اثنتا عشرة واسطة، وبينه وبين مسلم ست عشرة واسطة، وهو كتاب غاية في النفاسة والتحرير، عمل فيه صاحبه على جمع الروايات، ويتكلم عن الرواة وطرائف الإسناد، ويتكلم عن اللغة والبيان، وأقوال الشراح تأييدًا ومعارضة، وكذا ما يستفاد من الحديث(٢).

- وللعلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري «الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين» وهو مشتمل على (٤٦٢٦) حديثًا من الأحاديث النبوية الشريفة، وهو مطبوع.

---

(١) وقد طبع منه عدة أجزاء في الدار المصرية السعودية.

(٢) وهو مطبوع في خمسة عشر مجلدًا في دار الصفوة. القاهرة.

- وللعلَّامة المحدث محمد أحمد بدوي الدسوقي في كتابه الذي ليس له نظير في قديم ولا حديث والمسمى بـ«كفاية المسلم في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم» والذي قال مؤلفه في مقدمته: «وهو أول جامع متقصٍ للصحيحين في تاريخ السنة؛ فلم يسبقني فيما سلكته فيه سابق»، وقد قدم له صفوة من علماء الأزهر الشريف، أمثال الشيخ حسنين مخلوف، والشيخ محمد النواوي، والشيخ عبد اللطيف مشتهري، والدكتور إسماعيل الدفتار، وأثنوا عليه ثناءً عاطرًا. وهو مطبوع في ٤ مجلدات ضخمة.

- وكتب الأستاذ عباد أحمد صقر، والأستاذ أحمد عبد الجواد «جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير»، قرأه وراجعه الدكتور محمد المهدي محمود، والدكتور شعبان علي خليل، وفي أوله قبس من كلام شيخ الإسلام عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر الشريف على تقديمه للجامع الكبير[١].

- وكتب الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر الأزهري «صفوة صحيح البخاري» مع الشرح، في ٤ مجلدات[٢].

- وللدكتور يوسف القرضاوي «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، وقدم له وعلق عليه ووضع فهارسه في مجلدين[٣].

- وأصدرت لجنة (القرآن والسنة) التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، كتابًا قيِّمًا سلكوا فيه مسلك الإمام مسلم في تبويب صحيحه، وأسموه بـ«المنتخب

---

(١) وهو مطبوع في دار الريان للتراث.

(٢) الطبعة الخامسة. جامعة الأزهر — القاهرة.

(٣) ط: الدوحة. مركز بحوث السنة والسيرة ١٤٠٩هـ.

من السنة» وهو جمع للأحاديث الصحيحة، والحسنة، والمراسيل، التي قبلها أئمة الحديث، كمالك، وابن عيينة، وغيرهما، مع شرح مبسط وموجز، في ١٣ جزءًا[1].

- وشُكِّلَتْ لجنة من دار الإفتاء المصرية، تحت إشراف سماحة مفتي الديار المصرية السابق، الدكتور/ علي جمعة (متعه الله بالصحة والعافية)، وبرئاسة الشيخ/ عصام أنس، ودراسة الأستاذ الدكتور/ حسن عباس ذكي، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وأخرجوا لنا جامعًا من الجوامع الحديثية الكبرى، والمسمَّى بـ«جامع الأحاديث من كتب الإمام السيوطي، والمتقي الهندي، والمُناوي، والنبهاني» في ١٢مجلدًا ضخمًا. وفي أوله ساق الشيخ عصام أنس سنده العالي إلى الحافظ السيوطي -رحمه الله تعالى- وهو يرويه مباشرة عن العلَّامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري.

- وكتب العالم الأزهري منصور علي ناصف الأزهري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ وكان إمام مسجد السيدة زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كتابًا قيمًا، سمَّاه «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ» ومعه «غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول» وهو شرح لسبعة وثمانين وثمان مئة وخمسة آلاف حديث من الأحاديث النبوية الشريفة (٥٨٨٧)، على ترتيب الأبواب الفقهية وقد ظلَّ في تأليفه عمرًا طويلًا كما نص على ذلك في آخر الكتاب بقوله: «مكثت في تأليف الكتاب سبع سنين، وكذا مكثت في الشرح سبع سنين أخرى بجبر الكسر». وقد قدَّم له جماعة من كبار علماء الأزهر الشريف، كالعلامة الكبير مفتي الديار المصرية وقتها: العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، وشيخ كلية أصول الدين العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان، والعلامة الكبير يوسف الدجوي، والعلامة الكبير محمد الببلاوي الحسني، والعلامة الكبير

(١) وهو مطبوع في مطابع العرب مصر. ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

محمد بن حبيب الله الشنقيطي، والعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار، والعلامة الشيخ أمين محمود سرور[1].

- وللأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف الديروطي المالكي الأزهري المتوفى ١٩٧٠م جمع لـ «مختارات الأحاديث والحكم النبوية من صحيح الجوامع والسنن، والمسانيد، والمعاجم، والمختارة للمقدسي» مع التحقيق والشرح[2].

- وللعلَّامة الكبير يوسف النبهاني الفلسطيني الأزهري، المتوفى ١٩٣٢م كتابه الماتع: «إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب على البخاري ومسلم»، وهو مطبوع.

- وقامت لجنة (القرآن والسنة) تحت رعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمع أربعمئة حديث من الأحاديث القدسية وكان هذا الجمع من الكتب السبعة، التي هي أصول السنة، كصحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وموطأ الإمام مالك، وسنن الإمام أبي داود، وجامع الإمام الترمذي، وسنن الإمام النسائي، وسنن الإمام ابن ماجه، وقد طبع تحت عنوان: «الأحاديث القدسية» وقال عنه الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ما نصه: «وهذا كثير إذا قيس بالمصنَّفات الأخرى في الأحاديث القدسية»[3]، مع شرح مبسط في مجلدين، وقد طبع غير مرة تحت رعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

ناهيك عن رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) التي عنيت بجمع الأحاديث

(١) وهو مطبوع في جريدة الأزهر الشريف، وطبع مرة أخرى في دار الكتب العربية في خمسة مجلدات كبار.

(٢) ط: مكة المكرمة – مكتبة النهضة الحديثة ١٣٧٨هـ.

(٣) «طرق تخريج الحديث»: (ص ٢٤٨) ط. مكتبة الإيمان.

النبوية، والتي هي دقائق في الحديث الشريف حول موضوع واحد أو قضية واحدة، فيكون جمعًا متقصيًا من عيون كتب السنة النبوية الشريفة، وإليك بعض الأمثلة:

- قام عدد من الباحثين في كلية أصول الدين بالقاهرة بتخريج وتحقيق الأحاديث الواردة في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي في: رسالة (دكتوراه) للدكتور أحمد رجب أحمد، تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش برقم (١١:١٣). ورسالة (دكتوراه) للدكتور عادل جاسم صالح، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم (١٣٠:١٣٣)، وغير ذلك كثير، فهذا غيض من فيض.

- وكتب الدكتور حمدي عبد العظيم فرحات «أحاديث الرؤيا جمع وتخريج» (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عاطف أمان، برقم: (١٨).

- وكتب الدكتور عبد الله عبد الحميد «الرقاق في ضوء السنة» (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي برقم (٧٦).

- وكتب الدكتور إبراهيم علي عيسى «الأحاديث والآثار في مسائل سور القرآن الكريم» (دكتوراه) تحت إشراف الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي برقم (٩٦).

- وكتب الدكتور محمود عبد الوهاب رحمه «أحاديث الفتن وأشراط الساعة» (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (١٥٥).

- وجمع الدكتور محمد ضياء الرحمن «أقضية رسول الله ﷺ» برقم: (٢٦٣٢).

إلى غير ذلك من المصنفات والجوامع الحديثية الكبرى التي قام بها علماء الأزهر الشريف، والتي مهدت للسنة النبوية المشرفة أن تتغلل في عقلية ونفسية المسلم، ما بين مختصرٍ، ومرتبٍ، وجامعٍ، ومنتقٍ، مما يصعب حصره في نصف القرن الماضي فقط.

وإني لأعجب كل العجب من هذه المجهودات التي لا تقدر بمقدار، والتي أنفقت فيها الأعمار، وكُرِّست فيها تلك الجهود لخدمة كتب السنة النبوية والاعتناء بها، ولكن هذا تذكيرٌ لمن غاب عنه اشتغال الأزهريين بالسنة النبوية المشرفة، وتعليم لمن قام يطعن في علماء الأزهر الشريف، وهم رموز الأمة الداعون إلى الله على بصيرة، المنتسبون إلى الهدي النبوي المحمدي، الذين غرسوا محبة رسول الله ﷺ في قلوب العالمين، ثم بعد كل هذا لا يزال من يدَّعي ضعفهم في الحديث الشريف ظلمًا وزوراً!! متناسين متجاهلين لتلك الجهود التي لا تُوصف، فبأي منطق يَهْرِفُ هؤلاء؟!

*****

الفصل الخامس: لمحة من جهود الأزهريين في تحقيق الكتب الحديثية

وهذا فنٌّ من أبرز من تكلَّم فيه على الإطلاق علماء الأزهر الشريف بلا منازع، حتى كان للعلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله تعالى- كتابًا في كيفية ضبط الكتاب وتصحيحه، وسمَّاه «تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب»[1]. ثم اعتنى به العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وعلَّق عليه وأضاف إليه[2].

وعلم التحقيق من العلوم التي لا يُستهان بها حتى إن العلَّامة الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله- صرح بذلك فقال: «تصحيح الكتب وتحقيقها من أشق الأعمال، وأكبرها تبعة»[3].

ولذا وضع العلماء لهذا العلم قواعد وأصول لا بد للمحقق أن يراعيها، ولعلَّ علماء المسلمين كان لهم قصب السبق في هذا المنهج، لا كما يزعم بعضهم أنه ظهر على يد المستشرقين، فقواعد هذا العلم هي التي عناها علماء الحديث الشريف في باب كتابة الحديث وعرضه وسماعه، فترى الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في كتابه «اختصار علوم الحديث» قد ذكر قواعد التحقيق على سبيل الإجمال، فقال بعد أن رجح القول بكتابة الحديث الشريف على قول من منع بإجماع الأعصار

(١) ط: مكتبة الإيمان — الجامعة الأزهرية.

(٢) ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٤١٤هـ.

(٣) راجع مقدمة تحقيقه لـ«سنن الترمذي» (١/١٥)، ط. دار الحديث. القاهرة.

المتأخرة: «فإذا تقرر هذا فينبغي لكاتب الحديث -أو غيره من العلوم- أن يضبط ما يشكل منه، أو قد يشكل على بعض الطلبة، في أصل الكتاب نقطًا وشكلًا وإعرابًا، على ما هو المصطلح عليه بين الناس، ولو قيد في الحاشية لكان حسنًا، وينبغي توضيحه، ويكره التدقيق والتعليق في الكتاب لغير عذر. قال الإمام أحمد لابن عمه حنبل -وقد رآه يكتب دقيقًا- لا تفعل، فإنه يخونك أحوج ما تكون إليه. قال ابن الصلاح: وينبغي أن يجعل بين كل حديث دائرة. وممن بلغنا عنه ذلك: أبو الزناد، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم الحربي، وابن جرير الطبري... حتى قال: وقد تكلم الشيخ أبو عمرو على ما يتعلق بالتخريج، والتضبيب، والتصحيح... وغير ذلك من الاصطلاحات المطردة والخاصة ما أطال الكلام فيه جدًّا»[1].

وترى الإمام الجليل الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- يقول: «ومن المهم معرفة صفة كتابة الحديث: وهو أن يكتبه مبينًا مفسرًا، ويشكل المشكل منه، وينقطه، ويكتب الساقط في الحاشية اليمنى ما دام في السطر بقية، وإلَّا ففي اليسرى، وصفة عرضه، وهو: مقابلته مع الشيخ والمسمع أو مع ثقة غيره أو مع نفسه شيئًا فشيئًا...»[2].

فتبين من ذلك أن قواعد علم التحقيق هي ما عرفت عند المحدثين بـ(باب كتابة الحديث وضبطه)، وأن هذا العلم هو وليد حضارة الإسلام، وأن علماء المسلمين كانوا يمارسون قواعده وأصوله في كتاباتهم، لكن تدوين قواعده في كتاب مستقل، والذي عرف بعد ذلك بمنهج نقد النصوص وتصحيح الكتب، كان فيما أعلم

(١) «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث»: (ص ١١٠: ١١٣)، مع تعليقات الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- وهي مهمة جدًّا، ط. مكتبة دار التراث.

(٢) «نزهة النظر شرح نخبة الفكر»: (ص ١٠٤) بتحقيق أحمد بن سالم المصري، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

على يد المستشرق الألماني (برجستراسر) عندما قدم إلى مصر، وألقى مجموعة من المحاضرات في كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، وعمل على نشرها الدكتور محمد حمدي البكري، باسم: «أصول نقد النصوص ونشر الكتب» وصدرت تلك المحاضرات عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.

ثم وضع الدكتور إبراهيم مدكور بعض القواعد لنشر الكتب القديمة للَّجنة التي أنيط بها إخراج كتاب «الشفاء» لابن سينا، سنة ١٩٣٥م.

ثم كان كتاب الدكتور عبد السلام هارون والمسمى بـ«تحقيق النصوص ونشرها» وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها فضيلته على طلبة كلية دار العلوم، وكانت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٥٣م.

ثم كتب الدكتور صلاح الدين المنجد «قواعد تحقيق النصوص»[١].

ثم كتب الدكتور محمود محمد الطناحي كتابًا ماتعًا أثنى عليه غير واحدٍ من شيوخنا، سمَّاه «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» ويُعدُّ هذ الكتاب وكتاب الدكتور عبد السلام محمد هارون أفضل ما كُتب على الإطلاق[٢].

وكتب الدكتور رمضان عبد التواب «مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين»[٣].

وكتب الدكتور عبد المجيد دياب «تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره»[٤].

(١) ط: مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٥٥م.

(٢) وهو مطبوع في مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٤م.

(٣) ط: مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٨٧م.

(٤) ط: دار المعارف. القاهرة ١٩٩٣م.

وهو فن صعب يتطلب من المحقق أشياء في غاية الدقة، منها:

١. جمع الأصول والنسخ الخطية العتيقة الموجودة، أو النسخ المتداولة؛ ليتوصل من خلال ضوابط وقواعد يسلكها المحقق في المراجع السابقة إلى ضبط نصوص الكتاب غاية الضبط والصحة.

٢. يُلزِم المحقق بالتأكد من صحة عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

٣. مقابلة النسخ الموجودة بين يديه، وتقديم واحدة منها تكون هي المرجع له، مع إعطاء رموز في الحاشية للنسخ الأخرى؛ وإطلاع القارئ على اختلاف النسخ.

٤. العمل على ضبط النص، وشكل المشكل، من المتن، والأعلام، والمصطلحات، وكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع الإشارة إلى تعديل ذلك في الهامش.

إلى غير ذلك من القواعد التي تلتمس في المراجع السابق ذكرها؛ فقام علماء الأزهر الشريف بتحقيق الكتب الحديثية، من أول «صحيح الإمام البخاري»، والكتب الستة، والمعاجم، والمسانيد، والمصنفات، إلى «الأربعين النووية».

- فقام العلَّامة الكبير شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر حسونة النواوي المتوفى سنة ١٣٤٣هـ، ١٩٢٥م، بمجهود ضخم عندما جاءه الأمر السلطاني بتحقيق «صحيح البخاري» فعقد -رحمه الله تعالى- مجمعًا علميًّا كبيراً يضم العشرات من خيرة علماء الحديث واللغة في الأزهر الشريف؛ للنظر في نُسَخِ «صحيح الإمام البخاري» لأجل مقابلتها وضبطها، وكان على رأس هؤلاء العلماء: العالمان الجليلان اللذان تقلد كلٌّ منهما منصب شيخ الأزهر فيما بعد، وهما الشيخ سليم البشري، والشيخ علي محمد الببلاوي، وغيرهما من السادة الأكابر، من أئمة المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر الشريف، فجمعوا النسخ الخطية القديمة من المكاتب العامة والخاصة،

وجعلوا يقابلون المخطوط بالمطبوع، مع التحرير والتدقيق، والتفتيش الدقيق، والبحث المستمر، لاستخراج الفوارق بين تلك النصوص، واعتمدوا في ذلك على نسخة هي من أوثق نسخ البخاري على الإطلاق، وهي النسخة المنسوبة للحافظ شرف الدين اليونيني، وأخرجوا لنا نسخة غاية في النفاسة والدقة سنة ١٣١١هـ، وهي التي عرفت بالطبعة السلطانية.

وكذا حقق أصوله، ووثق نصوصه، وكتب مقدماته، وضبطه، ورقمه، ووضع فهارسه، العلَّامة الشيخ الأزهري: طه عبد الرؤف سعد[١].

وراجعه وأملى حواشيه، وضم أحاديثه وأطرافه، العلَّامة الشيخ محمد زكي الدين محمد أبو القاسم الأزهري[٢].

- وحقق الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، والدكتور موسى محمد علي «شرح صحيح البخاري» للشيخ زروق الفاسي المتوفى ٨٩٩ هـ. وقدم له الإمام الأكبر شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود، في ستة مجلدات[٣].

- واعتنى الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي بـ«صحيح البخاري» مع «كشف المشكل» للإمام ابن الجوزي، تحقيق ودراسة وفهرسة، في أربعة مجلدات[٤].

- ثم تولى «صحيح مسلم» العلَّامة الدكتور موسى شاهين لاشين والدكتور أحمد عمر هاشم وحققاه وعلقا عليه في ٥ مجلدات[٥].

---

(١) ط: مكتبة الإيمان بالمنصورة. مصر ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م.

(٢) ط: دار الصفوة. القاهرة.

(٣) وهو مطبوع في مطبعة حسان. القاهرة.

(٤) وهو مطبوع في دار الحديث. القاهرة، سنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٥) ط: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بيروت.

- واعتنى به مشروحًا للنووي أيضًا العلامة الأزهري الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، وحققه في ٩ أجزاء[١].

- وحقق العلامة الدكتور يحي إسماعيل «شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض والمسمى بـ«إكمال المعلم بفوائد مسلم» في تسعة أجزاء، وهو مطبوع.

- ثم اعتنى الأستاذ الدكتور محمد محي الدين عبد الحميد بتحقيق «سنن أبي داود السجستاني»[٢].

- وشرحه وحققه الدكتور السيد محمد سيد، والدكتور عبد القادر عبد الخير، والأستاذ سيد إبراهيم، في خمسة مجلدات[٣].

- وحققه كذلك الدكتور إسماعيل عبد الواحد مخلوف، في رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين سنة ١٩٨٣م.

- وللعلَّامة الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر تحقيق «مختصر سنن أبي داود» للحافظ المنذري ومعه «معالم السنن» للخطابي و«تهذيب ابن القيم» بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي، وقد طبع في ٨ مجلدات.

- ثم اعتنى بـ«سنن الإمام النسائي» ورقَّمه ووضع فهارسه العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مع شرح الحافظ السيوطي، وحاشية الإمام السندي[٤].

(١) ط: دار البيان العربي بالأزهر الشريف،نشر المكتبة التوفيقية.

(٢) طبع مرة في دار الكتب العلمية – بيروت، وطبعة أخرى بالمطبعة التجارية.

(٣) ط: دار الحديث . القاهرة.

(٤) ط: الثالثة . دار البشائر الإسلامية – بيروت.

- وحققه كذلك الدكتور السيد محمد السيد، والأستاذ علي محمد علي، والأستاذ سيد عمران، وضبط أصوله العلامة الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي، في خمسة مجلدات[1].

- وحققه كذلك الدكتور تاج الدين محمد في رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور حمدي السيد ندا برقم (٥٥٢)، في كلية أصول الدين بالقاهرة.

- ثم اعتنى بـ«سنن الترمذي» العلَّامة المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر بتحقيق جزئين، وحقق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وأتم تحقيق الرابع والخامس الشيخ إبراهيم عطوة عوض[2]. وطبع مرة أخرى بمطبعة الحلبي، للشيخ أحمد محمد شاكر، ومعه الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، تحقيق وتصحيح[3].

- واعتنى بتحقيقه أيضًا العلامة الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي[4].

- واعتنى كذلك بـ«سنن ابن ماجه» وخرَّج أحاديثه وفهرسه[5].

- وكذا رسالة (دكتوراه) للدكتور/ بحروني إيناس الأزهري في تحقيق القسم الثاني من «سنن ابن ماجه»، تحت إشراف العلامة الدكتور عبد المنعم السيد نجم، في كلية أصول الدين بالقاهرة برقم (٤٤).

---

(١) ط: دار الحديث. القاهرة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(٢) وهو مطبوع في دار الحديث. القاهرة.

(٣) وهو مطبوع في دار الفكر – مكتبة الرياض الحديثة في خمسة مجلدات.

(٤) وهو مطبوع في دار الحديث. القاهرة. في ستة مجلدات، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(٥) وقد طُبع في أربعة مجلدات، ط: دار الحديث. القاهرة، وحققه الشيخ عماد زكي البارودي، ط: دار التوفيقية للتراث. القاهرة.

– واعتنى بـ«موطأ مالك» الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، فحققه وعلق عليه[1].

– وحققه بشرح أبي الوليد الباجي المتوفى ٤٩٤هـ المسمى بـ«المنتقى» العلامة الدكتور محمد عبد القادر أحمد عطا، في ٩ أجزاء[2].

– واعتنى علماء الأزهر الشريف بـ«مسند الإمام أحمد» في القرن الماضي اعتناءً لم يكن في تاريخ المسند مطلقًا، فشرع الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه؛ لكنه لم يتمه، فقام الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم وأتمه من أول الجزء السادس عشر إلى العشرين، وخرَّج أحاديثه[3].

ويحدثنا الدكتور محمد رجب البيومي عن إكمال المسند للشيخ الحسيني بعد الشيخ أحمد شاكر، وكيف كان تواضع العلامة الحسيني هاشم أمام العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر رحم الله الجميع، فيقول الدكتور البيومي: «كنت في زيارة الحسيني فوجدته يقول في حيرة: لقد عهد إليَّ أن أقوم مقام العلامة الشيخ أحمد شاكر، وأين أنا منه؟ بل أين أنا من تلاميذه؟ إن العبء ضخم والجهد محدود فماذا ترى؟ قلت: إن حبك لحديث رسول الله ﷺ سيمدك بالعزم والأيد إن شاء الله، فصاح الحسيني يقول: والله لقد استحييت من رسول الله أن أرفض هذا العمل، وسأبذل جهدي؛ فإذا قصَّرت عن الغاية المثلى التي التزمها الشيخ فليغفر الله لي»[4].

– وللدكتور أحمد عمر هاشم أجزاء في تحقيق المسند كذلك. وسمعت مرة

(١) وطبع مرة بالمجلس الأعلى للشؤون، الإسلامية سنة ١٣٨٢هـ، ومرة بالمكتبة العلمية.

(٢) ط: دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٣) وهو مطبوع في دار المعارف سنة ١٣٩٤هـ، في عشرين مجلدًا.

(٤) «المحدثون في مصر والأزهر»: (ص ٣٩٤).

من شيخنا العلَّامة المحدث الكبير الدكتور أسامة السيد الأزهري أنَّ الشيخ شعيب الأرنؤوط: -رحمه الله تعالى- قام بلجنة وكان فيها جماعة من كبار علماء الأزهر الشريف، وكان على رأسهم المحدث النقاد، أستاذ العلل، سيدي الشيخ أحمد معبد عبد الكريم الأزهري، واستدركوا أحاديث في نسخ أخرى غير التي اعتمد عليها الشيخ أحمد شاكر، وهو مطبوع.

- ناهيك عن جهود الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي في ترتيبه للمسند في: «الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام ابن حنبل الشيباني» وقد مرَّ بنا الحديث عن ذلك.

ثم عدة رسائل جامعية (ماجستير) و(دكتوراه) حول مسانيد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مسند الإمام أحمد، وغيره مما أُسند إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحت إشراف الدكتور موسى شاهين لاشين، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد شوقي خضر، والدكتور أبي العلا علي أبي العلا، والدكتور يونس شاهين لاشين، وغيرهم، وكلها مخطوط في مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.

- وحقق الدكتور سيد عمر محمد عمر «مسند جرير بن عبد الواحد» في رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور أبي العلا علي أبي العلا سنة ١٩٨٠م، وهي مخطوطة في كلية أصول الدين بالقاهرة.

- وحَقق كتاب «سنن الدارقطني» الدكتور رزق رزق عامر في رسالة علمية في كلية أصول الدين بالقاهرة برقم (٥٩٤).

- وحَقق «مسند أبي نعيم الأصفهاني» الدكتور صبري عطية حسن قيثارة، رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم سنة ١٩٩٠م.

- وشاركه الدكتور سعد محمد سليمان، تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، سنة ١٩٩٠م.

- واهتم الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله تعالى- كذلك بتحقيق «صحيح ابن حبان» فحقق الجزء الأول منه بترتيب علاء الدين الفارسي(١).

- وحقق العلامة الدكتور محمد عبد الرازق حمزة كتاب: «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(٢).

- واهتم العلامة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي بتحقيق وترتيب «مسند أبي داود الطيالسي»(٣).

- ورتب كذلك مسند الإمام الشافعي وسماه «بدائع المنن في ترتيب مسند الشافعي والسنن مقيدًا بالقول الحسن»(٤).

- ورتبه محمد عابد السندي، وعرَّف الكتاب وترجم للمؤلف العلَّامة محمد زاهد الكوثري، وتولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله يوسف علي الزواوي الحسني، وعزت العطار الحسيني(٥).

- وحقق العلامة الدكتور مصطفى عبد القادر عطا «المستدرك على الصحيحين» طبع منه خمسة أجزاء(٦).

---

(١) ط - دار المعارف - القاهرة.

(٢) ط: المطبعة السلفية . القاهرة.

(٣) ط: المنيرية . القاهرة، سنة ١٣٧٢هـ.

(٤) المطبعة المنيرية — القاهرة .

(٥) ط: دار الكتب العلمية — بيروت.

(٦) ط: دار الكتب العلمية . بيروت.

- وحُقِّقَ ودُرِس في كلية أصول الدين بالقاهرة لعدة باحثين في رسائل (ماجستير) و(دكتوراه)، منها: ما قام به الدكتور جمال عبد الحميد في رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الدكتور يحيي إسماعيل برقم (١٤:١٧).

- ومنها: رسالة (دكتوراه) للدكتور عبد الجواد عبد المقصود تحت إشراف الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم (٨٨).

- ومنها: رسالة (ماجستير) للدكتور أحمد محمد أبي المعاطي تحت إشراف الدكتور مروان شاهين، برقم (٣١٢).

- ومنها: رسالة (ماجستير) للدكتور ياسر مغاوري عبد الحميد تحت إشراف الدكتور رزق رزق عامر، برقم (٢٤٩: ٢٥٠).

- ومنها: رسالة (ماجستير) للدكتور زكريا محمد زاهر تحت إشراف الدكتور محمود عبد الوهاب رحمة، برقم (٣٤٠: ٣٤١).

- وحُقق كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري على يد الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مزيد[1]. وله تحقيق «الأربعين النووية».

- ومثله تحقيق على كتاب «الموطأ» لعبد الله بن وهب المصري[2].

- وطبع جزء له باسم «الجامع» لابن وهب المصري، بتحقيق الدكتور مصطفى حسن حسين محمد أبي الخير، في رسالة (الدكتوراه) وجاء في مجلدين[3].

---

(١) ط١ ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) ط: دار الوفاء ـ مصر.

(٣) وهو مطبوع في دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

- وقام العلَّامة المحدث الكبير الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتحقيق ودراسة «مسند علي بن الجعد»[1].

- وحقق «سنن الدارمي» الأستاذ سيد إبراهيم، والأستاذ علي محمد علي، وضبط أصوله وفهرسه العلامة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي[2].

- وحُقق الكتاب الضخم الذي جمعه الحافظ السيوطي والمسمى بـ: «جمع الجوامع» المعروف بالجامع الكبير، والذي يحتوي على قرابة مئة ألف حديث، جمعها الحافظ من ثمانين كتابًا، تمَّ تحقيقه على يد لجنة من علماء الأزهر الشريف في مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، في ٢٤ مجلدًا، من خمس نسخ مخطوطة، وقدم له الإمام الأكبر وشيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، والدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية[3].

- واعتنى الأستاذ الدكتور حسن عباس ذكي بتولي نشر جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير، وقدم له الأستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وهو مطبوع.

- وحقق الدكتور محمد حامد الفقي «جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ» لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ تحت إشراف العلَّامة الأزهري الكبير الشيخ عبد المجيد سليم في ١٢ مجلدًا[4].

---

(١) وهو مطبوع في مكتبة الفلاح ـ بالكويت.

(٢) ط: دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

(٣) ط: الأزهر الشريف، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٤) ط: دار إحياء التراث العربي.

- واعتنى العلَّامة المحدث الدكتور السيد أحمد صقر بتحقيق كتاب «معرفة السنن والآثار» لأبي بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ[1].

- واعتنى العلَّامة الأزهري الدكتور محمد سيد جاد الحق بالتحقيق والتعليق على كتاب: «شرح معاني الآثار» لأبي جعفر الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١هـ. وقد قال في مقدمته: «وكم كانت غبطتي حينما تحققت أمنيتي فسجدت لله شكرًا على نعمة التوفيق لإخراج هذا الكتاب الذي يعد بحقٍّ ذخيرة المكاتب ودُرَّة لامعة في جبينها»[2].

- واعتنى العلَّامة اللغوي المحدث الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد بتحقيق «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ[3].

- وحقق -رحمه الله تعالى- كتاب «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للحافظ السيوطي، وضبط غريبه[4].

- وقام العلَّامة الأزهري يوسف النبهاني الفلسطيني الأزهري بضم أحاديث الجامع الصغير وزيادته، ومزج الكتابين دون تمييز بينهما في مؤلف واحدٍ، ورتَّبه على حسب الحروف، لكنه وضع أمام حديث زيادة الجامع حرف الزاي؛ ليميز الأصل من الزيادة، مع مزجهما في بعضهما، وسمى كتابه: «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير».

---

(١) ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٩٠هـ.

(٢) وهو مطبوع في ٤ أجزاء في مطبعة الأنوار المحمدية.

(٣) في أربعة مجلدات، مطبعة السعادة — القاهرة.

(٤) وهو مطبوع في المكتبة التجارية ١٣٥٢هـ.

- وقام العلّامة عبد الله بن الصديق الغماري بخدمة كتاب «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للحافظ السخاوي وصححه وعلّق حواشيه، ورقّم له مع الترجمة للمؤلف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف[1].

- وقام الأستاذ العلامة الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، والأستاذ العلامة الدكتور مصطفى محمد الهواري بتحقيق كتاب «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ﷺ» للإمام الشوكاني في عشرة مجلدات[2].

- وحَقق العلامة الدكتور مصطفى عبد القادر عطا، كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، في ١٢ مجلد[3].

- وقام الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر أحمد عطا بدراسة وتحقيق كتاب «النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة»[4].

- وحَقق الدكتور عزت علي عطية بالاشتراك مع الدكتور موسى محمد علي كتاب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» للشهاب أحمد بن بكر البوصيري المتوفى سنة ٨٤٠هـ[5].

- وحَقق العلامة المرحوم الشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية سابقًا، وعضو جماعة كبار العلماء «التعظيم والمنة في أنَّ أبوي النبي ﷺ في الجنة» للحافظ السيوطي، وهو كتاب قيم، أثبت فيه براءة الأبوين الشريفين من لوثة الشرك

(١) وقد طبع غير مرة منه طبعة مكتبة المثنى. بغداد ١٣٧٥هـ .

(٢) ط: مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) وهو مطبوع في دار الكتب العلمية.

(٤) ط: مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ١٤١٢هـ.

(٥) مطبعة حسان. القاهرة. الناشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

وأنهما ماتا على التوحيد[1].

- واعتنى فضيلة الإمام العلامة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية بتحقيق «رياض الصالحين» للإمام النووي.

- وكذا حققه وعلَّق عليه العلامة المحدث الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي أستاذ الحديث بجامعة الأزهر الشريف[2].

- وللعلامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد تحقيق على كتاب «الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ» للإمام ابن تيميَّة، وله تحقيق على «الأربعين النووية» للإمام النووي.

وفي عدة رسائل علمية بكلية أصول الدين بالقاهرة حُقِّقَ الكتابُ الضخم: «الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور» ومن تلك الرسائل:

- رسالة (ماجستير) للدكتور محمد فتحي حسين، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد علي فرحات، برقم: (٢٠٧).

- ومثله للدكتور محمود مصباح محمد، تحت إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار، برقم: (٢٠٨).

- ومثله للدكتور حمدي محمد السيد، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان مصطفى شاهين، برقم: (٢٠٩: ٢١٠)

(١) ط: دار جوامع الكلم. القاهرة.

(٢) وهو مطبوع في مكتبة الإيمان. القاهرة.

- ومثله الدكتور محمد إبراهيم الحلواني، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (٢١٨).

- ومثله للدكتور الدمراني عبد الله، تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم (٢٣٨).

- ومثله للدكتور عادل محمد برهامي، تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (٣٤٢).

- ومثله للدكتور عاشور محمد عبده، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٢٩٩:٣٠٠).

- ومثله للدكتور إيهاب عبد الحليم محمد، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود عبد الوهاب رحمة، برقم (٤٠٥:٤٠٦)... وغيرهم.

ومثله في تحقيق كتاب «المعجم الكبير للطبراني» في عدة رسائل علمية، منها:

- رسالة (ماجستير) للدكتور عبد الغفار عبد الستار، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أبي عمارة، برقم (٢٧٦).

- ومثله للدكتور محمد عبد الرحمن كساب، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أبي الخير، برقم (٣٢٣).

- ومثله للدكتور حمدي عبد العظيم فرحات، برقم: (٣١٠)... وغيرهم.

- وحقق الدكتور أحمد السيد حسين كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل، في

رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عاطف أمان، برقم: (٣٨٧:٣٨٨).

- وشاركه الدكتور سليمان محمد عبد الله، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم: (٤٠٣:٤٠٤).

- ومثله تم في تحقيق كتاب «السنن الكبرى» للبيهقي بكلية أصول الدين بالقاهرة، تحت إشراف الدكتور موسى شاهين لاشين، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور عبد المنعم السيد نجم، والدكتور محمد محمد الشريف، والدكتور محمد السيد ندا، والدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف في عدة رسائل علمية: (ماجستير) و(دكتوراه).

- ومثله في «سنن البيهقي الكبرى» و«الصغرى» وغيره كثير من كتب السنة، فما من كتاب معتبر من كتب السنة في الصحاح، أو السنن، أو المسانيد، أو المعاجم، أو غير ذلك إلَّا وكان لعلماء الأزهر الشريف فيه بصمة.

ناهيك عن تحقيق كتب التفسير، والفقه، والأصول، والتاريخ، واللغة، وما أشبه، مما يعيي الباحثَ المُجِدَّ حصره وتتبعه.

*****

الفصل السادس: لمحة حول منهج التوثيق عند علماء الأزهر الشريف

ومنهج التوثيق منهج يحتاج إلى دُرْبة ودراية عالية بعلوم الحديث، ومعرفة علل الحديث، وكذا مراتب الجرح والتعديل، وكثيراً من المسائل النقدية التي يحتاج إليها المحدث في التصحيح والتضعيف، وقد ظهر من الأزهريين من هم سادة الدنيا في أزمانهم ومن بعد أزمانهم، كثير ممن خاضوا هذا المجال، وكانت لهم تحقيقات وتعليقات، وتكلموا في العلل، والرجال، واشتغلوا بدراسة الأسانيد وما يتعلق بها من البحوث الحديثية الدقيقة.

(وعلى رأس المشتغلين بالتصحيح والتضعيف والعلل من الأزهريين: شيخ الإسلام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرحه على «إحياء علوم الدين»: المسمى: «إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين» في ثلاثة عشر مجلدًا، وما ترك حديثًا من أحاديث «الإحياء» إلا توسع في تخريجه، وهو من هو؟ كان آية الله الكبرى في العلل، والطرق، ومعرفة مخارج الحديث، وحفظ الأسانيد، حتى إن الأحاديث التي أفردها شيخ الإسلام الإمام الحافظ الكبير التاج السبكي في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» في فصلٍ يقول فيه: «هذا فصل في أحاديث الإحياء التي لم أجد لها سندًا» فتجد أن الإمام المرتضى الزبيدي وجد لها أسانيد، ووجد لها أصلًا، وحكم عليها، وخرَّجها، وكتابه هذا كنزٌ مجهول)[1].

---

(١) «رسالة الأزهر» مقال للدكتور/ أسامة السيد الأزهري (ص ٦٨-٦٩)، الإصدار (٢) شهر ذي القعدة، لعام ١٤٣٢هـ.

ناهيك عن مؤلفاته التي ألَّفها في علوم الحديث، والتي تدلك على سعة علمه وغزارته؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: «القول الصحيح في مراتب التعديل والتجريح» و«رفع الكلل عن العلل» وهي أربعون حديثًا انتقاها من علل الدارقطني وتكلم عليها، وله رسالة في طبقات الحفاظ... إلى غير ذلك من مؤلفاته.

والحافظ المرتضى الزبيدي درس علم الحديث سنوات طوال على شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوي، حتى قال عنه في «تاج العروس» كلمةً فيها التفخيم والتبجيل لقدر الشيخ: «شيخنا خاتمة المسندين عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي الأزهري»[1].

وتتلمذ أيضًا على العلامة المحدث الكبير الشيخ عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي المالكي الأزهري، وترجم له غير مرة، حتى ذكره في ألفية السند فقال:

ومنهم الصوفي ذو التشريف * من نسل مرزوقٍ هو العفيفي

العابد الوهاب قطبُ عصره * تِربُ التقى، الأسمى، فريد دهره

أبوه يُسْمَى عابدَ السلام * وجده أحمد ذو الإنعام

ذو الفضل والتأييد والعرفان * والمجد والتسديد عالي الشان

مستغرق الأوقات في العبادة * أوحد من لقيت في الزهادة

شهدت في مجلسه أعوامًا * وفزت من صحبته إنعاما

وكان بي برًا رؤوفًا يعتني * يتحفني بكل تلميح سني

واتفق السماع لي عليه * في بعض ما يَقْرونه لديه

(١) «تاج العروس»: (١٢/١٢٩).

أجازني من لفظه وشرفـــــا * فانتظم السلك ووقتي قد صفا

وهو روى عن شيخه السكندري * أي أحمد الصباغ بدر الأزهر[1]

ثم شرع الحافظ الزبيدي -رحمه الله تعالى- في ذكر سلسلة أسانيده إلى مشايخه.

ولا تحسبنَّ أن بعد المرتضى الزبيدي وهذه الطبقة مات علم الحديث في الأزهر الشريف، وانقطع أهل الحديث، بل هي حلقة موصولة يسلم بعضها بعضًا، فكان من تلاميذ المرتضى الزبيدي مَن أتقن الصنعة وأحكمها غاية الإحكام.

- فبزغ نور العلامة المحدث الكبير الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن عبد البر الونائي الحسيني الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٢١٢هـ،١٧٩١م.

وكان إمام عصره، ومن المشهود لهم بحبك الصنعة الحديثية الفائقة من المشارقة والمغاربة، حتى ذكره العلامة محمد مرتضى الزبيدي في كتابه «المعجم المختص» مما يوحي بغزارة علمه وتفهمه للحديث الشريف وعلومه، فقال ما حاصله وخلاصته: «لازمني ملازمة تامة، وطبق الطباق، وضبط الأسماء، وعرف الأسانيد والرجال، وتدرج في متون الحديث، وناولته شرحي على «الإحياء» وأمرته بمطالعته من أوله، فنظر فيه بالإمعان، ونبه على مواضع منه فأصلحته فيما يحتاج إليه، وهكذا إلى قريب الآخر، ولاحت عليه الأنوار، وله في معاملة القلوب قدم راسخ». ولقَّبه السيد محمد عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» بـ(الفقيه المحدث المسند الصوفي الإمام العلامة) وقال عنه أيضًا: «هذا الرجل من نوابغ المصريين، ولو طال عمره لأنسى ذكر كثير من مشايخه»[2].

---

(١) راجع «أسانيد المصريين»: (ص ٥٣٠).

(٢) نقلًا عن أسانيد المصريين للعلامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري ص ٥٦٣، بتصرف واختصار، ثم طالعت ترجمته الفخيمة في فهرس الفهارس ١١١٤/٢، فطالِعها لترى مكانة الرجل بين المحدثين .

قلت: وصنيع المرتضى الزبيدي في عرض كتابه عليه لافتٌ للنظر، ويستدعي الوقوف لإدراك أنَّ الرجل كان خبيراً بالعلل، ومشتغلًا بالجرح والتعديل، حتى إنه استدرك أشياء على الحافظ المرتضى الزبيدي وهو مَنْ هو جلالةً ورفعة.

- ثم كان العلامة الكبير أحمد بن شرقاوي بن مساعد بن تائه الشرقاوي القرشوطي المالكي، المتوفى سنة ١٣١٦هـ، ١٨٩٨م الذي وصفه غير واحدٍ من أهل العلم أنه المجدد في القرن الثالث عشر حتى أفرد ترجمته في كتاب مستقل غير واحدٍ من أهل العلم[١].

- ثم كان ولده وتلميذه أحمد أبو الوفاء المحدث الكبير الذي أثنى عليه كبار علماء الدنيا في زمانه المعاصرين للشيخ -رحمه الله تعالى- وعلى رأسهم تلميذه العلَّامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر إذ قال في تعليقه على كتاب التحقيق في أحاديث الخلاف لأبي الفرج بن الجوزي: «أستاذنا الكبير، الحجة، أعلم من رأيت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[٢].

- ثم كان العلَّامة الكبير محمد بن إبراهيم السمالوطي الأزهري المتوفى ١٣٥٣هـ، ١٩٤٣م وكان -رحمه الله تعالى- عضوًا في هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف (وكان من أحفظ أهل عصره للحديث وأضبطهم له وأعرفهم بفنونه وطبقات رجاله، يعرف الوضَّاع، والضعاف، والمدلسين، ويبحث عن أصول رواية الحديث في مظانها، وله تعاليق وحواشي على كثير من الكتب التي قرأها، وهو يروي عن خلق كثير من أكابر علماء الأمة، أمثال: الشيخ محمد الخضري الدمياطي، والعلامة إبراهيم بن

(١) راجع ترجمته الرائعة لشيخنا الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين» (ص ٢٤٣:٢٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/١٣٥)، «معجم المؤلفين»:(١/٢٤٣) .

(٢) «التحقيق في أحاديث الخلاف» (١/٩٩).

خليل القاوقجي، وعن العلامة الشيخ محمد أحمد عليش، والعلامة البرهان السقا، وغيرهم»[1].

- ثم سطع نور الإمام العلَّامة المحدث الكبير، أستاذ العلل، ونقد الرجال والأسانيد، وسبر الطرق، العلَّامة الشيخ أحمد محمد شاكر المتوفى سنة ١٩٥٨م، والذي كان من أعلم أهل زمانه على الإطلاق بالصنعة الحديثية الفائقة، حتى كتب شقيقه العلامة الأديب محمود محمد شاكر مقالًا بعنوان: «أحمد محمد شاكر إمام المحدثين». وكتب الأستاذ محمد عزت الطهطاوي: «الشيخ أحمد محمد شاكر إمام من أئمة الحديث في هذا العصر». وكتب الدكتور السيد الجميلي «طبقات المحققين والمصححين .. أحمد محمد شاكر»... إلى غير ذلك. وهو قد تلقى علوم الحديث، عن والده العلَّامة الأزهري، محمد شاكر وكيل الأزهر الشريف، ويروي عن العلَّامة الشيخ عبد الستار عبد الوهاب البكري الصديقي الدهلوي، وعن العلَّامة الشيخ محمد بن عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، وعن العلَّامة الشيخ بسيوني بن بسيوني ابن حسن القرنشاوي الشافعي الأزهري، وغيرهم»[2].

حتى قال عمر رضا كحالة: «وكان لوالده أثر في حياته العلمية، فقد قرأ له ولإخوانه التفسير، والحديث، والأصول، والمنطق والبيان، والفقه، ثم التحق بالأزهر وحاز شهادة العالمية منه، وعين مدرسًا بمدرسة ماهر، فموظفًا قضائيًّا، فقاضيًا، فعضوًا بالمحكمة العليا، وحقق ونشر عددًا من كتب الحديث والفقه والأدب، وأخذ عن عبد الله بن إدريس السنوسي، ومحمد بن الأمين الشنقيطي، وشاكر العراقي، وغيرهم»[3].

(١) راجع ترجمته في «أسانيد المصريين»: (ص ٦١٢: ٦٢٠).

(٢) راجع ترجمته في «أسانيد المصريين»: (ص ٣١٣: ٣٤٠).

(٣) «معجم المؤلفين»: (١٣/٣٦٨).

ولسعة علمه واطلاعه الواسع بالحديث وعلومهن بل وغوامضه؛ قال عنه الزركلي في كتابه «الأعلام»: «ولم يخلفه مثله في علم الحديث بمصر»[1].

وسمعت من شيخ المحدثين بمصر العلَّامة الكبير الشيخ أحمد معبد عبد الكريم في الجامع الأزهر الشريف في شرحه لكتاب «تدريب الراوي» يقول عنه: «هو الوحيد في نظري قبل مَن سبقه وكذا من جاء بعد أولُ من وضع مراتب الجرح والتعديل، وكان ينحت في الصخر». وكان شيخنا الشيخ أحمد معبد يتأسف على قلة ملازمة طلبة العلم له، ويشير إلى أنَّ منزلته الحقيقية ظهرت للناس بعد موته بما خلَّفه من ثروة علمية دقيقة في علوم مصطلح الحديث، ثم تعليقاته البارعة؛ والتي هي نفائس ودرر هذا العلم.

ولكثرة جهوده في خدمة السنة المطهرة قُدِّمَتْ رسالة (ماجستير) في كلية أصول الدين للدكتور علاء عنتر محمد مصطفى تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان محمد مصطفى شاهين سنة ١٩٩٢م بعنوان: «العلامة الشيخ أحمد شاكر وجهوده في السنة النبوية».

- ثم كان الإمام الحافظ الحجة المتقن أبو عبد الله بن الصديق الغماري الفقيه الشافعي المغربي الأزهري، المتوفى سنة ١٩٦٠م، والذي قاربت مؤلفاته الثلاثمئة كتاب، معظمها في الحديث وعلومه، والصنعة الحديثية العالية، والمناقشات المطولة، والتي قد تكون حول حديثٍ واحد، فيجمع الحافظ طرق الحديث الواحد جمعًا قد لا يسبقه في ذلك كثير من المتقدمين، مع التعليقات التي تكون في غاية النفاسة والدقة والتحرير.

---

(١) راجع «الأعلام»: (١/٢٥٣).



فوجدنا له تصحيحًا وتعليقًا على كتاب: «المقاصد الحسنة في بيان كثيرمن الأحاديث المشتهرة» للحافظ السخاوي المتوفى ٩٠٢هـ. وقدم له وترجم للمؤلف العلامة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف المالكي الأزهري[١].

وله «الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة»[٢].

وله «الصواعق المنزلة على كتاب الرحمة المرسلة» وهما رد على بعض معاصريه ممن صحح حديث البسملة في كتاب للشيخ محمد بن جعفر الكتاني والمسمى بـ«الأقاويل المفضلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة»[٣]. وَحُجَّة العلَّامة الغماري أقوى بلا شك، وبها جزم أكثر الحفاظ كابن حجر والسبكي وغيرهما.

وله «تبيين البله ممن أنكر وجود حديث: ومن لغا فلا جمعة له»[٤].

وله «فتح الملك العلي بتصحيح حديث باب مدينة العلم علي»[٥].

وله تحقيق على كتاب «رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ» إلى غير ذلك من كتبه التي هي غاية في النفاسة والدقة والتحرير.

– وكان في زمانه العلَّامة المحدث الكبير صاحب المؤلفات الماتعة، والتحقيقات والتعليقات النفيسة، العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وكان –رحمه الله تعالى– من أعلم أهل زمانه بالحديث وعلومه ودقائقه ومشكلاته، وله في منهج التوثيق باعٌ

(١) ط: بغداد ـ مكتبة المثنى ١٣٧٥هـ.

(٢) ط٢ ـ دار البصائر ـ دمشق ١٤٠٣هـ.

(٣) ط: المدينة المنورة.

(٤) دار البصائر ـ دمشق ١٤٠٣هـ.

(٥) المطبعة الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٣٥٤هـ.

طويل، وله في ذلك «كلمات في كشف أباطيل وافتراءات» وهو عبارة عن رد على الشيخ الألباني وصاحبه سابقًا الشيخ زهير الشاويش وغيرهما.

– ثم بزغ نور العلَّامة المحدث النقاد، سيدي العلامة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم الأزهري، والذي ترجم له العلَّامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري، ترجمة وافية تليق بمكانة الشيخ ومنزلته، ورسوخ قدمه في علم الحديث الشريف، فكان مما قاله: «والشيخ اليوم شيخ المحدثين بالديار المصرية من غير منازعة، ولا مدافعة، فهو عارف بالصنعة، بصير بالعلل، صاحب استقراء تام لعدد من الكتب الكبرى في الحديث ورجاله، خذ مثالًا على ذلك كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، فقد طالعه ترجمة ترجمة، مع المقارنة والتأمل والتدقيق، وقرأ كذلك «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر، و«إتحاف السادة المتقين» للمرتضى الزبيدي، وقد قال لي الشيخ: (قرأته كاملًا لأتأمل مدرسة الزبيدي في التخريج) بل قلَّ كتاب من كتب الشيخ إلَّا وعليه تعليقات وإحالات وحواشي تدلك على تدقيقه وسعة اطلاعه»[1].

قلت: وقد رأيت ذلك من الشيخ –حفظه الله تعالى– في شرحه الماتع لكتاب «تدريب الراوي» للحافظ السيوطي، في الجامع الأزهر الشريف المعمور، وكان يلتف حوله عدد كبير من طلبة العلم بعضهم من شيوخنا الأجلاء، ويجلسون بين يدي الشيخ، أمثال الدكتور أسامة السيد الأزهري، وكان يتولى الإقراء للشيخ دائمًا إلا إذا كان في سفرٍ أو عذر، ويجلس كذلك كثير من طلبة العلم في مرحلتي (الماجستير) و(الدكتوراه)، وكثير من طلبة الكليات الأزهرية، وكان الشيخ –حفظه الله تعالى– يأتي بدرر وكنوز غالية، أوقن تمامًا أني لا أعثر عليها في الكتب، وكنت أقول لبعض إخواننا: إن ساعة بين يدي الشيخ خير من قراءة ألف ساعة في كتب المصطلح.

(١) راجع ترجمته في «أسانيد المصريين»: (ص ٣٠٥) بتصرف

وله عدة كتب تنبئك وتدلك على سعة علمه واطلاعه، وحسن تفهمه للحديث الشريف وعلومه، ومن ذلك: «الحافظ العراقي وجهوده في الحديث الشريف» في ستة مجلدات، وقد طالعته في كلية أصول الدين، ومن خلاله تعرف كيف تشرَّب الشيخ عقلية الحافظ العراقي، وأجاد التعامل معها في بقية مصنفاته. وله أيضًا «ألفاظ الجرح والتعديل المفردة والمركبة» في مجلد. وله «إرشاد القاري إلى النص الراجح لحديث: ويح عمار في صحيح البخاري» وأثر ذلك في تحقيق معنى الحديث وفقهه، وله تعليقات نفيسة على كتاب «النفح الشذي على سنن الترمذي» لابن سيد الناس، أخرج منها ثلاثة مجلدات. وله «سيف بن عمر التميمي وتحقيق الأقوال في حاله وفي درجة مروياته»... إلى غير ذلك من كتبه القيِّمة.

ولك أن تتأمل جهود بعض الأزهريين المعاصرين، لترى رسوخ أقدامهم في علم الحديث الشريف، كالعلامة الدكتور أحمد عمر هاشم، والعلامة الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، والعلامة الدكتور علي عبد الباسط مزيد، والعلامة الدكتور أسامة السيد الأزهري، والعلامة الدكتور رضا زكريا عبد الله حميدة... وغيرهم عشرات، وعلى أية حال فهذا ليس استقصاءً ولا تتبعًا لكل من اشتغل بهذا الجانب من علماء الأزهر الشريف، ولا على سبيل الحصر والتتبع كما أشرت، بل إن هو إلَّا ضرب للمثل فقط، ولبيان أنَّ علماء الأزهر الشريف لا يزال الخير فيهم كابرًا عن كابر، وأنَّ ذلك لم ينقطع في أي مرحلة من مراحل التاريخ.

وهذا يدلك على تبحرهم في هذا المنهج ومعرفتهم لمنهج التوثيق، والاطلاع الواسع على علم الرجال، والجرح والتعديل، ومعرفة الضعاف، والوضاعين، والاهتمام بالثقات والمجروحين، ومعرفة درجة كل منهم... إلى غير ذلك.

حتى كانت لهم تحقيقات ومصنفات في التفريق بين الصحيح والسقيم، فكتبوا وحققوا في كتب الموضوعات، وكتبوا عن الأسباب، والدوافع، والنماذج، ومن ذلك ما كتبه الدكتور محمد محمد أبو شحته «الوضع في الحديث»، وهي رسالة (دكتوراه) في أصول الدين بالقاهرة برقم (٢٠٨٢).

ثم عملوا على إبراز كتب الأحاديث الموضوعة في كتب كثيرة بلغت مبلغًا عظيمًا، وجهدًا كبيرًا، دراسة، وتحقيقًا، وتصنيفًا، لتمييز ما صح عن المصطفى ﷺ مما لم يصح، فعلى سبيل المثال:

- قام العلَّامة الكبير الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بتحقيق كتاب: «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لعلي القاري الهروي المتوفى سنة ١٠١٤هـ، واهتم كذلك بمراجعة أصوله ونصوصه مع التعليق عليه[1]. وله كذلك تحقيق على كتاب: «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن قيم الجوزية، وهو مطبوع.

ثم كتاب: «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة» لأبي الحسن علي بن محمد بن عِرَاق (بكسر العين وتخفيف الراء) الكتاني المتوفى سنة ٩٦٣هـ، حققه، وراجع أصوله، وعلق عليه، العلامة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، والعلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري[2].

- وكتب العلَّامة أحمد بن الصديق الغماري «المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير»[3].

---

(١) وقد طبع غير مرة في مكتبة المطبوعات الإسلامية، منها: سنة ١٣٨٩هـ.

(٢) ط: مكتبة القاهرة. ١٣٧٨هـ.

(٣) ط: بيروت ١٤٠٢ هـ.

وكتب «مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر» لأبي الفضل عبد الله الغماري[1].

- وكتب الاستاذ محمد البشير ظافر الأزهري المتوفى ١٩٠٧م «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين»[2].

- وللعلامة الدكتور محمد عبد القادر عطا «الغماز على اللماز في الموضوعات المشهورات .. دراسة وتحقيق»[3].

- وكتب العلّامة هاشم معروف الحسيني «الموضوعات في الآثار والأخبار»[4].

وكل هذا وغيره ينبئك باشتغال الأزهريين وسعة علومهم بمنهج التوثيق، الذي يدلّل بالدرجة الأولى على فهم علوم المصطلح، وكيفية تطبيقها في الحكم على الحديث الشريف، والاطلاع بعلم العلل، والجرح والتعديل، وتراجم الرجال، والتخريج، وأقوال أئمة هذا الشأن، وقد توفر هذا بحمد الله تعالى في كثير من محدثي الأزهر الشريف.

*****

(١) ط: بيروت ١٤١٠هـ.

(٢) ط: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

(٣) ط: دار المكاتب العلمية . بيروت ١٤٠٦هـ.

(٤) ط: بيروت . دار الكتاب ١٣٩٣هـ.

الفصل السابع: لمحة من جهود الأزهريين في شرح الكتب الحديثية

وفي هذا الباب حدث ولا حرج عن اعتناء علماء الأزهر الشريف بشرح الكتب الحديثية في مجلدات طوال؛ لاستخراج كنوزها المدونة، ودررها الكامنة، وقد يستغرق الشرح مع الواحد منهم سنين طويلة، في سبيل أنْ يُعرِّف الخلق بمراد الشرع الشريف، ويستخرج النكتة، والفائدة، والعبرة، والغاية، ويستنبط ملامح الهداية، بأتم طريق وأوفق دراية، وذلك ليحققوا الثمرة المرجوة من حديث رسول الله ﷺ وينشروا جواهره، ويبرزوا ضمائره، ويفصحوا عن لغاته، حتى يكشفوا القناع عن إشاراته، فيتناولوه من حيث البلاغة، والفصاحة، والفقه، والحِكَم، والمقاصد، والأسرار، بقدر الطاقة البشرية، فأخرجوا لنا شروحًا غاية في النفاسة والدقة والتحرير، تعمل على علو الهمة وإيقاظ الضمير، وهي سهلة المنال لكل باحثٍ ودارس؛ فكانت أعظم الشروح لكتب السنة النبوية في التاريخ الإسلامي إنما هي ولِيدة الأزهر الشريف، ونابعة من عقول أبنائه، فمن ذا الذي يضاهي «شرح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومن ذا الذي يضاهي شرح السيوطي والزرقاني على «الموطأ»، ومن ذا الذي يضاهي شرح المناوي في «فيض القدير».

وفي العصور المتأخرة لم يغفل علماء الأزهر الشريف عن النظر في السنة النبوية من جديد، ولم يعتمدوا فقط على مجد الآباء، بل قاموا بواجب الرعاية والحفظ لهذا التراث العظيم الذي خلَّفوه، مع الزيادة والبناء عليه.

وهذا يكشف لنا بالدرجة الأولى الصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر، التي حرص عليها علماء الأزهر الشريف، والتي أصبحت منهجًا معتمدًا في الأزهر الشريف، ولو أني تتبعت معك مَن شرح كتب السنة النبوية مِن علماء الأزهر الشريف، لخرجنا بسيلٍ لا ينفد، فأذكر لك الآن نماذج غاية في الروعة والجلال لعلماء الأزهر الشريف في شرح الكتب الحديثية:

- فوجدنا للعلَّامة المحدث فائد الإبياري الحنفي الأزهري، المتوفى سنة ١٦٠٧م «مواهب القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي».

- ثم قام العلَّامة الكبير سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الأزهري، المعروف بالجمل، المتوفى ١٢٠٤هـ ١٧٩٠م بشرح «شمائل الترمذي» في كتابه المسمى بـ«المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية»[١].

- ثم قام شيخ الإسلام والجامع الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي، المتوفى ١٢٢٧هـ، ١٨١٠م، وشرح «مختصر الزبيدي» شرحًا ماتعًا في كتابه القيم: «فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي» وبهامشه «التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح» في ثلاثة مجلدات[٢].

- ثم قام رحمه الله تعالى باختصار كتاب «الشمائل المحمدية» للترمذي عقب إقرائه لكتاب الشمائل في مجلسه الحديثي الأزهري الموقر تجاه بيت الله العتيق، ثم شرح مختصره هذا في شرح نفيس طبع مؤخرا.[٣]

(١) راجع «معجم المؤلفين» جـ ٤ صـ ٢٧١.

(٢) ط: دار الكتب العربية الكبرى – القاهرة.

(٣) طبع شرح مختصر الشمائل المحمدية ضمن سلسلة «كنوز الأزهريين» من مطبوعات كشيدة للنشر والتوزيع.

- ثم قام العلَّامة الأزهري الشيخ حسن العِدْوي الحمزاوي[1] المتوفى سنة ١٨٨٦م، بشرح «صحيح الإمام البخاري» في شرح سماه: «النور الساري من فيض صحيح البخاري» وقد طبع في خمسة مجلدات.

وله كذلك شرح على «الشفا» للقاضي عياض[2].

- ثم قام العلامة محمد الدمياطي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٨٩٧م، بشرح «نيل المرام» وسماه: «مصباح الظلام وبهجة الأنام في شرح نيل المرام»[3].

- ثم كان الشرح الماتع الممتع للعلامة المحدث الكبير الدكتور موسى شاهين لاشين، والذي شرح به «صحيح الإمام مسلم» شرحًا ماتعًا سماه «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» وهو مطبوع في دار الشروق في عشرة أجزاء، قال في آخره: «وهذا جهد المقل، بذلته ابتغاء وجهك، أملًا في خدمة سنة نبيك».

وله كذلك «المنهل الحديث .. أحاديث مختارة من صحيح البخاري» وتبلغ أربعمئة حديث مشروحة، جمع فيها روايات الحديث الواحد، ويتكلم عن المباحث العربية، وفقه الحديث... وغير ذلك[4]. وله كذلك «الوافي في الحديث» في ثلاثة مجلدات[5].

- وللعلَّامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني شرح على «موطأ مالك» في غاية النفاسة والمسمى بـ: «أنوار كواكب أبهج المسالك بشرح موطأ الإمام مالك»

---

(١) انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي: (٢/١٩٩).

(٢) وهو مطبوع في المطبعة المصرية — القاهرة ١٢٧٩هـ.

(٣) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين»: (١٠/٢٠٦).

(٤) في أربعة مجلدات. مطبعة الفجر الجديدة — القاهرة.

(٥) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية. ١٣٢٧هـ.

بتحقيق إبراهيم عطوة في خمسة مجلدات[١]، وله شرح «المواهب اللدنية»[٢]، وله أيضا: «مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة»[٣]، وله أيضا: «منتقى الخصال، الموجبة للظلال»[٤].

- وللعلامة أبي الوفاء مصطفى المراغي «اللباب في شرح الشهاب»[٥].

- وللعلامة المحدث الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم «شرح رياض الصالحين» للإمام النووي في مجلدين[٦].

- وشرح العلَّامة الكبير الشيخ محمود خطاب السبكي -رحمه الله تعالى- «سنن أبي داود» شرحًا ماتعًا جمع فيه بين الصناعة الفقهية والصناعة الحديثية وسماه بـ«المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود» ووصل فيه إلى باب (التلبيد) ويقع في عشرة أجزاء، ثم قام نجله الشيخ أمين بتكملة هذا العمل وسماه: «فتح المالك المعبود تكملة المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود» ويقع في أربعة أجزاء.

- وشرح العلَّامة المحدث الكبير محمد محمد أبو شهبة الأزهري «صحيح الإمام البخاري» شرحًا رشيقًا، سماه: «توفيق الباري بشرح صحيح البخاري» قال عنه: «وهو شرح جمع بين أصالة القديم، وجدة الحديث»، وهو مطبوع في خمسة عشر

(١) وهو مطبوع في مطبعة الحلبي سنة ١٣٨٢هـ، ط: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) ط: المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٥هـ.

(٣) طبع بتحقيق فضيلة الشيخ إبراهيم عثمان خميس، ضمن سلسلة «تراث الأزهريين» من مطبوعات كشيدة للنشر والتوزيع.

(٤) طبع بتحقيق الدكتور محمود محمد عبد الجواد طه، ضمن سلسلة «تراث الأزهريين» من مطبوعات كشيدة للنشر والتوزيع.

(٥) ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٣٩٠هـ.

(٦) ط: دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٩٠ هـ.

مجلدًا. وله شرح كذلك على صحيح الإمام مسلم سماه «شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج» في ثلاثة أجزاء.

- ثم كان شرح البخاري للعلامة المحدث الكبير أحمد عمر هاشم والمسمى بـ«فيض الباري في شرح صحيح البخاري»، وهو مطبوع.

- وللشيخ محدث بلاد الشام، العلَّامة نور الدين عتر الأزهري، شرح على «بلوغ المرام» من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلاني سماه: «إعلام الأنام شرح بلوغ المرام في أحاديث الأحكام»[1].

- وللدكتور عبد العال أحمد عبد العال «المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات» في أربعة مجلدات[2].

- وللشيخ عبد الجليل عيسى أبي النصر شرحٌ لأحاديث من «صحيح البخاري» وسماه: «صفوة صحيح البخاري» وهو مطبوع في أربعة مجلدات[3].

- وللعلَّامة الكبير عبد ربه بن سليمان بن محمد المشهور بالقليوبي الأزهري «جامع المعقول والمنقول شرح جامع الأصول لأحاديث الرسول ﷺ»[4].

- وقد مرَّ بنا كتاب العلَّامة الشيخ منصور علي ناصف في شرح (٥٨٨٧) حديثًا من أحاديث رسول الله ﷺ، وهو مطبوع في خمسة أجزاء.

---

(١) يطلب من مكتبة دار الفرفور، دمشق - حلبوني.

(٢) ط: المكتبة الأزهرية — القاهرة ١٤١٠هـ.

(٣) ط الخامسة. جامعة الأزهر . القاهرة.

(٤) وهو مطبوع في مطبعة المعاهد. القاهرة ١٣٤٨هـ.

- وقام الدكتور سامح عبد الله عبد القوي بخدمة كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي، دراسة وتحقيقًا ونقدًا، في رسالة (ماجستير) بكلية أصول الدين بالقاهرة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، والأستاذ الدكتور محمد السيد عبد المجيد علوان.

- وللأستاذ فؤاد علي مخيمر الأزهري المتوفى سنة ٢٠٠٢م: «قبسات من الهدي النبوي»، في تسعة أجزاء في ثلاثة مجلدات كبار، وهو مطبوع.

إلى غير ذلك من كتب الشروح الكبيرة التي قام بها علماء الأزهر الشريف في خدمة كتب السنة النبوية، بل وجدنا اهتمامهم بإفراد مؤلفات مستقلة ربما في شرح الحديث الواحد، أو الموضوع الواحد، وذلك بجمع طرق الحديث من كتب السنة النبوية كلها؛ ليظهر ما انطوت عليه الحكم النبوية من معانٍ ومغازٍ ومرامٍ، ليقف به على مراد الرسول الكريم ﷺ، وبذلك قد يصل الشارح إلى أبواب ومسائل غاية في الدقة، ولعلَّ أكثر من أفرد حديثًا أو موضوعًا بالشرح هم علماء الأزهر الشريف من قديم.

- فوجدنا للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، «قوة الحِجاج في عموم المغفرة للحجاج»[1].

- وللحافظ السيوطي كتابًا عن تسلية الآباء بفقدان الأبناء والمسمى «التعلل والإطفا لنارٍ لا تطفى»، وله كذلك «تمهيد العرش في الخصال الموجبة لظل العرش»[2]، وله «منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال»[3].

(١) مكتبة القاهرة.

(٢) وكلاهما مطبوع في مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ١٤٠٧هـ

(٣) ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٦هـ.

وكان علماء الأزهر في القرن الأخير أشد استمساكًا بهذا الجانب كثيراً، أظن أن أحدًا من المعاصرين لم يسلك نظيره.

- فكتب شيخ الأزهر الشيخ علي محمد الببلاوي: «الأنوار الحسينية في شرح الحديث المسلسل بيوم عاشوراء»، وللعلَّامة عبد الله الصديق الغماري: «فيض الجود على حديث شيبتني هود»، وهو مطبوع.

- وكتب أحمد بن الصديق الغماري: «اغتنام الأجر من حديث الإسفار بالفجر»[١].

وله «تبيين البله ممن أنكر وجود حديث: ومن لغا فلا جمعة له»[٢].

وله «فتح الملك العلي بتصحيح حديث باب مدينة العلم علي»[٣]. وله «نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال»[٤]، والحديث المقصود: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم».

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم شحاته «خطبة حجة الوداع بين السيرة والسنة»[٥].

- وللأستاذ الدكتور سعيد محمد صالح صوابي «حديث وموقف»

---

(١) ط: دار البصائر - دمشق ١٤٠٣هـ.

(٢) ط: دار البصائر - دمشق ١٤٠٣هـ.

(٣) وهو مطبوع في المطبعة الإسلامية - القاهرة ١٣٥٤هـ.

(٤) ط: دار التأليف . القاهرة ١٣٦٨هـ.

(٥) مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة ط: الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

- وكتب الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي: «حديث افتراق الأمة في الميزان»[1].

- ورسالة (ماجستير) بكلية أصول الدين بالقاهرة بعنوان «صفات النبي ﷺ الخلْقية كما بينتها كتب السنة» للباحث أحمد رجب أحمد، برقم: (١٩٧٦) سنة ٢٠٠١م.

- وتناول الدكتور علي حسن صابر شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات» في رسالة (دكتوراه) بأصول الدين برقم (٢٠٦٤).

- وللدكتور محمد محمود مذكور رسالة (دكتوراه) حول شرح حديث «إن الدين يسر» برقم: (٢٠٦٥).

- وللدكتور عبد العزيز إبراهيم رسالة (دكتوراه) بعنوان: «شرح الصدر بالكلام على حديث أبي ذر» برقم: (٢١٨٧)

- وللدكتور محمد محمد مذكور شرح حديث «سبعة يظلهم الله في ظله...» رسالة (دكتوراه)، سنة ١٩٣٠م.

ولم تقف الجهود الأزهرية عند شرح الكتب الحديثية فحسب، بل قاموا بعمل الحواشي، والهوامش، والتعليقات، على كتب الحديث والشروح.

وعمل الحواشي من أهم ما يثبت اهتمام الأزهريين غاية الاهتمام بسنة رسول الله ﷺ؛ إذ أنهم لم يقفوا عند ما وقف عنده الأولون، بل عملوا على البناء والزيادة

(١) ط: دار الفجر بالأزهر.

على ما قدمه الأولون، وهو ما ظهر عند الأزهريين خاصة بمسألة تجدد العلوم والمعارف واتساعها، وكان عمل الحواشي هذه لإيضاح المشكل، وبيان المعضل، وتسهيل المادة العلمية بما تسعه عقول الطلبة، والاهتمام ببعض المسائل التي تحدثوا عنها ثم انبنت عليها مسائل علمية غاية في الدقة والنفاسة.

ومن يتأمل الحواشي على الشروح يخرج بمادة علمية عظيمة تساعد على البناء العلمي الصحيح، فيكمل العلم، وينضج، وتعود له حيويته وتعامله مع المستجدات، كما لو كان شرحًا معاصرًا.

وقد أكثر علماء الأزهر الشريف من أمثال هذه الحواشي كثيراً في كتب الفقه، والحديث الشريف:

- فوجدنا للعلَّامة الشيخ، علي الشبراملسي، الشافعي، الأزهري، المتوفى سنة ١٦٧٦م، «حاشية على شرح الشمائل» لابن حجر الهيتمي و«حاشية على المواهب اللدنية» للقسطلاني في خمسة مجلدات[١].

- وللشيخ علي بن أحمد البراوي الزيدي الشافعي الأزهري، صاحب الثبت، المتوفى سنة ١٧٦٨م «التيسير لحل ألفاظ الجامع الصغير للسيوطي»[٢].

- ووجدنا لشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، المحدث الكبير، صاحب الثبت الشيخ محمد الحفني، المتوفى سنة ١١٨١هـ، ١٧٦٧م حاشية في جزئين على «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للحافظ السيوطي[٣].

(١) «معجم المؤلفين»: (٧/١٥٣-١٥٤).
(٢) «معجم المؤلفين»: (٨/١٨-١٩).
(٣) وهو مطبوع في المطبعة الأميرية. القاهرة ١٢٩٠هـ.

- ووجدنا لشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، محمد الشنواني، المتوفى ١٢٣٣هـ، ١٨١٨م حاشية على «شرح ابن أبي جمرة» والمسماة بـ«حاشية الشنواني على مختصر البخاري لابن أبي جمرة» ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية[١].

وللشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري المتوفى ١٩٢٩م هامش على شرح مختصر البخاري الشريف المسمى بـ«جمع النهاية في بدء الخير وغاية»[٢]، وله «شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية»[٣].

وإذا أفردنا الحديث عن شرح مختارات من الأحاديث النبوية، فحدِّث ولا حرج عن اختلاف الموضوعات وتنوعها، فَجُمِعَتْ أحاديث عن فضائل النبي ﷺ، وأحاديث عن أخلاقه، وأحاديث عن فضائل أصحابه، وأحاديث عن الجهاد، وأحاديث عن مكارم الأخلاق، وأحاديث عن الرقائق، وأحاديث عن العلم وفضله، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، وفي بعضها من الدقة والنفاسة مالا يحيط به الوصف، وإذ إنها قريبة الحصول، سهلة الوصول؛ فإني أتحاشى ذكرها خشية الإطالة.

*****

(١) وقد طبع غير مرة/ط: العامرة الشرقية ١٣١٧هـ، وطبع أخرى ط: السعادة ١٣٣٢هـ.

(٢) وقد طبع في المطبعة الخيرية – القاهرة ١٣٠٩هـ، ومرة في دار الطباعة المنيرية – القاهرة ١٣١٤هـ

(٣) وقد طبع بتقديم الدكتور عطية مصطفى، ضمن سلسلة «تراث الأزهريين» من مطبوعات كشيدة للنشر والتوزيع.

الفصل الثامن: لمحة من جهود الأزهريين في علم مصطلح الحديث

علم مصطلح الحديث، أو علم أصول الرواية، هو عبارة عن العلم الذي يُبحث فيه عن حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، ويبحث كذلك عن أحوال الرواة، وما يتعلق بهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها.

وعلم مصطلح الحديث لم يتكلم فيه الأقدمون بصورته الراهنة، ولم تكن له هذه التسمية التي ظهرت عندنا بعلوم المصطلح أو أصول الرواية، ومن يتتبع كتب الأقدمين من المحدِّثين يجد أنهم ما تركوا بابًا من علوم المصطلح إلَّا وكتبوا فيه بحوثًا مطوَّلة لم يتسنَّ لكثيرٍ من المعاصرين أن يكتب فيها، فتكلموا عن منهج التثبت في قبول الرواية، وتكلموا عن علل الحديث، وتكلموا في الجرح والتعديل... إلى غير ذلك، ولكن اختلفت طرائقهم في التناول لتلك المسائل، من حيث إفرادها وليس بمجموعها كما ظهر بعدُ على يد كثير من العلماء.

فاعتنى بعضهم بجمع القواعد المهمة في علوم المصطلح، لكنها لم تجمع جمعًا وافيًا يقصده طالب علوم المصطلح، ككتاب «المحدث الفاصل» للرامَهُرْمُزِي، و«معرفة علوم الحديث» لأبي عبد الله النيسابوري، و«الكفاية» و«الجامع لآداب الشيخ والسامع» أو«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» وكلاهما للخطيب البغدادي، وغيرها كثير، إلى أن جاء الإمام ابن الصلاح، فكتب كتابه العمدة في المصطلح وهو «علوم الحديث» والمشهور بـ«المقدمة» والذي قال عنه الحافظ

ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «فهذَّب فنونه، وأملاه شيئًا بعد شيءٍ، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المتناسب، واعتنى بتصانيف الخطيب المفرَّقة فجمع شتات مقاصدها، وضمَّ إليها من غيرها نُخَبَ فوائدِها، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره، فلا يُحصى كم ناظمٍ له ومختصِر، ومستدرِكٍ عليه ومقتصر، ومعارضٍ له ومنتصر»[1].

ثم توالت المؤلفات في علوم المصطلح بعد ابن الصلاح -رحمه الله تعالى- ومن يتأمل في كتب المصطلح القديمة والحديثة يجد أنَّ أفضل ما دُوِّن فيها كان على يد أزهريين:

- فقل لي بالله عليك من هو صاحب كتاب «نزهة النظر شرح نُخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر»؟ إنَّه العالم الأزهري الحافظ ابن حجر العسقلاني.

- ثم من هو صاحب كتاب «تدريب الراوي فى شرح تقريب النواوي»؟ إنه العلَّامة الأزهري الحافظ جلال الدين السيوطى. وكتابا «نزهة النظر» و«تدريب الراوي» من أفضل ما كتب في علوم المصطلح على الإطلاق بعد مقدمة ابن الصلاح، وكلاهما ثمرة أزهرية عظيمة.

ثم كتبت المؤلفات في علوم المصطلح على يد الأزهريين غاية في الكثرة، ولعلي أذكر لك بعضًا منها:

- فعلى سبيل المثال كتب العلَّامة الشيخ عبد الله الشنشوري الشافعي الأزهري المتوفى ٩٩٩هـ، ١٥٩١م «خلاصة الفكر في شرح المختصر في مصطلح أهل الأثر»[2].

---

(١) «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» (ص١١) تحقيق أحمد بن سالم المصري، ط. مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

(٢) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين» (١٢٨/٦).

- ثم كتب شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر أبو الفضل الجيزاوي كتابًا سماه «الطراز الحديث فى فن مصطلح الحديث».

- وكتب العلامة عبد المعطي بن حسن بن رجب السقا الفرغلي -وهو سبط العلامة الكبير البرهان السقا، وكان والده خطيب الجامع الأزهر الشريف- «رشف الرضاب»، وشرحه في كتاب «كشف النقاب»، وله «حجة المتكلم على متن مختصر النووي لصحيح مسلم» نحو خمسين كراسة، وله «صحيح المعاني شرح منظومة البياني».

- وكتب العلامة الكبير الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني كتابه «المنهل الحديث فى علوم الحديث»[1].

- وكتب العلَّامة الكبير المحدث محمد محمد السماحي -رحمه الله تعالى- كتابه الماتع الذي هو من عُمُد كتب المصطلح والذي أثنى عليه غير واحدٍ من شيوخنا والمسمى بـ«المنهج الحديث في علوم الحديث» في أربعة أجزاء. وقد قسَّمه -رحمه الله تعالى- إلى أربعة أقسام: ١. قسم تاريخ السنة. ٢. قسم مصطلح الحديث. ٣. قسم الرواية. ٤ قسم الرواة[2]. وله أيضًا «غيث المستغيث في علم مصطلح الحديث»[3].

- وكان للعلامة الشيخ عبد الغني محمود المصري المنوفي الأزهري، المتوفى ١٩٢٨م «رسالة في مصطلح الحديث»[4].

---

(١) وهو مطبوع في مطبعة شبرا ومكتبتها بجوار جامع الخازندارة سنة ١٣٦١هـ.

(٢) ط: جامعة الأزهر الشريف -كلية أصول الدين ١٣٨٢هـ.

(٣) ط٢. دار العهد الجديد - القاهرة.

(٤) راجع ترجمته في «معجم المؤلفين» (٢٧٧/٥).

- وللعلامة الكبير الشيخ أمين البسيوني الأزهري، المتوفى ١٣٦٢هـ ١٩٤٢م، وكان أستاذًا بكلية أصول الدين، ودرس الأصول، والحديث، والتفسير، وكان عضوًا في جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف «الأسلوب الحديث في علوم الحديث»[١].

- وكتب العلّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تعليقاته القيمة على كتاب «الأجوبة الفاضلة»، وهي أجوبة جامعة محررة عن حكم الإسناد، والعمل بالحديث الضعيف، وحال كتب الحديث المسندة، وما يحتج به منها.

- وكتب العلامة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم «أصول الحديث النبوي علومه ومقاييسه»[٢].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي «عناية المسلمين بالسنة ومدخل لعلوم الحديث»[٣]، وله أيضًا «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث»[٤].

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف المالكي الأزهري المتوفى ١٩٧٠م «المعتصر في مصطلحات أهل الأثر من السنة والشيعة الإمامية والزيدية»[٥]. وله «المبتكر الجامع لكتابي المختصر في علوم الأثر».

وله تحقيق وتعليق على كتاب «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر العسقلاني[٦].

---

(١) راجع ترجمته في «الفتح المبين» سلسلة التراجم الأزهرية - الحلقة الثانية (١٩٢/٣، ١٩٣).

(٢) ط: الثانية . دار الشروق . القاهرة ١٤٠٦هـ.

(٣) ط: الأنصار. القاهرة ١٣٩٨هـ.

(٤) ط: عالم المعرفة . جدة . ١٤٠٣هـ.

(٥) مطبعة الفجالة الجديدة . القاهرة ١٣٧٩هـ.

(٦) وقد نشره محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية . المدينة المنورة . باب الرحمة.

- وكتب العلامة الكبير محمد محمد أبو شهبة عدة مؤلفات في علوم المصطلح غايةً في النفاسة، منها: «في أصول الحديث»، و«علوم الحديث»، و«في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة»، ثم كان أفضل كتبه، الكتاب الماتع وهو من أفضل ما كُتب في علوم المصطلح «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث».

وعنه قال في مقدمته: «هذا الكتاب زُبدة أو خلاصة كتب الفن ما منَّ الله به عليَّ، حصيلة دراساتي واشتغالي بالحديث وعلومه ما يقرب من نصف قرن، فقد عنيت به من عهد الطلب، حتى استأهلت ولله الحمد والمنة أنْ أناقش الأقوال، وأنقد الآراء، وأرجح قولًا على قول، ورأيًا على رأي، وأن يكون لي اجتهاد في كثير من مسائل هذا الفن».

- وللأستاذ الدكتور محمد شوقي خضر «دراسات في علوم الحديث»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الله محمود شحاتة «علوم الحديث»[2].

- وللأستاذ الدكتور الخشوعي الخشوعي محمد الخشوعي «علوم الحديث» وله «الوجيز في علوم الحديث».

- وللأستاذ الدكتور أبي العلا علي أبي العلا «علوم الحديث».

- وكتب العلَّامة المحدث الدكتور أحمد معبد عبد الكريم «علوم الحديث بين المتقدمين والمتأخرين»، وله «الحاسب الآلي واستخداماته في السنة النبوية وعلومها بين النشأة والتطور».

---

(١) ط: الطباعة المحمدية. القاهرة.

(٢) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٤٠٦هـ.

- وكتب الأستاذ الدكتور المحدث أحمد عمر هاشم «قواعد أصول الحديث».

- وكتب الأستاذ الدكتور نور الدين عتر «معجم المصطلحات الحديثية» باللغتين العربية والفرنسية، وهو الكتاب الحائز على الجائزة الأولى لمسابقة الدراسات الحديثية من جامعة الدول العربية.

- وكتب الأستاذ الدكتور مصطفى محمد أبو عمارة «المختصر في قواعد المصطلح»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مِزيَدْ «تيسير مصطلح الحديث وعلومه» وله «معجم المصطلحات الحديثية»[2]. وله كتابه الماتع «المنهج الحديث في تهذيب علوم الحديث» وهو مطبوع في أربعة أجزاء، وله ثمانية أبحاث في علوم الحديث منشورة في موسوعة علوم الحديث الشريف وزارة الأوقاف بمصر[3]. وهي موسوعة ضخمة شارك فيها جماعة من خيرة علماء الأزهر الشريف وكتبوا فيها عن أنواع علوم الحديث وهي قيِّمة جدًا ومن الأهمية بمكان في بابها.

- وكتب الأستاذ الدكتور محمود محمد أحمد بكَّار «بلوغ الآمال من مصطلح الحديث والرجال»، وقدم له المحدث الكبير سيدي الشيخ أحمد معبد عبد الكريم[4].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد الأحمدي أبو النور «شذرات من علوم السنة»[5].

---

(١) ط الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) كلاهما ـ ط مكتبة الجامعة الأزهرية.

(٣) ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٤) وهو مطبوع في دار السلام ـ القاهرة.

(٥) ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة .

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الله شعبان أستاذ الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة «التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين»[1]. وله كذلك «اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث»[2].

ومن تتبع هذا خرج بما يزيد على ألف مصنف في القرن الماضي فقط، ناهيك عما كتب في في أبواب معينة مما يصعب حصره.

ففي علم العلل: حُقِّقَتْ وكتبت مؤلفات كثيرة، مع التنبيه على أنَّ علم العلل هو المعول الأول على كون الدارس محدثًا خبيراً بالصنعة الحديثية؛ أم لا يعدو مجرد ناقل فقط لكلام العلماء، كما قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وهو فن خفي على كثير من علماء الحديث، حتى قال بعض حفاظهم: معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل، وإنما يهتدي إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه، ومعوجه ومستقيمه، كما يميز الصيرفي البصير بصناعته بين الجياد والزيوف، والدنانير والفلوس»[3].

وقال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله تعالى-: «هذا الفن من أدق فنون الحديث وأعوصها، بل هو رأس علومه وأشرفها، ولا يتمكن منه إلا أهل الحفظ، والخبرة، والفهم الثاقب، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل، كابن المديني، وأحمد، والبخاري، ويعقوب بن شيبة، وأبي حاتم، وأبي زُرْعة، والترمذي والدارقطني...»[4].

---

(١) ط: دار السلام . القاهرة.

(٢) ط: دار السلام . القاهرة.

(٣) «الباعث الحثيث»: (ص ٥٤) بتحقيق العلامة أحمد شاكر.

(٤) «الباعث الحثيث»: (ص ٥٥).

إذن هو عبارة عن سبب غامض قادح في الحديث، مع أنَّ الظاهر السلامة منه، وقد تطلق العلة على الإسناد الجامع لشروط الصحة ظاهرًا، وقد تطلق على غير مقتضاها من مهمات المتن، وللعلماء في معرفة العلل طرق ذكرها العلماء، تطلب في مظانها، وليس هذا موضع بسطها.

وعلماء الأزهر الشريف لم يهملوا هذا الجانب بل اشتغلوا به وعايشوه في تصحيحاتهم وتعليقاتهم على كتب الحديث وألفوا في قواعده كتبًا ليتواصلوا مع حفاظ الإسلام وأئمته، ممن كتبوا فيه، أمثال: ابن المديني، وابن أبي حاتم، والخلال، وغيرهم.

- فحقق العلامة أبو عمر محمد بن علي الأزهري كتاب «التميز» للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري[١].

- وللدكتور علي عبد الباسط مزيد تحقيق بالاشتراك لكتاب «علل الحديث» لابن أبي حاتم الرازي[٢]. وكتب هو كتابًا في علم العلل سماه: «علل الحديث .. دراسة تحليلية» وهو مطبوع.

- وحقق العلامة الدكتور نور الدين عتر كتاب: «شرح علل الترمذي» لابن رجب الحنبلي[٣].

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي بيومي «إتحاف ذوي المقل ببيان الحديث المعل»[٤].

(١) ط: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

(٢) وهو مطبوع في مكتبة الخانجي ـ القاهرة

(٣) وقد طبع غير مرة منها مرة في دار الملاح ـ دمشق، ومرة دار العطاء ـ الرياض سنة ١٤٢١هـ.

(٤) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

وفي علم الجرح والتعديل: كُتبت وحُققت مؤلفات كثيرة، وعلم الجرح والتعديل، علم يُبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وهو من فروع علم الرجال، وله أدلّته من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، صونًا للشريعة الإسلامية من كذب الكذابين، وجهل الجاهلين، وعبث العابثين، وكان مِن أول مَنْ دَوَّن في هذا العلم من الأئمة الحفاظ الإمام شعبة بن الحجاج، ثم يحي بن سعيد، ثم يحي بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وعمرو بن علي الفلاس، وأبو خيثمة زهير، ثم أبي زُرعة، وأبو حاتم الرازي، ومسلمٌ، وأبي إسحاق، والجوزجاني، والنسائي، وابن خزيمة، وغيرهم كثير.

وكان من بين هذه الكتب التي ذاعت، كتاب الإمام أحمد بن عبد الله العجلي، المتوفى ٢٦١هـ «الجرح والتعديل»، ولأبي حاتم الرازي المتوفى ٣٢٧هـ مثله، و«الكامل» لابن عدي، و«ميزان الاعتدال» للذهبي، و«لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني... إلى غير ذلك من الكتب.

ثم إنَّ علماء الأزهرالشريف، لم يغفلوا هذا الجانب في الفترة الماضية المتأخرة.

- فكتب العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تحقيق ودراسة على «قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين» للتاج السبكي[١].

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «علم الجرح والتعديل قواعده وأئمته» في جزئين[٢].

(١) ط: مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب.

(٢) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية.



- وحقق العلامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد «رجال الصحيحين في ميزان أئمة الجرح والتعديل .. دراسة استيعابية» وهو رسالة الدكتوراه لفضيلته. وله تحقيق بالاشتراك على كتاب «المختلطين» للعلائي[1].

- وحقق العلامة الدكتور نور الدين عتر «المغني في الضعفاء للذهبي» وله مؤلف بعنوان: «أصول الجرح والتعديل».

- ورسالة (ماجستير) بعنوان: «الجرح والتعديل» للدكتور أبي لبابة حسين بكلية أصول الدين سنة ١٣٩٤هـ[2].

- وكتب الدكتور أيمن سليمان عطية «أئمة الجرح والتعديل بين التشدد والتسهيل» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٢٥:٢٢٦).

وفي علم التراجم: كتبت وحُققت مؤلفات كثيرة جدًّا خاصة في الفترة المتأخرة على يد علماء الأزهر الشريف، منها:

- ما كتبه العلامة محمد بن حبيب الله الشنقيطي «هداية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث»[3].

- وللعلامة الأزهري الكبير المرحوم الشيخ أمين محمود سرور وكان -رحمه الله تعالى- أستاذًا بكلية اللغة العربية «حسن الأثر في التعريف برجال الأثر».

---

(١) ط: مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

(٢) وقد طبعت في منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٣) ط: دار البشائر ـ بيروت.

- وللعلامة أبي غدة تحقيق على كتاب «خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال» لأحمد بن عبد الله الخزرجي[1].

- وكتب العلامة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم «أئمة الحديث النبوي»[2].

- وكتب العلامة محمد محمد أبو شهبة «أعلام المحدثين»[3].

- وكتب الأستاذ الدكتور أبو زيد شلبي أستاذ الحضارة بكلية اللغة العربية «رجال الحديث» وهو مطبوع.

- وقام بتحقيق «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، ويليه «ذيل ميزان الاعتدال» للعراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية، وعضو المجمع الأعلى للشؤون الإسلامية في سبعة أجزاء.

- وحقق العلَّامة الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان[4].

- وحقق العلامة الشيخ علي محمد البجاوي «المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم»[5].

---

(١) ط٢مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب.

(٢) ط: المكتبة العصرية . صيدا . بيروت.

(٣) ط: مركز كتب الشرق الأوسط: القاهرة ١٣٨١هـ.

(٤) ط: مكتبة النهضة المصرية.

(٥) ط: دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) ط١ سنة ١٩٦٢م.

- وحُقق كتاب «التاريخ الكبير» للإمام البخاري في عدة رسائل علمية للدكتور منصور سلمان نصر، وفهد عامر حامد، وجمعة السيد باز محمد إبراهيم محمد، والدسوقي سامي محمد، وعيسى أحمد عيسى... وغيرهم، وهي مخطوطة في كلية أصول الدين بالقاهرة.

ناهيك عما كتب في رسائل علمية (ماجستير) و(دكتوراه) من القضايا العلمية الدقيقة في مصطلح الحديث ورجاله:

- فوجدنا للدكتور محمد حسن محمد محمد قنديل «القضايا الحديثية في كتاب المحصول للإمام فخر الدين الرازي وبيان قيمتها العلمية .. عرض ونقد» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم السيد نجم، والأستاذ الدكتور محمود عبد الوهاب رحمة، رسالة (ماجستير) بكلية أصول الدين بالقاهرة برقم (٢٩٠) ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

- ورسالة (ماجستير) للباحث علاء الدين رجب محمود الديب بعنوان «الصناعة الحديثية في عارضة الأحوذي في شرح الترمذي لابن العربي المالكي» المتوفى ٥٤٣هـ، من أول باب الفتن إلى آخر أبواب الأمثال»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور جلال الدين إسماعيل عجوة، والأستاذ الدكتور هشام إبراهيم فرج، برقم: (٢٣٣) بأصول الدين بالقاهرة.

- ورسالة (ماجستير) للباحث أحمد فرج أحمد زيدان بعنوان «الإمام بدر الدين الزركشي وكتاباه النكت على مقدمة بن الصلاح والمعتبر في تخريج أحاديث المنهاج المختصر .. دراسة نقدية مقارنة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد محمد أحمد الشريف، والأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (٣٦٠)، بأصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الدكتور أحمد أشرف عمر في رسالة (دكتوراه): «القواعد الحديثية من كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم» تحت إشراف الدكتور محمد محمد الشريف، برقم: (٢٥).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور أحمد السيد أحمد «الصناعة الحديثية عند ابن حبان من خلال كتابيه الصحيح والثقات» تحت إشراف الدكتور محمد إمبارك السيد، برقم: (٢٠٢:٢٠٤).

- ورسالة (دكتوراه) للدكتور محمود عبد الله «الصناعة الحديثية في طبقات الشافعية الكبرى للإمام ابن السبكي» تحت إشراف الدكتور سعد سعد جاويش برقم (٢٩٥).

- ورسالة (دكتوراه) دراسة وتحقيق لكتاب «تغليق التعليق للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ»، للدكتور سعيد عبد الرحمن موسى القزمي، وتحت إشراف الأستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، بكلية أصول الدين بالقاهرة[1].

إلى غير ذلك مما يصعب حصره، ولكنها إشارة لتفصح عن العبارة.

*****

(١) وقد طبعت في المكتب الإسلامي. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الفصل التاسع: لمحة من جهود الأزهريين في تحقيق كتب المصطلح

كان أول من اهتم بتراث علماء المسلمين وإخراجه إلى دنيا الناس علماء الأزهر الشريف، وخاصة كتب الحديث الشريف وعلومه، واهتموا بكتب المصطلح اهتمامًا منقطع النظير، فإنك ما تجد كتابًا من كتب الأقدمين المهمة، التي تتكلم عن علوم المصطلح إلا ونال اهتمامًا كبيراً، بإخراجه من حيز المخطوط إلى المطبوع المنتشر، الذي ينتفع أهل العلم بما فيه من كنوز مدونة، تركها لنا سلفنا الصالح.

وكما أشرت إلى أن علماء الأزهر الشريف هم أكثر من خدموا كتب التراث عامة، حتى قال أستاذنا البيومي: «وقد استطاعوا بثقافتهم الأصيلة أن ينشروا آثار الطبري، وابن خلدون، والمسعودي، والزمخشري، والأصفهاني، وكتب المذاهب المختلفة في الفقه الإسلامي، هذا غير المقرر في دروس الجامع الأزهر من المتون، والشروح، والحواشي، والتقارير، في شتى المواد العلمية، وللقارئ أن يقرأ فهارس المكتبة الأزهرية وحدها ليعرف أي طوفان كاسحٍ فاض على المكاتب العربية في شتى بلاد الإسلام من آثار هؤلاء العلماء الأعلام، وقد حفظ التاريخ من أسماء هؤلاء الناشرين عددًا حافلًا، ولعلَّ من الخير أن يتخصص مؤرخ أدبي في تدوين جهود هؤلاء؛ لأن الإحاطة بهم في فصل موجز تتعذر وتستحيل»[1].

وصدق الأستاذ البيومي فيما قال، فمن طالع جهودهم في القديم والحديث

(١) «النهضة الإسلامية»: (٢/٤٨٥).

خرج بتراث عظيم حمله هؤلاء الأعلام على أكتافهم، وبأيديهم أنوار الهداية إلى العالمين.

وعندما أقف أمام هذا الباب الذي نحن بصدده في تحقيق كتب المصطلح وأقف أمام واحدٍ من علماء الأزهر الشريف، أمثال العلَّامة الكبير الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، أو العلَّامة الشيخ أحمد محمد شاكر، أو الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، أو غيرهم من أهل الفضل، وأستحضر في خاطري ما أخرجوه لنا من كتب علمية غاية في النفاسة كانت في حكم المعدوم؛ لأنها مخطوطة لم تظهر إلى دنيا الناس، لم يكن أحدٌ يسمع عنها، أستصغر نفسي كثيراً بجوار هؤلاء الأكابر، وفي الوقت ذاته أحمد الله تعالى أن جعل تلك الثمار منبعها وقرارها الجامع الأزهر الشريف، ولتحمل المسؤولية من قبل هؤلاء الأكابر، حدثنا بعض شيوخنا أنَّ بعضهم كالشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد -رحمه الله تعالى- رحمة واسعة كان يحقق الكتب أو يؤلفها، ثم يطبعها على نفقته، ثم يوزعها مجانًا على طلبة العلم في الأزهر الشريف.

وإني لأقف أمام عَلَم من أعلام الأزهر الشريف، كالشيخ عبد الفتاح أبي غدة -رحمه الله تعالى- فأرى له كمًّا عضيمًا من التحقيقات الباهرة في كتب الحديث الشريف وغيره من العلوم، حتى حقق في هذا الباب المفرد، من تحقيق كتب مصطلح الحديث الشريف، كمًّا كبيراً يجعل الأزهري منا رافعًا قامته مجابهًا من يتطاول على علماء الأزهر الشريف، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تحقيقه لكتاب «قواعد في علوم الحديث للتهانوي»[1]. وله تحقيق على كتاب «ظفر الأماني» للعلامة الشيخ عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة ١٢٠٤هـ[2].

---

(١) ط: دار السلام. القاهرة

(٢) ط: دار المطبوعات الإسلامية. حلب.

- وله تحقيق على كتابه الآخر «الأجوبة الفاضلة»[1]، وله تحقيق على كتاب «خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال» لأحمد بن عبد الله الخزرجي[2]، وله تحقيق على كتاب «قفو الأثر» لصفي الدين الحنفي. واعتنى كذلك -رحمه الله تعالى- بكتاب «توجيه النظر إلى أصول الأثر» للعلامة طاهر الجزائري المتوفى سنة ١٣٣٨م[3].

إلى غير ذلك من تحقيقاته البارعة، التي لا تخلو من الفوائد الحديثية القيِّمة، فليس تحقيقه كالناسخ الورَّاق، بل هو تحقيق خبير بالصنعة الحديثية، بصير بخباياها، وهذه الطبقة هي أفضل طبقة حققت فيها كتب العلم مع طبقة العلامة الكوثري، والسيد أحمد صقر، والشيخ أحمد شاكر، وأمثالهم ممن هم رموز وشموس، حتى قام الدكتور ماجد الدرويش بجمع الدرر والنفائس، والتعليقات الجواهر، التي ظهرت في تحقيقات العلَّامة أبي غدة، وكتب فيها بحثًا قيِّمًا سماه: «الفوائد المستمدة من تحقيقات العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة»[4].

- وللعلَّامة الدكتور السيد أحمد صقر تحقيق كتاب «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» للقاضي عياض[5].

- وللأستاذ الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد تحقيق على كتاب: «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» لمحمد الأمير الصنعاني[6].

---

(١) ط: دار المطبوعات الإسلامية. حلب.

(٢) ط٢. دار المطبوعات الإسلامية. حلب.

(٣) وهو مطبوع في دار السلام. القاهرة.

(٤) وهو مطبوع في دار البشائر الإسلامية.

(٥) وهو مطبوع في دار التراث.

(٦) ط: مكتبة الخانجي. القاهرة. ١٣٦٦هـ.

ثم إنَّ المتأمل في الكتب التي هي عُمُدُ علوم المصطلح لدى الباحثين، يجد أنَّ أوثق وأفضل تحقيقاتها وشروحها إنما على أيدي أزهريين:

- فخذ مثلًا كتاب «اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- فهل توجد نسخة من بين النسخ المتداولة تضاهي نسخة الشيخ أحمد محمد شاكر تحقيقًا وشرحًا في كتابه المشهور القيم المسمى بـ«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» وهو مطبوع غير مرة.

- ثم كتاب «نزهة النظر» للحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- والذي حققه كثيرون لكن هل توجد نسخة من هذه النسخ تضاهي نسخة الشيخ المحدث نور الدين عتر في الدقة والتميز، مع ما تحتويه من تعليقات هي غاية في النفاسة والدقة والتحرير، ومن اطلع على النسخ المطبوعة أدرك هذا جيدًا، وقد شرح الشيخ -حفظه الله تعالى- هذا الكتاب في الجامع الأزهر الشريف -صانه الله تعالى من كل سوء- وبعد أن أتمه، أجازنا في الكتاب إجازة خاصة، وبجميع مروياته إجازة عامة، قبيل ظهر يوم الخميس الموافق ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٢هـ، ٢٧/١٠/٢٠١١م، بالجامع الأزهر الشريف أعلى الله مناره.

- ثم كتاب «تدريب الراوي» للحافظ السيوطي وقد حُقق على يد غير واحد من الأزهريين، في مقدمتهم: تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف المالكي الأزهري[١]. وحققه الدكتور عزت علي عطية وموسى محمد علي[٢]. وحققه وعلق عليه كذلك الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، وهو مطبوع في مجلدين[٣].

---

(١) ط: دار التراث.. القاهرة.

(٢) مطبعة حسان بالقاهرة. وتوزيع مؤسسة الرسالة بيروت.

(٣) ط: دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٩هـ.

- وحقق العلامة الكبير نور الدين عتر الأزهري كتاب: «علوم الحديث» لابن الصلاح(١).

- وقام بتحقيق «ألفية الحافظ السيوطي» في رسالة (دكتوراه)، الدكتور محمد عبد الله الفهيد، والدكتور عبد الكريم عبد الله الخضير، كلاهما تحت إشراف العلّامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، في كلية أصول الدين بالقاهرة.

- وحقق الباحث محمد توفيق محمد كتاب «قطر الدرر في تناسب ألفية القرافي في العلم الأثر» تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري خليفة في رسالة (ماجستير) سنة ١٩٩٢م.

- وحُقق كتاب «الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف» للحافظ ابن حجر العسقلاني في رسالة (ماجستير)، بكلية أصول الدين بالقاهرة، للباحث افتخار أحمد تاج الدين، وتحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى محمود حسين.

- وحقق العلّامة الكبير الدكتور محمد عوامة «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر(٢). وحققه العلامة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف المالكي الأزهري(٣).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور سعيد عبد الرحمن موسى القزمي «دراسة وتحقيق لكتاب تغليق التعليق للحافظ ابن حجر» تحت إشراف الأستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم، بتاريخ ١٩٨٠م(٤).

---

(١) ط: دار الفكر.

(٢) ط: دار القلم.

(٣) وقد طبع غير مرة منها طبعة دار المعرفة - بيروت.

(٤) وهو مطبوع في المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى منه سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

- وحُقق ودُرِسَ كتاب «نخب الأفكار» للإمام بدر الدين العيني، في رسالتين؛ أولاهما: للدكتور علاء عنتر محمد مصطفى، رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الدكتور بهاء محمد الشاهد برقم (١٠٥:١٠٢)، ومثله للدكتور عبد العزيز مهدي، برقم: (٥٢).

- وحُقق كتاب «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للحافظ الذهبي وذيله للحافظ العراقي على يد جماعة من علماء الأزهر الشريف كما مر... إلى غير ذلك، مما يدلك على أنَّ علماء الأزهر الشريف لم يغفلوا شيئًا من كتب المصطلح ذات قيمة علمية إلَّا وكانت لهم تحقيقات ونفائس وتحريرات غاية في الدقة والنفاسة.

فإذا كان شأن الأزهريين الخدمة لتحقيق كتب المصطلح بهذا الشمول والقدر الكبير الذي لم تعرفه مدرسة علمية على الأرض في القديم أو الحديث، وأن تلك الجهود لم تكن في الحديث وعلومه فقط بل تنسحب على كل العلوم الشرعية واللغوية والتجريبية- لو أدركنا ذلك لعلمنا فضل الأزهر الشريف على العالمين.

إن هؤلاء العلماء كما يقول أستاذنا الدكتور البيومي: «كانوا يقومون مقام مجمع اللغة العربية اليوم، فهم يترجمون الكتب في علوم الطب، والهندسة، والرياضة، ولا يجدون المرادف المتداول فيراجعون الكتب القديمة لاختيار المصطلح المناسب، ونحن نعرف أن اختيار المصطلح الواحد في فنٍّ واحدٍ يحتاج إلى دُرْبةٍ وغوصٍ ودقةٍ واستنباط، لذلك تعقد الجلسات المتوالية في المجامع العلمية لمناقشة مصطلح واحد يصادف القبول، فإذا قام علماء الأزهر باختيار ما ينطبق على اللفظ المترجم من كتب مخطوطة متعددة في زمان لا يسعفه البحث الدقيق لتعذر المراجع وصعوبة الاهتداء إلى مضمونها من مخطوطات متآكلة باهتة المداد، وليس المختار من فنٍّ واحدٍ، بل من فنون شتى في فروع الطب، والهندسة، والرياضة.

إذا قام علماء الأزهر بذلك كله في الكتب المترجمة لمدرسة الطب ومدرسة الهندسة، والمدرسة الحربية، ومدرسة الألسن، واستطاعوا أن يصلوا الحديث بالقديم في المجال العلمي فأي مجهود بذلوا؟ وأي علم تركوا!؟ دون أن يجدوا الإنصاف الأمين»[1].

*****

(١) «النهضة الإسلامية» للبيومي: (٢/٤٧٨).

الفصل العاشر: لمحة من جهود الأزهريين في شرح كتب علوم المصطلح ومنظوماتها

وهذا باب عزيز من أبواب العلم، برع فيه رجال الأزهر الشريف وكتبوا عدة متون أو منظومات تيسر العلم على طلابه، وما ألَّفه علماء الأزهر الشريف في هذا الجانب وتولوه بالشرح، هو عمدة كل محدث يُقْبِل على علم الحديث، فمن ذا الذي يضاهي بكتبه كتب الحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السيوطي، وغيرهما في العصور المتقدمة.

وإليك في ذلك كتب الأمهات في هذا العلم، والتي تعد مرجع الباحثين والدارسين، والمشتغلين بالصنعة الحديثية، فتجد أنها ثمرة من ثمرات الأزهر الشريف:

- فكتب الحافظ السخاوي «فتح المغيث شرح ألفية الحديث»[(١)].

- وما أعظم وأجل ما كتبه الحافظ السيوطي -رحمه الله- في كتابه الماتع المسمى بـ: «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي»[(٢)].

- ثم قام العلامة الكبير شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي وشرح ألفية الحافظ العراقي.

---

(١) وهو مطبوع في دار الطبري في أربعة أجزاء، وطبع في الهند في جزئين.

(٢) ط: مكتبة دار التراث . القاهرة.

- ثم ما أجل وأعظم ما كتبه العلَّامة أحمد شاكر -رحمه الله- في شرحه لكتاب «اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- والمسمى بـ«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث»[1]. وصار شرح الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في اعتقاد أكثر المشتغلين بالحديث هو أعظم وأجل تلك الشروح على الإطلاق.

ثم وجدنا في ذلك كمًّا لا يحصى عدده، في تأليف وشرح المنظومات وغيرها، وهذا يدل على سعة العلم، والاطلاع الواسع بعلوم الحديث، فخذ مثلًا على سبيل المثال لا الحصر:

- للعلَّامة الشيخ أحمد بن علي السندوبي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٦٨٦م وكان ممن وَلِيَ التدريس بالجامع الأزهر الشريف منظومة في مصطلح الحديث[2].

- وللعلَّامة الأجهوري المالكي الأزهري شرح ألفية الوافي في مصطلح الحديث والمسمى بـ: «فتح الباقي» في مجلدين. وله «شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية»[3].

- ووجدنا للشيخ علي الصعيدي العدوي المالكي الأزهري المتوفى سنة ١٧٧٥م «حاشية على شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على ألفية العراقي»[4].

(١) ط: مكتبة دار التراث . القاهرة.

(٢) «معجم المؤلفين» (٨/٢).

(٣) «معجم المؤلفين»: (٢٠٧/٧).

(٤) راجع «معجم المؤلفين»: (٢٩/٧).

- وللعلَّامة المحدث الحسن بن غالب المالكي الأزهري المتوفى ١٢٠٢هـ، ١٧٨٨م «شرح اليعقوبية في مصطلح الحديث»[١].

- وللعلَّامة الكبير أبي حامد بن محمد البديري الدمياطي الأزهري، المتوفى سنة ١١٤٠هـ، والذي تولى التدريس في الجامع الأزهر في زمانه «صفوة الملح بشرح منظومة البيقوني في فن المصطلح» وهو مطبوع، ثم شرع في «شرح منظومة ابن الجزري في علوم الحديث» ولكن لم يتمَّه[٢].

- وللشيخ محمد جاد المولى الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٨١٤م، «حاشية على المنظومة البيقونية»[٣].

- وكتب العلامة عبد المعطي بن حسن بن رجب السقا الفرغلي، «رشف الرضاب» وشرحه في كتاب «كشف النقاب»، وله «حجة المتكلم على متن مختصر النووي لصحيح مسلم» نحو خمسين كراسة، وله «صحيح المعاني شرح منظومة البياني».

- وللعلَّامة الكبير أحمد رافع بن محمد القاسمي الحسني الأزهري، المتوفى سنة ١٣٥٥هـ: «المسعى الرجيح إلى فهم شرح غرامي صحيح».

- وللعلامة الشيخ عطية الأجهوري «حاشية على شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية»[٤].

---

(١) راجع «معجم المؤلفين»: (٣/٢٦٨).

(٢) راجع ترجمته في «أسانيد المصريين»: (ص ٦٨٥).

(٣) «معجم المؤلفين»: (١٢/٤٠).

(٤) مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٦هـ.

– وشرح العلَّامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر «ألفية الحافظ السيوطي»[1].

– وشرحها وحققها أيضًا الأستاذ الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد[2].

– وللعلَّامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الأزهري شرح على: «المنظومة البيقونية»[3].

– وللعلَّامة المحدث محمد بن حبيب الله الشنقيطي الأزهري حاشية على منظومته المسماة بـ«دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك».

– وقام العلَّامة الشيخ المرحوم حسنين بن محمد حسنين مخلوف، المتوفى سنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، وكان –رحمه الله تعالى– مفتيًا للديار المصرية، بـ«شرح البيقونية» في مصطلح الحديث.

والاهتمام بهذه الناحية من الصعوبة بمكان، ولا أظن أن بلدًا على الأرض كلها نَظَمَتْ قواعد الحديث الشريف وعلومه، على هيئة منظومات ومتون، ثم تناولوها بالشرح والتفصيل مثل أهل الأزهر الشريف.

*****

(١) وهو مطبوع في دار الكتب العلمية.

(٢) ط: المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٣٢هـ.

(٣) ط: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

الفصل الحادي عشر: لمحة من جهود الأزهريين في الاهتمام بفوائد من الحديث وعلومه ومسائله المفردة الدقيقة

وهذا باب دقيق أفردت فيه مؤلفات عدة حول قضية واحدة، قد تتعلق بالحديث أو مصطلحه، لتؤكد الارتباط الوثيق بين الحديث الشريف وعلومه والمباحث الفرعية الدقيقة مع المقاصد الشرعية، وما يطرأ للناس من أحكام ومستجدات، وقد حدث هذا في السنة النبوية وعلومها، وإدراجها في قضايا ومباحث في غاية الأهمية قلَّ من صنَّف فيها أو التفت إليها من المعاصرين إن لم يكن معدومًا في كثير من الأحيان، من ذلك:

- «حقوق المرأة في السنة النبوية» للعلَّامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد، وله «التربية النبوية للطفل»، وله «التسمية والختان في السنة النبوية»[1].

- وكتب الدكتور توفيق عابد شوشة: مرويات الإمام عبد الله بن المبارك في الكتب الستة» في رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور يحيي إسماعيل برقم: (١٢١٢٤).

- وكتب الدكتور ياسر محمد شحاتة دياب رسالة (ماجستير) بعنوان «النسخ في الكتب الستة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان محمد مصطفى شاهين، سنة ١٩٩٢م.

---

(١) وهو بحث منشور في كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ العدد الثاني والستون ـ شهر ديسمبر ٢٠٠٦م.

- وفي رسالة (ماجستير) للدكتور فوزي عبد العظيم رسلان «الأمثال في السنة النبوية وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الغفار محمد عزيز، بتاريخ ١٤٠٣هـ.

- وكتب الدكتور مصطفى عمارة «الأحلام في ضوء السنة» في رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٨٤م.

- وكتب الدكتور أحمد سعد الدين عوامة «صفات الأمة الإسلامية في ضوء السنة النبوية» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٠١٢٠٠).

- وكتب الدكتور علي محمد سند «زوائد الإمام الطحاوي على الكتب الستة في مشكل الآثار» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أبي عمارة، برقم (٢٠٥).

- وكتب الدكتور هشام منصور عبد الحي «محاكاة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار والمشركين في ضوء السنة النبوية» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان محمد مصطفى شاهين، برقم: (٢٣٧).

- وكتب الدكتور ياسين محمود عبد القادر «دور السنة في حماية الأصول الخمسة: الدين والنفس والعقل والمال والعرض» في رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور الخشوعي الخشوعي محمد، برقم: (٢٤٤).

- وكتب الدكتور محمد إسماعيل محمد «منهج السنة في معالجة الإعاقة الذهنية والنفسية والبدنية» رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفي عمارة، برقم: (٢٥٨).

- وكتب الأستاذ الدكتور حمدي عبد العزيز أحمد «معالم الكسب الحرام في ضوء السنة النبوية المشرفة» رسالة (ماجستير)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم: (٢٧٩).

- وكتب الدكتور خالد عبد النبي عبد الرازق «موقف المعتزلة من السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عاطف أمان، برقم: (٢٩١).

- ومن المؤلفات المهمة في علوم المصطلح: ما كتبه العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة «السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني»[١]، وله أيضًا «تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي»[٢].

- وكتب العلَّامة الشيخ الدكتور مصطفى أمين التازي الأزهري «مقاصد الحديث في القديم والحديث».

- وكتب العلَّامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد «مرويات البخاري في غير الصحيح» جمع وترتيب ودراسة. وهو بحث فضيلته في رسالة الماجستير، وله تحقيق بالاشتراك على كتاب: «تحفة التحصيل في جمع رواة المراسيل» للحافظ العراقي[٣].

- وكتب العلَّامة المحدث نور الدين عتر «خبر الواحد الصحيح وأثره في العقيدة والعمل» وهو مطبوع، وله «الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين» وهذا البحث هو رسالة (الدكتوراه) لفضيلته من جامعة الأزهر الشريف، وفي أوَّله

---

(١) مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ١٤١٢هـ.

(٢) ط: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

(٣) ط: مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

قبس من كلام العلامة الكبير محمد محيي الدين عبد الحميد، والعلامة الشيخ محمد محمد السماحي، والعلامة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، مخطوطة في كلية أصول الدين[1].

- وللعلامة الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «طرق الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف» في جزئين[2].

- وكتب العلامة المحدث الدكتور محمود محمد أحمد بكَّار «أسباب رَدُّ الحديث وما ينتج عنها من أنواع»[3].

- وكتب الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الفتاح حليبة «القول الحصيف في بيان الحديث الضعيف»[4].

- وكتب الدكتور علي عبد الحليم محمود «التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة»[5].

- وكتب العلامة المحدث الدكتور رضا زكريا محمد الشرقاوي الأزهري كتابًا قيمًا، بعنوان: «الإرشاد إلى كيفية دراسة الإسناد» تكلم فيه عن عدة قضايا في غاية الأهمية، كقضية تمييز الرواة عند الاشتباه في أسمائهم، وطرق تمييز الراوي المهمل في الإسناد، وكيفية استخلاص حكم على راوٍ مختلف فيه بين توثيق وتضعيف، وفك الإشكال عند تعارض أقوال الأئمة... إلى غير ذلك من مباحثه المهمة وهو كتاب

(١) وهي مطبوعة في مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٣) ط: دار طيبة ـ السعودية.

(٤) ط: الطباعة المحمدية.

(٥) ط: دار الوفاء ـ المنصورة ١٤١٣هـ.

قيِّم جدًّا[1]. وله كذلك: «هداية الحديثيّ إلى فني المزيد في متصل الأسانيد والمرسل الخفيّ»[2].

ناهيك عن الرسائل العلمية الحافلة بيواقيت علم الحديث الشريف ودرره، ومن ذلك أقتطف لك بعض الموضوعات المهمة، والتي هي غاية في النفاسة والدقة، وفيها من الرصانة العلمية الشئ الكثير والذي يستحق كل احترام وتبجيل:

- ففي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمد أنور محمود «الأحاديث المعلَّة بين ابن المديني وابن أبي حاتم في كتابيهما علل الحديث» تحت إشراف الدكتور يحيي إسماعيل، برقم: (٤٣٢١).

- ورسالة (دكتوراه) للدكتور جنيد أشرف إقبال، بعنوان: «العدالة والضبط وأثرهما في قبول الأحاديث أو ردها» تحت إشراف الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (٢٠).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمد أحمد محمد، بعنوان: «منهج الصحيحين في الرواية عن المدلسين» تحت إشراف الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٤٠٣٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عمر نجار علي، بعنوان: «أهمية الصنعة الحديثية في الترجيح بين المذاهب الفقهية» تحت إشراف الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (٢٤١).

---

(١) وهو مطبوع في مكتبة الجامعة الأزهرية

(٢) ط: دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ط الأولى سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور أحمد خيرت محمد، بعنوان: «الحديث الغريب في سنن الترمذي» تحت إشراف الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٥٦).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عبد الله عبد العليم بعنوان: «الموازنة بين الذهبي وابن حجر في كتابة تراجم رواة الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (١٢٠).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور إبراهيم السعيد خليل، بعنوان: «ثقات أتباع التابعين الذين أخرج لهم أصحاب السنن وترك الشيخان الرواية عنهم» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد محمد الشريف، برقم: (١٥٦).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عمر محمد الفرماوي بعنوان: «أصول الرواية عند الشيعة الإمامية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محروس رضوان، برقم: (١٦٨:١٦٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمد عبد العزيز بعنوان: «الأحاديث الشاذة دراسة تأصيلية وتطبيقية من خلال الكتب الستة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار، برقم: (١٩٨:١٩٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور سعد فجحان الدوسري، بعنوان: «قواعد رفع الاختلاف في الحديث النبوي الشريف من خلال الكتب الثلاثة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٢٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور جمعة فتحي عبد الحليم، بعنوان: «الاختلاف بين روايات الجامع الصحيح ونسخه» تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم: (٢٣٥).

- وفي رسالة (ماجستير) للدكتور السيد محمد السيد، بعنوان: «المعيار في تمييز الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد علي فرحات، برقم: (٣٩١:٣٩٢).

- وكتب الدكتور محمد ناصر الجوهري «موضع أوهام الجمع والتفريق» في رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان شاهين لاشين، برقم: (٢٢).

إلى غير ذلك من المؤلفات القيمة، والتي قلما أن يكون قد كتب فيها أحدٌ بل نَدُرْ؛ لتدلك دلالة أكيدة على سعة العلم ومسائله الدقيقة، وأنها قد قُتلت بحثًا ودراسة من قِبَلِ علماء الأزهر الشريف، ثم بعد كل هذه الجهود يتطاول الصغار على الكبار، والجهلاء على العلماء. ووالله ثم والله سمعت بعضهم ممن يطلقون ألسنتهم على أهل العلم والفضل، يقرأ القرآن على بعض القنوات فما كان يجيد القراءة، حتى إن أطفالنا في الكتاتيب ليقرؤون بإتقان أفضل منه، ويا ليت قومي يعلمون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*****

الفصل الثاني عشر: لمحة من جهود الأزهريين في علم مناهج المحدثين

هو علم يبحث عن شروط الأئمة فيما يتعلق بالحديث الشريف ومصطلحه، من حيث القبول والرد، والتصنيف والترتيب، ومهمات الحديث الشريف، وقد كتب فيه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد القيسراني المقدسي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ كتابًا، سماه: «شروط الأئمة الستة»(١). وكتب فيه الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤هـ، كتابًا، سماه: «شروط الأئمة الخمسة»(٢).

وهو يختلف باختلاف الحال والزمان والبيئة العلمية، فعلى سبيل المثال لو سأل سائل عن مناهج المحدثين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في رواية الحديث الشريف؟

لقلنا: كان منهجهم التشدد والاحتياط والتثبت في رواية الألفاظ النبوية الشريفة، وخاصة في زمان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون غيره، ويتضح ذلك بسؤال رُفع إلى المحدث الكبير والصحابي الجليل أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سيدنا أبي سلمة، قال له: أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته. وفي رواية قال: «لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها في زمان عمر لضربني عمر بالدرَّة»(٣).

(١) ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٢) ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله»: (١٠٠٣/٢)، برقم: (١٩١٣) ط ـ دار ابن الجوزي .

وكان هذا هو السائد في عصر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا، ولكنه كان في زمن عمر أشد، حتى رأينا أنَّ كثيراً من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يرو إلا حديثًا واحدًا كأبيِّ بن عمارة المدني، وأحمد بن جزء البصري، وحدرد بن أبي حدرد السُلَمي... وغيرهم كثير.

والسبب -كما بينتُ- ليس رغبة عن حديث رسول الله ﷺ، ولكن حفاظًا وتَحَرُّزًا من الكذب على سيدنا رسول الله ﷺ، ولم يكثر من الصحابة إلَّا النذر اليسير الذين جاوزوا ألف حديث، وهم على هذا الترتيب: أبو هريرة، وعبد الله ابن عمر، وأنس بن مالك، والسيدة عائشة، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبوسعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين. حتى جمعها بعضهم في بيتين ليسهل حفظهم فقال:

سبعٌ من الصحب فوق الألف قد نقلوا * من الحديث عن المختـــــار خير مضر

أبو هريرة، سعـــــدٌ، جابرٌ، أنس * صديقة، وابن عباسٍ، كذا ابن عمر

فلما شدد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ واشترطوا البيِّنة بل والقَسَم على أن هذا الكلام كلام رسول الله ﷺ حدث الإقلال من الرواية، والخوف في الأخبار إلا بما يوقن صحته، وإلَّا لعرض نفسه للمساءلة والمحاسبة.

وفي عهد التابعين اشترطوا عدة شروط، منها: ١. التثبت في السماع والأداء. ٢. معارضة المسموع على المكتوب مع المقابلة. ٣. عملوا يبالغون في حفظ الصحائف والكتب في الأماكن المهجورة البعيدة. ٤. منعوا قراءة الكتب إلَّا بعد عرضها على الثقات.

ثم جاء عصر التدوين للسنة النبوية، واختلفت مناهج المحدثين في التصنيف عن كتب الصحابة والتابعين؛ إذ كانت مجاميعهم ومصنفاتهم تجمع بين الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين، واشترط بعضهم ألَّا يروي إلَّا عن ثقة، كمالك، وأكثرهم لم يشترط ذلك، كالربيع بن صبيح، والثوري، وابن عيينة، وعبد الله بن وهب، ومعمر ابن راشد، وغيرهم. ثم بدأت تكتب صحائف ونسخ كثيرة وزادوا أنَّ كثيراً منهم كان يكتب فتاوى شيوخه وأقرانه.

وبعد هذه الطبقة بدأ علم مناهج المحدثين يتسع ويقوى؛ إذ إنه كان لكل إمام منهج محدد منضبط في القبول والرد، وذاع الحديث والحكم على الرجال من قِبَل المحدثين، خاصةً بعد محنة خلق القرآن عند المعتزلة، وبدأ الوضع في الحديث الشريف يكثر شيئًا فشيئًا، فظهر علم الجرح والتعديل، وعلم التراجم، والكنى، والتاريخ، والعلل، والمراسيل، والأوهام، ومختلف الحديث، وأُلِّفت في ذلك المؤلفات الكثيرة، وبدأ يظهر عند المحدثين المنهج النقدي للحديث وعلومه، ثم كانت مرحلة جَمْعٍ جديدة تختلف عما سبق، وهي طريقة جمع المسانيد، وأُخذ عليها جمع الصحيح مع الضعيف دون تمييز، وفي ذلك صعوبة بالغة لاستخراج أحكام الشريعة منها.

فأثَّر هذا المنهج في العلماء، وأحسوا أنه لم يستوعب كاملًا كل ما يحتاجه المحدث وغيره، فبدأت تتجه أنظارهم إلى أن يجمعوا أحاديثًا مرتبة على الأبواب الفقهية، مقتصرين فيها على الصحيح الثابت، فكان الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في جامعه الصحيح، والمسمى بـ«الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» وصنَّفه على أبواب الفقه، والعقائد، والتفسير، والآداب، مع تبويبه الفقهي وتراجمه النفيسة، والتي هو مصدر اجتهاده الأصيل، حتى قالوا: (فقه البخاري في تراجمه).

وتبعه تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري -رحمه الله تعالى- في صحيحه على نفس الترتيب، ولكن اختلف منهجه في أشياء، أهمها: أنه رتب دون تكرار أو تجزئة، فيجمع الحديث الواحد وطرقه في كتب السنة، ثم يدرجها في الباب الواحد، فيورده برواياته المتعددة، ليوقف الفقيه على مجموع روايات الحديث مع اختلاف ألفاظها، وقد أورد لمن يشملهم الستر والصدق، وإن لم يكونوا على درجة من الإتقان، ولكن في المتابعات لا في الأصول، إلى غير ذلك من ملامح منهجه، وكذا اختلف منهج من جاء بعده من أصحاب الكتب الستة كأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وكذا من جاء بعدهم.

فاهتم علماء الأزهر الشريف بعلم مناهج المحدثين وكيف كانت لكل واحد منهم مدرسة علمية كبيرة تتفق بمنهجها مع من سبقها في أشياء وتخالفه في أشياء، وتدلنا على طريقة تعاملهم مع سنة رسول الله ﷺ كما هو شأن المفسرين في مناهجهم، فمنهم من يفسر القرآن الكريم بالمأثور، ومنهم من يفسره من ناحية اللغة، أو البلاغة، أو الفقه، أو الإشارات، أو الدعوة، أو الإعجاز، أو بالعقل والفلسفة ممزوجًا بالسلوك... إلى غير ذلك.

كان ذلك هو الحاصل عند المحدثين مع اختلاف الطريقتين، فصار لكل محدث طرق ووسائل وشروط لا بد علينا من معرفتها؛ لنعلم منهجه في التعامل مع حديث رسول لله ﷺ.

- فكتب الأستاذ الدكتور أحمد محرَّم «الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين» وهو مطبوع في جزئين.

- وكتب فيه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم «مناهج المحدثين»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مزيد «مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري حتى عصرنا الحاضر»[2].

- وللدكتور عبد المنعم السيد إبراهيم نجم رسالة علمية بعنوان: «سنن أبي داود ومنهجه ومنزلة سننه في الحديث» تحت إشراف الدكتور مصطفى أمين التازي، ١٣٩٣هـ.

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمد أحمد محمد بعنوان: «منهج الصحيحين في الرواية عن المدلسين» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٣٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عادل هاشم عبد الله بعنوان: «دراسة مقارنة بين منهج الحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر في الحكم على رجال الكتب الستة» تحت إشراف الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٨٤).

- وكتب الدكتور محمد عزيز العازمي رسالة دكتوراه بعنوان: «منهج الإمام أبي بكر ابن العربي في الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم: (٢٩: ٣٠).

- وكتب الدكتور جمال عبد الفتاح فتيحة رسالة (ماجستير) بعنوان: «منهج ابن الجارود في كتابه المنتقى» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، ١٩٩٤م.

---

(١) مطبعة السعادة . القاهرة ١٤٠١هـ.

(٢) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

- وكتب العلامة الدكتور جميل أحمد منصور الشوادفي «منهج الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري» في رسالة (ماجستير) تحت إشراف الدكتور سيد أحمد رمضان المسير، بكلية أصول الدين بالقاهرة.

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور أحمد يحيي بلال، بعنوان: «منهج البنوري في معارف السنن شرح سنن الترمذي والموازنة بينه وبين تحفة الأحوذي» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٢٢٧:٢٢٨).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور فهيد سيف ضميد، بعنوان: «منهج الإمام محمود خطاب السبكي في كتابه المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود» تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم: (٢٤١:٢٤٢).

- وكتب الدكتور الكويتي الجنسية: راشد سعد محمد العجمي الأزهري، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «منهج الحافظ ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير» في رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة، دراسة منهجية نقدية.

وغير ذلك كثير مما يصعب حصره، ويدلل على أهمية هذا المنهج عند علماء الحديث الشريف في الأزهر الشريف.

*****

الفصل الثالث عشر: لمحة من جهود الأزهريين في علم التخريج

علم تخريج الحديث علم يُعنى بعزو الأحاديث إلى من أخرجها من أئمة الحديث في كتابه مع الحكم عليها. وهو من العلوم المهمة جدًّا بالنسبة للمشتغل بالحديث الشريف وعلومه، فبعلم التخريج يتبين للباحث معرفة مصدر الحديث، وحاله من حيث القبول والرد، وبه يتبين للباحث جمع أكبر عدد من أسانيد الحديث، ومعرفة حال الإسناد بتتبع الطرق وحصرها، وتمييز المهمل من رواة الإسناد، وتعيين المُبهم، وينبني عليه كشف دقائق من علوم الحديث وأنواعه، ولك أنْ تطلب معرفة معناه وقواعده وأصوله في مظانها الآتي ذكرها بعد قليل.

مع العلم أن كتب التخريج إلى عهد الإمام الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤هـ، كانت تسمى بكتب المسانيد، وصنَّف فيه خلائق، أولهم كما زعم بعضهم: الإمام حميد ابن زنجويه المتوفى سنة ٢٥١هـ، في كتابه «الأموال» في تخريج كتاب «الأموال» لأبي عبيد، وبعضهم قد نفى ذلك.

وصنَّف فيه كذلك الإمام النسائي صاحب السنن المتوفى سنة ٣٠٣هـ وسماه: «مسند حديث مالك» وهو مسند للأحاديث التي رواها الإمام مالك بإطلاق، ثم تلاه جماعات، منهم أبو عمر بن خالد بن يزيد القرطبي المعروف بالجبَّاب المتوفى سنة ٣٢٢هـ، وهو في أحاديث الموطأ خاصة ويسمى بـ«مسند حديث الموطأ»، ثم الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي الجوهري المصري المتوفى سنة ٣٣٥هـ،

وهو أيضًا مسند في أحاديث الموطأ والمسمى بـ«مسند الموطأ»، والحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ، وسماه: «مسند الموطأ».

وصنَّف فيه الحافظ ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابه «التمهيد لبيان ما في الموطأ من المعاني والأسانيد» وتكلم فيه على روايات الموطأ كلها موصولة ومرسلة، ووصلها كلها إلا أربعة أحاديث لم تقع عنده مسندة، حتى جاء الحافظ ابن الصلاح -رحمه الله تعالى- والمتوفى سنة ٦٤٣هـ، وكتب جزءًا في وصل البلاغات الأربعة، وهو مطبوع.

وصنَّف فيه الحافظ البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، «معرفة السنن والآثار التي احتج بها الشافعي» وهو مطبوع في أربعة مجلدات.

وصنّف الإمام القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ مسندًا، أسند فيه الأحاديث التي ذكرها في كتابه «الشهاب في الأمثال والمواعظ والآداب»، وزعم بعضهم أنه ليس من تصنيفه بل من تصنيف بعض تلامذته.

ومثله حدث في كتاب «الفردوس» لشيرويه الديلمي الهمداني الكبير، وقد طبع مرة بعنوان «مسند الفردوس» ومرة بعنوان «الفردوس» وكان بلا أسانيد فأعرض عنه الناس فقام ولده أبو منصور شهردار الديلمي الصغير الملقب بـ«إلكيا» المتوفى سنة ٥٥٨هـ وكتب في تخريج أحاديث «مسند الفردوس»، ثم جاء الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني فقرأ «مسند الفردوس» وميَّز بين مسند الولد وأبيه، وعلَّق على الأسانيد المفقودة، وسماه «زهرة الفردوس»، ومثله كثير.

وعلم التخريج من أهم العلوم التي تكلَّم وبرع فيها علماء الأزهر الشريف دون سواهم، فهم واضعو قواعده، ومُحْكمو شوارده، وكان هذا العلم أول ما كان يؤخذ عن طريق السماع من الشيوخ، ونتيجة كثرة المطالعة والحفظ الذي كان معهودًا على السابقين، والذي من نتيجته ظهرت مؤلفاتهم العظيمة:

- كالذي كتبه العلَّامة الكبير الحافظ المتقن إمام الدنيا، الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه القيم: «تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير على فتح العزيز شرح الوجيز» وهو بتحقيق العلامة الأزهري الدكتور شعبان محمد إسماعيل عثمان[1]. وله «الدراية في تخريج أحاديث الهداية»، وله «الشافي الكاف في تخريج أحاديث الكشاف»، وله «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار».

- وللحافظ السيوطي «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ».

- وخرَّج العلَّامة عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الأزهري المعروف بالشعراني «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير» قال في المقدمة: «ومرادي بالغرابة جهل غالب الناس بمن خرَّجها لا الغرابة في اصطلاح المحدثين»[2].

- وخرَّج العلَّامة أبو عبد الله بن الصديق الغماري أحاديث «المنهاج» في كتاب سمَّاه: «الابتهاج في تخريج أحاديث المنهاج»[3]، وله «فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب»[4].

---

(١) وهو مطبوع بمكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) وهو مطبوع طبع حجر ١٢٧٧هـ.

(٣) ط عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥هـ .

(٤) عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية.

وله «تخريج أحاديث اللمع» في أصول الفقه، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه العلامة الشيخ يوسف عبد الرحمن المرعشلي(١).

وغير ذلك كثير من كتب التخريج، لكنْ هذه الكتب لم تتكلم عن القواعد والأصول الخاصة بالعلم، ولم توضِّح كيفية العثور على الحديث في كتب السنة المشرَّفة، حتى قال العلَّامة المحدث الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي الأزهري في مقدمة كتابه القيِّم «طرق تخريج الحديث» ما نصه: «ولقد كان علم التخريج يؤخذ من الشيوخ بالسماع، ولم تكن فيه مؤلفات، وأثناء دراستي هذا العلم؛ كنت أتوق لقراءة كتاب فيه، لكني لم أجد في ذلك كتابًا رغم بحثي وتمحيصي وأثناء دراستي في التخصص (الماجستير) سألت أحد مشايخي عن مؤلَّف في التخريج، فأخبرني أنَّ هذا العلم يصعب التأليف فيه، وتعجبتُ فإني أؤمن أنَّ كل ما يُقال يمكن أن يُكتب، وكَتَبْتُ موضوعات هذا العلم فأُعجب بها مشايخي، وأثنوا عليها، مما دفعني إلى السير في هذا المؤلف»، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٩-١٩٨٠م، ثم صدرت منه عدة طبعات بعدُ مع بعض التعديلات والزيادات. فثبت بذلك أنَّ أول مؤلَّف خرج إلى دنيا الناس يجمع قواعد علم التخريج إنما هو كتاب العلَّامة الأزهري الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، الأستاذ بقسم الحديث الشريف في كلية أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب من قبله في ذلك الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف الأزهري: «كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام ﷺ» في مجلدين(٢)؛ لكنه لم يكن قد طُبع بعد.

---

(١) ط: عالم الكتب. بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) وهو مطبوع في مكتبة الأزهر الشريف، القاهرة.

- ثم طُبع كذلك كتاب العلَّامة المحدث أحمد بن الصديق الغماري «حصول التفريج بأصول التخريج»[1].

وكتب الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي كذلك: «طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ»[2]، وله «طرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين والتخريج بالكمبيوتر»[3].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمود محمد أحمد بكَّار الأزهري: «علم تخريج الحديث .. أصوله، طرائقه، ومناهجه»[4]. وله «علم تخريج الحديث وحاجة المسلمين إليه»[5].

- وكتب العلامة الدكتور علي عبد الباسط مزيد «توجيه النظر إلى طرق تخريج الحديث والأثر»، وله «لقطات مما وهم فيه الألباني من تخريجات وتعليقات».

- وكتب العلامة الدكتور رضا زكريا محمد الشرقاوي الأزهري «مفتاح المبتدئين في تخريج حديث خاتم النبيين» وهو مطبوع.

وكانت الممارسة العملية لتخريج الحديث الشريف في عدة رسائل (ماجستير) و(دكتوراه) وهي أكثر من أن تحصى، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- قام الدكتور محمد حسين عبد الحفيظ في رسالة (ماجستير) بكلية أصول

(١) ط: مكتبة طبرية ـ الرياض١٤١٤هـ.

(٢) ط: دار الاعتصام ـ القاهرة.

(٣) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٤) ط: دار السلام ـ القاهرة.

(٥) ط: مجلة المنار ـ الإمارات.

الدين بالقاهرة بخدمة كتاب: «سنن أبي داود تخريج وضبط» تحت إشراف الدكتور أحمد عمر هاشم، سنة ١٤٠٣هـ، في ثلاثة مجلدات.

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور حمدي عبد العظيم فرحات، بعنوان: «أحاديث الرؤيا .. جمع وتخريج» دراسة وتعليق، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عاطف أمان، برقم (١٨: ١٩).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور أحمد رجب أحمد، بعنوان «تخريج وتحقيق الأحاديث الواردة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي» تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (١١: ١٣).

- وله تكملة في رسالة (دكتوراه) أيضًا للدكتور عادل جاسم صالح، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (١٣٠).

إلى غير ذلك مما يصعب حصره، لتعلم أن الأزهريين أئمة في الحديث الشريف، وأنهم سبقوا من عاصرهم، وأضافوا لبنات جديدة في علم الحديث الشريف لم يضفها أحد من المشتغلين بالحديث الشريف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

*****

الفصل الرابع عشر: لمحة حول المنهج النقدي للحديث الشريف وعلومه عند الأزهريين

منهج دقيق مارسه علماء المسلمين في الحديث وعلومه، وهو يشبه ما اشتُهر به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من التثبت في القبول والرد، ومناقشة من يدعي الثبوت أو الرفض، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سمعت حديث عمر وابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» فقالت: «رحم الله عمر، والله ما حدَّث رسول الله ﷺ إن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه» وقالت: «حسبكم القرآن»: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ زاد مسلم في روايته: «إنكم لتحدثوني غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ»[1].

وكما ورد عن سيدنا إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى- أنه كان يترك العمل ببعض الأحاديث اعتمادًا على فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو قول معارض، فيرجح واحدًا ويتوقف عند الآخر، كما حدث مع حديث القنوت في الفجر، وحجته أنه لو كان سُنَّةً لاشتهر عن جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومثله حديث التغريب للزاني وغير ذلك[2].

(١) رواه البخاري في (الجنائز) (جـ٢ ص٧٧-٨٠)، ومسلم: (جـ٣ ص٤٢-٤٣)، وأورده الزركشي في «الإجابة فيما استدركته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على الصحابة»: (ص١٠٢-١٠٣).

(٢) راجع «إبراهيم النخعي»: (ص ٣٠٦-٣١٢) د/ محمد عبد الهادي سراج، (ماجستير) بكلية دار العلوم. القاهرة.

ونظير ذلك كثير في نقد متن الحديث الشريف، ثم كان ملازمًا له المنهج النقدي لعلوم الحديث الشريف، والنظر إلى شروط القبول والرد، والعلل، والكلام على الرجال، والجرح والتعديل وقواعده، والإمعان في بحوث الناسخ والمنسوخ، وحكم اختلاف رواة الأحاديث، ودحض الشبهات والمفتريات، ونقد الأسانيد بحال الراوي، وعدالته وضبطه، وموافقته للثقات، وبيئته، ومذهبه، حتى إنهم لم يقبلوا رواية من يدعو لبدعةٍ، ولو كان الحديث الذي يرويه غير متعلق ببدعته، ومراجعة التعليقات، والتوثيقات بمنهج علمي له قواعده وأسلوبه، وكل هذا ليدلك على منهج علماء المسلمين في القبول والرد، وأن ذلك مبنيٌّ على قواعدٍ نشأ من وراءها أبواب من العلم لاتكاد تنحصر، كعلم مختلف الحديث، وفيه كتاب ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ «تأويل مختلف الحديث» في الرد على أعداء أهل الحديث، وفي الدفاع عن الطعون الموجهة إلى الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ثم يتكلم عن الطاعنين ومذهبهم وعقيدتهم وقيمة علومهم، مع تفنيد ما هو ظاهره مُشكل أو متناقض، ومثله كتاب علي بن المديني «اختلاف الحديث».

وكتاب مسلم في الأوهام والمسمى بـ«بيان أوهام المحدثين»، حتى أني قد سمعت مرة من شيخنا العلَّامة شيخ المحدثين الدكتور أحمد معبد عبد الكريم في درسه في الجامع الأزهر الشريف -صانه الله- وهو يقول: «نحن نحتاج إلى نقد الأقوال على الأحاديث، كما نحتاج إلى نقد الأحاديث»

قلت: وكلام الشيخ -حفظه الله تعالى- يذكرني بصنيع الأئمة الكبار مما حكي عنهم من مناقشات علمية، وردود قوية من بعضهم على بعض ربما في حديثٍ أو راوٍ، فيبطل قول المدعي، ونظير ذلك قول الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «وذكر بعض الحفاظ أن في كتاب مسلم أحاديث مخالفة لشرط الصحيح،

بعضها أُبهم راويه، وبعضها فيه إرسال وانقطاع، وبعضها فيه وجادة وهي في حكم الانقطاع، وبعضها بالمكاتبة، وقد ألَّف الرشيد العطار كتابًا في الرد عليه، والجواب عنها حديثًا حديثًا، وقد وقفت عليه»[1].

وهو صنيع الحافظ ابن حجر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في نقد أقوال الدارقطني، وأبي مسعود الدمشقي، وأبي علي الغساني في انتقادهم على أحاديث في «صحيح الإمام البخاري»، وأن الجواب عنها ظاهر، والقدح فيها مندفع.

ومثله كلام الإمام ابن الصلاح والنووي رحمهما الله تعالى في الدفاع عن الأحاديث المنتقدة على «صحيح مسلم».

- وقام العلامة الدكتور علي عبد الباسط مزيد بجمع وحصر الرواة الذيت اتهموا في حفظهم عند الشيخين، وتتبع أقوال الأئمة فيهم ورواياتهم حتى قسمهم إلى أقسام، وجعل يذكر أقوال الأئمة فيهم مع مقارنة مروياتهم، حتى تبين له أن القول فيها للشيخين، وذلك في أطروحته لرسالة (الدكتوراه) والتي بعنوان: «رجال الصحيحين في ميزان أئمة الجرح والتعديل .. دراسة استيعابية».

- وذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون»: أن لشيخ الإسلام البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ، مؤلف بعنوان: «الإفهام بما وقع في البخاري من الإبهام»[2].

ويقول شيخ الإسلام عبد الحليم محمود -رحمه الله تعالى- حول هذا المنهج النقدي عند علماء المسلمين في كتابه القيِّم «السنة في مكانتها وفي تاريخها»: «ولقد وضع المؤرخون المحدثون أصولًا للنقد، وعلامات للحوادث المزيفة، وقواعد لمعرفة

(١) نقلًا عن «تدريب الراوي»: (١٦٩/١) مطبعة حسان. القاهرة .

(٢) (٥٥٤/١-٥٥٥)

الحقيقة، ولقد استعانوا في سبيل المعرفة الصحيحة باللغة، وبالحوادث اليقينية المتواترة، وبالشهود العدول، وبالمقارنات، لقد استعانوا بالنقد الداخلي، والنقد الخارجي، ووصلوا بذلك إلى الحقائق التي يطمئنون إليها، برغم ما يفصل بينهم وبين مكان الأحداث من آلاف الأميال، وبرغم ما يفصل بينهم وبين أزمنة الحوادث من عشرات القرون. ومع كل ما حاوله المؤرخون من جهد، ومع كل ما وضعوه من قواعد للوصول إلى اليقين فإنهم والحق يقال لم يصلوا في كل ذلك إلى ما وصل إليه سادتنا المحدثون رضوان الله عليهم»[1].

وحول هذا المنهج النقدي أُفردت مؤلفات كثيرة جدًا عند علماء الأزهر الشريف، أذكر منها:

- ما كتبه الأستاذ الدكتور أمين المصري وهو الحاصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، وكلية الآداب، ومعهد التربية في جامعة القاهرة وعُيِّن أستاذًا في كلية الشريعة بدمشق، ونجح في نيل رسالة (الدكتوراه) من جامعة (كامبردج) بعنوان: «معايير نقد الحديث عند المحدثين».

- وكتب الدكتور عبد الرازق خليفة في رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة بعنوان: «معايير النقد عند المحدثين وأثرها في تقويم المرويات» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد شوقي خضر، برقم: (٢٧٨).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عبد الراضي فتحي بعنوان: «مشكل الحديث وجهود العلماء في تأويله» تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم: (٢٦٥: ٢٦٨).

(١) «السنة في مكانتها وفي تاريخها»: (ص ٤٦: ٥٩).

- وفي رسالة (ماجستير) للدكتور محمد عبد العزيز السيد، بعنوان: «مشكلات موطأ مالك من رواية محمد بن الحسن الشيباني» تحت إشراف الأستاذ الدكتور رضا زكريا عبد الله حميدة الشرقاوي الأزهري، برقم: (٢٢٥).

- وكتب العلَّامة الدكتور علي عبد الباسط مزيد الأزهري «لقطات مما وهم فيه الألباني من تخريجات وتعليقات»، وله «التعقيبات الحديثية على الشيخ الألباني».

- وكتب العلامة المحدث نور الدين عتر الأزهري «منهج النقد في علوم الحديث»، وقد قدم له العلامة الأزهري الكبير الدكتور محمد محمد أبو شهبة[١].

- وكتب العلامة الدكتور رضا زكريا محمد عبد الله «قواعد المحدثين في دفع التعارض الظاهري بين الأحاديث»[٢].

- وكتب العلامة الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف الأزهري «مؤتمر الثقيفة وبيعة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. دراسة نقدية تحليلية»[٣].

- وكتب الشيخ الطاهر محمد الدرديري «حديث يا ويح ثعلبة .. دراسة نقدية»[٤].

ناهيك عن رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) في هذا الجانب مما يصعب حصره.

- فقد كتب الدكتور محمد حسن محمد محمد قنديل «القضايا الحديثية في

(١) وهو مطبوع في دار الفكر . بيروت . لبنان.

(٢) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٣) ط: دار السلام . القاهرة.

(٤) ط: دار الوفاء . مصر ١٤٠٨هـ.

كتاب المحصول للإمام فخرالدين الرازي وبيان قيمتها العلمية ..عرض ونقد»، تحت إشراف الدكتور عبد المنعم السيد نجم، والدكتور محمد عبد الوهاب رحمة في رسالة (ماجستير) برقم: (٢٩٠).

- وكتب الباحث أحمد فرج أحمد زيدان «الإمام بدر الدين الزركشي وكتاباه النكت على مقدمة ابن الصلاح، والمعتبر في تخريج أحاديث المنهاج المختصر .. دراسة نقدية مقارنة»، تحت إشراف الدكتور محمد محمد أحمد الشريف، والدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (٣٦٠) بأصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الدكتور الكويتي الجنسية راشد سعد محمد العجمي الأزهري، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: «منهج الحافظ ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير» في رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة، دراسة منهجية نقدية.

إلى غير ذلك من المؤلفات الحديثية المطبوعة والمخطوطة.

*****

الفصل الخامس عشر: لمحة من جهود الأزهريين في أسباب ورود الحديث

علم أسباب ورود الحديث، كأسباب النزول من القرآن، ويُراد به: ما ورد الحديث لأجله، أو ما ورد الحديث متحدثًا عنه.

وهو من أجلِّ أنواع علوم الحديث التي تحدث عنها العلماء، حتى قال العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر: «من الأنواع المهمة معرفة أسباب ورود الحديث؛ لأنه بذلك يتبين معنى الحديث، كما في أسباب نزول القرآن، قال ابن دقيق العيد: بيان السبب طريق قوي في فهم معاني الكتاب والسنة، وقال ابن تيمية: معرفة السبب تعين على فهم الحديث والآية؛ فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[1].

وقال العلَّامة الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد: «ومعرفة أسباب الحديث من المهمات كمعرفة أسباب نزول القرآن الكريم، وزعم زاعمه أنَّ معرفة أسباب الحديث مما لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وهو مخطئ في زعمه وفي تعليله، بل له فوائد مهمة؛ فإنه يبين فقه الحديث ومعناه»[2].

قلت: بل له أهمية كبرى في الحديث الشريف، فبه يتبين العام والخاص، والمطلق والمقيد، وتفصيل المجمل، وتعيين المبهم، وتوضيح المشكل، مع بيان علة الحكم... إلى غير ذلك، ولكل ذلك أمثلة مهمة، ذكرها العلامة الدكتور يحيي إسماعيل أحمد

(١) «شرح ألفية الحافظ السيوطي»: (ص ٢١٣).

(٢) «شرح ألفية الحافظ السيوطي»: (ص٥٠)، ط. دار المنار.

الأزهري في أطروحته (الماجستير)[1].

وقد توارد عمل كثير من المحدثين أن يدرجوه مع علوم الحديث، حتى قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «ومن المهم معرفة سبب الحديث، وقد صنَّف فيه بعض شيوخ القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي، وهو أبو حفص العكبري، وقد ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد أن بعض أهل عصره شرع في جمع ذلك، وكأنه ما رأى تصنيف العكبري المذكور»[2].

وقد نظم الحافظ السيوطي في ألفية الحديث من كتب في هذا العلم وضرب له مثالًا فقال:

أول من ألّف الجوبـــاري * فالعُكْبري في سبب الآثار

وهو كما في سبب القرآن * مُبَيِّنٌ للفقه والمعـــــاني

مثل حديث إنما الأعمال * سببه فيما رووا وقالـــوا

مُهـــاجرٌ لأم قيس كي نكح * مِنْ ثَمَّ ذِكْرُ امرأة فيه صلح[3]

قال العلماء: وكان ينبغي للحافظ السيوطي أن يقدم أبا حفص عمر بن محمد البزار العكبري؛ لأنه تُوفيَ سنة ٤١٧هـ، وأبا حامد بن كوتاه الجوباري تُوفيَ سنة ٥٨٣هـ.

ومن ذلك يظهر أنَّ التصانيف التي صُنفت في هذا العلم قليلة جدًّا، وأن الإمام أبا حفص عمر البزار العكبري المتوفى سنة ٤١٧هـ هو أول من ألَّف في هذا العلم.

---

(١) «أسباب ورود الحديث»: (ص ٩: ١٥)، مخطوطة في كلية أصول الدين بالقاهرة .

(٢) «نزهة النظر»: (ص ١٠٥).

(٣) «ألفية السيوطي في علم الحديث»: (ص ١٠٣) ط. مكتبة الصفا. خلف الجامع الأزهر الشريف.

ثم جاء من بعده الإمام أبو حامد بن كوتاه الجوباري[1] المتوفى سنة ٥٨٣هـ، وكتب «أسباب الحديث».

ثم جاء الحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وكتب: «اللمع في أسباب الحديث».

ثم كتب أبو حمزة الدمشقي المتوفى سنة ١١٢٠هـ «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث».

ومن ذلك يتبين لك أن هؤلاء فقط فيما أعلم هم الذين ألفوا في هذا العلم، حتى أشار طاش كبري زادة صاحب كتاب «مفتاح السعادة» إلى أن هناك مصنفات في هذا الفن لكن لم يرها[2]. وكتاب العكبري لم نره ولكن علمناه بذكر أئمة هذا الشأن، كالحافظ الذهبي، وابن حجر، ومثله كتاب الجوباري.

وعلماء الأزهر الشريف هم أكثر من خدم هذا العلم خير خدمة، بالتحقيق والتأليف على السواء:

- فللدكتور يحي إسماعيل أحمد حبلوش، رسالة (ماجستير) في: «أسباب ورود الحديث» بكلية أصول الدين بالقاهرة، برقم (٩٥) تحت إشراف الأستاذ الدكتور أبي العلا علي أبي العلا، سنة ١٩٧٩م. وله تحقيق على كتاب «أسباب ورود الحديث، أو اللمع في أسباب الحديث» للحافظ السيوطي[3].

(١) راجع «الأعلام» للزركلي: (٥٦/٧).

(٢) راجع «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»: (٣٧٨/٢)، ط. دار الكتب العلمية

(٣) ط: دار الوفاء. المنصورة.

- وكتاب: «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» تأليف السيد الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين، الشهير بابن حمزة، الحسيني الحنفي الدمشقي، قد حققه العلامة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم في مجلدين كبيرين[1].

إلى غير ذلك مما يصعب حصره وجمعه.

*****

(١) وهو مطبوع في دار الكتب الحديثة ـ القاهرة، وطبع مرة في ثلاثة أجزاء، ط: دار التراث العربي ـ القاهرة.

الفصل السادس عشر: لمحة من جهود الأزهريين في الاهتمام بالأثبات والمسانيد وطلب الإجازة

الاهتمام بعلم الأثبات والمسانيد سنة قديمة درج عليها أهل العلم من قديم، واهتم بها أهل العلم تبعًا لاهتمامهم بمنهج التلقي والاستكثار من الشيوخ، فكتب الإمام ابن منده المتوفى سنة ٣٩٥هـ ثبتًا جمع فيه أسماء شيوخ الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-[١].

وكتب الإمام الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر»[٢].

وكتب العلامة الكبير عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»[٣].

فالثبت عبارة عن: الصحيفة أو الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأسماء شيوخه الذين تلقى عنهم وما أجازوه به من كتبهم ومروياتهم إلى أصحاب الكتب المعتبرة.

وأما السند فإنَّ العلماء جعلوه على ثلاث مراتب، وهي كالآتي:

(١) وهو مطبوع في مكتبة الكوثر . الرياض.

(٢) مطبعة دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢٨هـ

(٣) ط الثانية . دار الغرب الإسلامي بيروت.

١. سند الرواية: ويُقصد به أنه يروي ما سمعه بلفظه دون إدراك لمعانيه ومغازيه، فهو يحفظ سلسلة الرواة مرفوعًا إلى قائله مع الضبط والتحري في النقل.

٢ سند الدراية: وهو يجمع سند الرواية ويزيد عليه إدراك طرق الفهم والاستيعاب والاستنباط التي تكشف غوامض النصوص وتستخرج كنوزها ومضامينها، وهذه الإجازة هي التي كانت تفضي إلى توريث العلوم والتأهل لتعليمه بعد سنوات طوال من الملازمة والجثو على الرُّكَب بين أهل العلم، كقول مالك: «ما جلست حتى شهد لي سبعين أني أهلٌ لذلك».

٣. سند التزكية: وهو مرحلة تعقب المرحلتين السابقتين؛ إذ أنَّ علوم الشرع الشريف ضُبطت واستُحْكِمَتْ حلقاتها ولم يدع أهل الرواية والدراية لنا شيئًا يحفظ علينا هذا التراث إلَّا أن نعتني بتلك السلاسل الذهبية ونصوصها ونحفظها ونستبقيها على الأمة تبرُّكًا بهؤلاء الصحابة الكرام، والتابعين الكرام، والأئمة الأعلام، ليتصل طريقنا بطريق سيد الأنام ﷺ، ويكون العلم الشريف رَحِمٌ بين أهله موصولًا بين طبقات الأمة على اختلاف الزمان والمكان، وهذا كثير في الفترة المتأخرة.

ومصر من البلدان الحافلة بالأسانيد العالية، المتصلة بسيدنا رسول الله ﷺ، وإلى أصحاب الكتب المعتمدة، إذ جعل الله تعالى أفئدة العلماء تهوي إليها، حتى ذكر الحافظ الذهبي عن الإمام ابن الجوزي قوله: «ودخلت تلك الأيام إلى الإسكندرية فوجدتها كما قال الله تعالى: ﴿ذَاتِ قرارٍ وَمَعِينٍ﴾، معمورة بالعلماء والأولياء»[١].

(١) تاريخ الإسلام للذهبي/٤٧/٦

حتى كان الأكابر من أهل العلم يقدرون منزلة الإسناد الذي تحمله المصريون خلفًا عن سلف، حتى قال العلامة الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي في ثبته المسمى بـ«رياض الجنة»: «والحال أن رأينا أُناسًا دخلوا فاس مدة قصيرة، فاستجازهم الناس، ورووا عنهم، وبقي ذكرهم مخلدًا في الدفاتر، هذا ما نقوله عن فاس، فكيف بمصر والحجاز وغيرهما»(١) فتأمل كيف بدأ بمصر معظمًا ثم الحجاز.

وقال العلامة الشاه ولي الله الدهلوي: «حصل بالاستقراء التام بأنه انقطع سلسلة الحديث إلا من المصريين، وأعني بهم: الشيخ زين الدين زكريا، وشمس الدين السخاوي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وطبقة هؤلاء، عن آخرين من المصريين، أعني بهم: الحافظ ابن حجر، وابن الفرات وطبقتهما، عن آخرين من المصريين والشوام، أعني التنوخي، والصلاح ابن عمر وطبقتهما، عن آخرين من الشوام والبغداديين، أعني بهم: الفخر بن البخاري، والسلفي وأمثالهم، عن المصنفين الحفاظ، والمسندين الثقات، ومن طلب غير هذا الطريق لا يحصل أبدًا»(٢).

ومن هنا وجدنا مظاهر اهتمام المصريين بتناول الإجازة والسند تبركًا بالانتساب إلى سيدنا رسول الله ﷺ.

واهتمام الأزهريين من قديم لافتٌ للنظر، ولا عجب، إذ نزل بمصر أكابر محدثي الدنيا في أزمانهم، وظل الإسناد بحمد الله تعالى موصولًا، متداولًا بين الأزهريين، إلى العصور الأولى سالفة الذكر، وحتى في العصور المتأخرة وها أنا ذاكرٌ لك طرفًا من أسانيد المصريين الأزهريين وأثباتهم المهمة منذ قرنين تقريبًا.

---

(١) «رياض الجنة»: (ص ٢٠٣).

(٢) إتحاف التنبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه»: (ص ١٣٨)، ط. المكتبة السلفية، لاهور، ١٤٢٤هـ .

- فكان العلامة أحمد بن أحمد العماوي المالكي الأزهري الدمرداشي، شهاب الدين، المتوفى ١٧٤٢م محدِّثًا له ثبت[1].

- وللعلامة المحدث الشيخ سالم بن أحمد النفراوي المالكي الأزهري، المتوفى سنة ١١٦٨هـ، ١٧٥٥م ثبتٌ بأسانيده[2].

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر عبد الله الشبراوي، المتوفى سنة ١١٧١هـ، سند يسمى بـ«سند الشبراوي» ذكر فيه شيوخه ورواياته وكتبه، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر محمد الحفني المتوفى سنة ١١٨١هـ «سند الحفني الكبير» أورد فيه سنده لبعض الأحاديث والأوراد وغيرها.

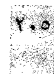
- ولشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر محمد الشنواني، المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، ١٨١٨م ثبت به إجازته من الشيخ مصطفى بن محمد المبلط، قال فيها عن تلميذه الشنواني «لازمني مدة مديدة، وسنين عديدة، حضورًا وسماعًا، حتى غزر علمه.. ثم التمس مني الإجازة، وكتابة السند، فأجبته لذلك بشرط ألايترك الإفادة... »، ومنه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية.

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر محمد شمس الدين العروسي، المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، ١٨٢٩م، إجازة منه إلى علي بن عوض البرديسي الجرجاوي، قال فيها بعد البسملة: «حمدًا لمن تفضل علينا بالإنعام، وبعد، فإن دراسة العلم من أسمى المطالب؛ فلذا لما طلب مني علي الجرجاوي أن أخبره بجميع مروياتي، وبما يجوز

---

(١) راجع «معجم المؤلفين»: (١/١٥٢).

(٢) راجع «معجم المؤلفين»: (٤/٢٠٢).



لي وعني روايته من تفسير وحديث وغيرهما من منقول ومعقول فأجزته لذلك...» ثم كتب في آخر الإجازة: «رزقني الله وإياه الهداية، والحفظ والرعاية، إنه سميع قريب» ثم ختم له الشيخ بخاتمه، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية، برقم: (٥١١) (مصطلح الحديث).

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر أحمد السفطي، المتوفى سنة ١٢٦٣هـ، ١٨٤٧م إجازة منه للشيخ أحمد بن محمد الجرجاوي، الشهير بالمعرف، بجميع ما تجوز له روايته ممن تلقاه عن شيوخه، وعلى رأسهم الأمير الكبير بما في ثبته، أولها بعد البسملة: «نحمدك اللهم بمحامد لا انقطاع لإسنادها، ونشكرك على النعم يؤذن الحمد بازديادها...» ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية، برقم: (٥١٢) (مصطلح حديث).

- وإجازة أخرى منه للشيخ حسنين أحمد الملط الحنفي، كتب في أولها بعد البسملة: «نحمدك على نعم لا انقطاع لإسنادها، ونصلي على سيدنا محمد ﷺ هادي الأمة...» وفي آخرها: «قد أجزت ولدنا المذكور بما يجوز لي وعني روايته، وما تلقيته من المشايخ، بشرط المراجعة، وسؤال أهل العلم، ولا يقدم على شيءٍ حتى يعلم حكم الدين» ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية، بتاريخ ١٨ محرم سنة ١٢٦٢هـ.

- وللعلامة محمد القاوقجي الأزهري، المتوفى سنة ١٨٨٨م «شوارق الأنوار الجلية في أسانيد السادة الشاذلية»[1].

---

(١) «معجم المؤلفين»: (٢٨٨/١).

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر علي محمد الببلاوي، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، إجازة منه للشيخ محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي المالكي، بما في ثبت الأمير الكبير، منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية، بخط العلامة الشيخ الدمنهوري، برقم: (٣١٢) (مصطلح حديث).

- ولشيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر محمد أبي الفضل الجيزاوي، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ١٩٢٧م إجازةٌ منه إلى الشيخ محمد بن محمد المراغي المالكي الجرجاوي، بما في ثبت (الأمير الكبير).

- وللعلامة المحدث أحمد رافع الطهطاوي الأزهري، المتوفى ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م «المسعى الحميد في بيان وتحرير الأسانيد» في مجلدين ضخمين، ثم حول اسمه إلى «إرشاد المستفيد إلى بيان وتحرير الأسانيد».

- وعن العلَّامة الشيخ صالح الجعفري الأزهري المتوفى ١٣٩٩هـ، وكان -رحمه الله تعالى- إمامًا وخطيبًا للجامع الأزهر الشريف، كتب الأستاذ محمد فؤاد بن كمال الدين الرمباوي: «الجواهر العوالي من أسانيد الإمام الأزهري الشيخ صالح الجعفري».

- وكان للعلامة المحدث الشيخ عبد السلام محمد حبوس الشرقاوي الأزهري المتوفى ٢٠٠٨م «الحيازة في الإجازة» و«النفحة العطرية في أسانيد الأربعين النووية».

- وكتب العلَّامة الكبير المحدث الدكتور نور الدين عتر الأزهري «المسانيد ومكانتها في علم الحديث»، وهو مطبوع.

- وللعلامة المسند المحدث الكبير الدكتور أسامة السيد الأزهري: «الروض النضير، في معجم الشيوخ الكبير»، وقد ذكر فيه كل من روى عنهم وذكر في ترجمة كل واحدٍ نص إجازته له. وله: «معجم الشيوخ» ولم يجمع فيه كل شيوخه كسابقه ممن حدَّث وروى عنهم، بل انتقى أعلمهم وأتقاهم وأكثرهم صلاحًا، وعدَّ منهم ما يقارب السبعين من شيوخه[1].

وله كذلك الكتاب القيِّم الذي قلَّ نظيره في جمع دقائق وفرائد عن الحديث الشريف ورجاله، وسماه «أسانيد المصريين» وهو عبارة عن ترجمة لجمهرة من المتأخرين من علماء مصر، وجلُّهم من الأزهريين إن لم يكن مدار أسانيدهم كلهم تعود إلى علماء الأزهر الشريف، مع ذكر أسانيده -حفظه الله تعالى- إليهم[2].

وقد سألت شيخنا الإجازة فمنَّ عليَّ وأجازني بما في كتابيه من أسانيد لعلماء المشرق والمغرب؛ ليصل طريقنا بهم وتشملنا رحمة الله تعالى بهم؛ فإنهم القوم الذين لا يشقى متصلٌ بهم، نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم، آمين آمين.

*****

(١) وهو مطبوع في صفا فرودقشين، بحري سمبيلان، ماليزيا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢) وهو مطبوع في دار الفقيه، ط: الأولى سنة ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

الفصل السابع عشر: لمحة من جهود الأزهريين في الاهتمام بجهود المحدثين

والاهتمام بجهود المحدثين أمر في غاية الأهمية وتنبني عليه مسائل في الحديث وعلومه غاية في الدقة.

- فكتب الدكتور حمدي الششتاوي شلبي في رسالة (ماجستير): «نقباء الأنصار ودورهم في خدمة الحديث النبوي» بتاريخ ١٩٩١م.

- وكتب الدكتور علي رشيد أحمد رسالة (دكتوراه) بعنوان: «السنة النبوية في القرن الثاني الهجري» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد شوقي خضر، برقم: (٢٤٨: ٢٥١).

- وكتب الدكتور محمود تادي عبيدات «مالك بن أنس وأثره في الحديث» رسالة (دكتوراه) بتاريخ ١٣٩٢هـ.

- وكتب الأستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم «الإمام البخاري محدثًا وفقيهًا»[1] وهو عبارة عن رسالة (الدكتوراه) لفضيلته من كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، برقم: (٢١٩٥).

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق المتوفى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م «الإمام البخاري وصحيحه».

(١) ط: الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة.

- وقامت (لجنة إحياء كتب السنة) بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بـ«التعريف بأمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ»[١].

- وكتب العلامة الدكتور علي جمعة -مفتي الديار المصرية السابق- «الإمام البخاري وجامعه الصحيح»[٢].

- وللعلامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد «الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث»، وله «الإمام البخاري مجتهدًا».

- وكتب الدكتور عبد المحسن محمد نور «الإمام مسلم وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (١١٨، ١١٩).

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي «الحكيم الترمذي .. دراسة لآثاره وأفكاره».

- وكتب الدكتور جمال علي علي «الإمام الحافظ أبو يعلى الموصلي وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (١٧٠،١٧١).

- وكتب الدكتور محمد عبد اللطيف عويضة «الإمام الدارمي وجهوده في الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، في رسالة (دكتوراه) سنة ١٣٩٧هـ.

---

(١) مطبعة الشعب سنة ١٣٨٧هـ.

(٢) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– وكتب الدكتور علي عبد الفتاح علي حسن «الدارقطني المحدث» في رسالة (ماجستير) سنة ١٣٩٣هـ بكلية أصول الدين بالقاهرة.

– وكتب الدكتور صالح عبد الوهاب السيد رسالة (ماجستير) بعنوان: «الإمام النسائي وأثره في الحديث» بكلية أصول الدين بالقاهرة بتاريخ ١٩٩٠م.

– وكتب الدكتور أيمن محمود مهدي «الإمام أحمد بن عمر القرطبي وجهوده في خدمة السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد إمبارك، برقم: (٣٦٣٥).

– وكتب الدكتور والي عبد الهادي إبراهيم موسى «الحافظ أبو حنيفة محمد بن عمر بن موسى العقيلي وأثره في خدمة الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عاطف أحمد أمان، سنة ١٩٩٤م.

– وكتب الدكتور محمد نصر الدسوقي «جهود الإمام الحازمي في السنة النبوية» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد شوقي خضر، برقم (١٣٤: ١٣٦).

– وكتب الدكتور أبو العلا علي أبو العلا «ابن الجوزي المحدث» في كلية أصول الدين، برقم (٢٢٨٦).

– وكتب الدكتور حسن محمد السيد «الإمام ابن القيم وجهوده في الحديث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٣٥٧٩)، سنة ١٩٩٠م.

– وكتب الدكتور محمد شوقي خضر «الذهبي المحدث» تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد محمد أبي شهبة، برقم: (٢٣٣٧).

- وكتب الدكتور السيد محمد إبراهيم «ابن خزيمة وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، برقم: (٢٧٧).

- وكتب الدكتور علي حسين السيد رضوان «النووي وأثره في علم الحديث» في رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة برقم (٢٢٥٠).

- وكتب الدكتور إبراهيم عبد الرازق إبراهيم «الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم السيد نجم، برقم: (٥١٥٠).

- وكتب الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري خليفة في رسالة (الماجستير): «جهود الحافظ ابن كثير القرشي في علمي الحديث دراية ورواية» بتاريخ ١٣٩٢هـ.

- وكتب العلامة الكبير الدكتور أحمد معبد عبد الكريم في رسالة (الماجستير): «الحافظ العراقي وأثره في السنة» بتاريخ ١٣٩٨هـ.

- وكتب الدكتور السيد محمد السيد نوح «الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتاب تهذيب الكمال» رسالة (ماجستير) بتاريخ ١٣٩٦هـ.

- وكتب الدكتور علي عبد الحميد علي «الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري وجهوده في علم الحديث» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود هلال، برقم: (١٢٨:١٢٩).

- وكتب الدكتور شهاب الدين بن الحاج «الحافظ أبو الحسن نور الدين الهيثمي» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (١٢٦، ١٢٧).

- وكتب الدكتور أبو نصار محمد «الحافظ ابن شاهين ومؤلفاته الحديثية» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور يحيي إسماعيل، برقم: (٣١).

- وكتب الدكتور محمود عدوي أحمد «الإمام البوصيري وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد محمد الشريف، برقم: (١١٥: ١١٧).

- وكتب الدكتور خالد شاكر عطية «جهود الإمام أبي الوليد الباجي في شرح الموطأ» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الواحد، برقم: (١١٠، ١١١).

- وكتب الدكتور حمدي الششتاوي شلبي «الحافظ الدمياطي وجهوده في علم الحديث» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محروس رضوان، برقم: (٨٧٧٦).

- وللدكتور هشام إبراهيم فرج رسالة (ماجستير) بعنوان: «الحافظ المنذري وأثره في السنة»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور رجب إبراهيم صقر.

- وكتب الدكتور محمد مصطفى محمد «جهود الحافظ الشيخ الأصفهاني في خدمة السنة» في رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم السيد نجم، برقم: (٩٤، ٩٥).

- وكتب الدكتور صبري إبراهيم أحمد «جهود الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي» في رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (٣٧).

- وكتب الدكتور عبد الله عبد العليم «جهود الإمام ابن أبي حاتم في السنة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري، برقم: (٣٧٥٦).

- وكتب الدكتور محمد سعد عبد المجيد «الإمام الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كلكدي العلائي وجهوده في السنة النبوية المطهرة» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، برقم: (١٠٨، ١٠٩).

- وكتب الدكتور عبد الحكيم السيد محمد السيد «الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث الشريف» برقم: (٢٤٩٢).

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور عبد السلام مصطفى أبي المعاطي بعنوان: «الشوكاني وجهوده في الحديث» بتاريخ ١٣٩٩هـ.

- وكتب الدكتور محمد أحمد محمود «الإمام الشعراني وجهوده في السنة» برقم: (٩٢٤).

- وكتب الدكتور محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي «علماء الحديث الشريف في بلاد الهند، وجهودهم في الحديث الشريف، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» برقم: (٣٦٦٦) بتاريخ ١٩٩١م.

- وكتب الدكتور صالح عبد الوهاب الفقي «الإمام ابن عبد الهادي وجهوده في علم الرواية والدراية» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أبي عمارة، برقم: (٢٧٤).

- وكتب الدكتور أحمد محمد علي «العظيم آبادي وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة تحت إشراف الأستاذ الدكتور رضوان عبد

العزيز، برقم: (١٨٦: ١٨٩).

- وكتب الدكتور سعد محمد محمد «جهود العلامة صديق حسن خان في الحديث الشريف وعلومه» رسالة (دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (١٤٧: ١٥٢).

- وكتب الدكتور بدوي علي السيد عن جهود العلامة «الشيخ الزرقاني وجهوده في السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش، برقم: (١٥٣، ١٥٤).

- وكتب الدكتور محمود عبد الوهاب عبد الحفيظ رسالة (ماجستير) عن جهود العلامة الأزهري أبي شهبة، بعنوان: «الشيخ محمد أبو شهبة وجهوده في السنة» برقم: (١١٠٦) وتاريخ ١٩٩٠م.

- وكتب الدكتور منصور علي منصور عن العلامة «الدكتور الحسيني هاشم وجهوده في السنة» رسالة (ماجستير) بتاريخ ١٩٩١م.

- وللدكتور علاء عنتر محمد مصطفى رسالة (ماجستير) عن جهود العالم الأزهري «العلامة الشيخ أحمد شاكر وجهوده في السنة» برقم: (١٢٦٠)، وبتاريخ ١٩٩٢م.

- وللدكتور عبد العزيز مُهند حسين رسالة (ماجستير) بعنوان: «العلامة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وجهوده في السنة» بتاريخ ١٩٩٢م.

والتحدث عن جهود العلماء يضفي على القلوب سيراً على منوالهم، ومجاهدة للوصول ولو كمقدار ذرةٍ من أعمالهم، وفي الوقت ذاته تأمل لمناهجهم وطرائقهم، واستفادة بحياتهم ومعاشهم، ولا يخل جهد عالم من هؤلاء إلا وكان منصبًا على باب أو أبواب في الحديث الشريف وعلومه أخرج لنا منها درراً كامنة، فهي دعوة للاقتداء بهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالرجـــال فلاح

*****

الفصل الثامن عشر: لمحة من جهود الأزهريين في دمج السنة النبوية في العلوم الشرعية

علماء الأزهر الشريف أكثر الناس فهمًا لطبيعة الدين، وليس هذا اختزالًا للحق، بل لا تزال هناك المدارس العلمية التي تتبع نفس الطريقة والأسلوب في المنهج التعليمي، كجامع القرويين، وجامع الزيتونة، وغيرهما ممن سار على نفس الطريقة والمنهج، ذلك المنهج الذي يحمل هداية الحق إلى الخلق، ويعلم أصحابه أن علوم الإسلام خادمة لبعضها، وأنها تصب في معين واحدٍ، وأن أيَّ علم مفتقرٌ لغيره، ولا بد وأن ينتفع بمقومات غيره، وأن يتفاعل معه، وأن ينزل معه إلى حيز التطبيق.

وتطبيق علم الحديث الشريف على العقيدة، والفقه، والتفسير، واللغة، وغيرها، منهج علمي أصيل، طبَّقَهُ الأئمة السابقون؛ ليقوموا بتلك الموازنة التي يغفل عنها كثير من المشتغلين بالحديث الشريف من المعاصرين، فليست القضية حينئذٍ حفظ الأحاديث، أو معرفة للصحيح والضعيف بمطالعة أقوال المحدثين وبحوثهم، وتكون السنة معزولة عن غيرها من العلوم وواقع الناس.

وإني لأسأل سؤالًا في غاية الأهمية، وهو: هل كان علم الحديث الشريف معزولًا عن غيره من العلوم الشرعية وغيرها على يد أئمة الإسلام أم كان مشاركًا متفاعلًا مع كل العلوم؟

وقل لي بالله عليك: هل تستغني العقيدة عن الحديث، أو الحديث عن الفقه، أو الفقه عن اللغة... إلى غير ذلك، أم أن الكل محتاج إلى غيره؟

فبالاستقراء التام لحياة وجهود المحدثين وجدنا أن العلوم بالنسبة لهم عبارة عن سلسلة موصولة لا ينفك بعضها عن بعض، وأن العلوم خادمة لبعضها؛ ولذا وجدنا علماء الأزهر الشريف يمزجون العلوم ببعضها لتؤدي نسقًا علميًّا مترابطًا، وفي الأخص في علم الحديث الشريف، فجعلوا لعلم الحديث ارتباطًا وثيقًا في عقيدة المسلم، وفي علم التفسير، والفقه، والسيرة النبوية، واللغة العربية، حتى فيما يتعلق بأوجه الإعجاز العلمي الحديث... وغير ذلك. وهاأنذا ذاكرٌ لك نبذة مختصرة في صفحات معدودة عن ارتباط الحديث الشريف بتلك العلوم:

أولًا: السنة النبوية مع العقيدة الإسلامية

السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم الذي يستمد منه المسلم عقيدته وشريعته؛ ولذا قد عُني المحدثون من قديم أن يفردوا في كتبهم الحديثية كتاب (الإيمان) أو كتاب (التوحيد)، بل كان من المألوف عندهم جمع الكتب الحديثية المسندة في أبواب الاعتقاد، ويسمون الكتاب من تلك الكتب: كتاب السنة.

فكتب الإمام ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧هـ كتاب «السنة» وهو يتكلم عن مباحث في العقيدة، ولكنه سماه السنة، ويريد ما كان عليه ﷺ وأصحابه من أمور الاعتقاد. ومثله كتاب «السنة» لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد، المعروف بالخلَّال، المتوفى ٣٣١هـ، وترى الحافظ السيوطي له «تخريج أحاديث شرح العقائد»[1].

ونظيره حدث عند علماء الأزهر الشريف، فلم يعزلوا علوم السنة المشرفة عن العقيدة؛ فظهرت مؤلفات غاية في الدقة والجودة، ومن ذلك:

---

(١) وهو مطبوع في دار الرشد بالسعودية.

- ما كتبه العلامة المحدث الشيخ الدكتور مصطفى أمين التازي الأزهري «الرسالة الجامعة في بيان الشفاعة في الشريعة» وهي رسالة (الدكتوراه) من كلية أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد الأحمدي أبو النور «السنة في العقيدة والأخلاق والسلوك»[(١)].

- وللأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل عثمان بحث في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بعنوان: «حجية خبر الآحاد في العقيدة».

- وللعلامة الدكتور جمال فاروق الدقاق الأزهري «حقيقة التوسل في الكتاب والسنة».

- وللباحث عباس المغازي عمارة رسالة (ماجستير) في كلية أصول الدين بالقاهرة بعنوان «أمور الجاهلية التي أبطلها الإسلام في العقائد والعبادات والأخلاق في ضوء السنة المطهرة» عرض ودراسة تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد السيد عبد المجيد علوان، والأستاذ الدكتور هشام إبراهيم فرج، برقم: (٢٥٢).

- وكتب الدكتور محمد أحمد همام «الغيبيات في ضوء السنة» في رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور السيد محمد الحكيم، برقم: (٣٣١٢)، سنة ١٩٧٦م.

- وكتب الدكتور محمود عبد الوهاب رحمة «أحاديث الفقه وأشراط الساعة» في رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٣٨١٠)، سنة ١٩٣٣م.

---

(١) ط: عيسى الحلبي القاهرة ١٤٠٥هـ.

وهكذا ترى كيف ربط علماء الأزهر الشريف بين العقيدة الإسلامية والسنة النبوية في منهج محكم منضبط.

ثانيًا: السنة النبوية مع القرآن الكريم وعلومه

لا يزال دأب المحدثين في كتب الحديث الشريف أن يفردوا أبوابًا عن فضائل القرآن الكريم، وتفسيره، وأسباب نزوله، ويجعلوا القرآن الكريم ممزوجًا بالسنة النبوية، إذ أنه لا يستغني أحدهما عن الآخر، فهما الوحيين الذيْن جعل الله فيهما محط الهداية والعناية بشؤون الخلق، فلا بد للمحدث أن يكون وقافًا مشتغلًا بكتاب الله تعالى، متفقهًا لمعاني آياته، واقفًا عند أسباب نزوله... إلى غير ذلك.

وبنظرة تأملية قاصرة وجدنا كيف عمل علماء الأزهر الشريف في مزج الحديث الشريف بالقرآن الكريم وعلومه، في عشرات المصنفات بل المئات، ومن ذلك:

- قام الإمام الكبير العلامة أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي في ترتيبه لـ«مسند الإمام أحمد» بجمع أحاديث القرآن الكريم كلها، وما يتعلق به من فضائله، وتفسيره، وأسباب نزوله، من أول المجلد الثامن عشر، وبلغ عدد تلك الأحاديث (٥٤٩) مع حذف المكرر.

- وكتب العلامة محمد محمد أبو شهبة «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»[١].

وفيه قرر الدكتور محمد محمد أبوشهبة -رحمه الله تعالى- أنَّ هذه الموضوعات والإسرائيليات التي نراها في بعض كتب التفسير، جاء معظمها موقوفًا على بعض

(١) ط: سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

الصحابة والتابعين، وجاء بعضها مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وهنا تكون الطامة، لأنَّ هذه الروايات متهافتة باطلة، فنِسْبَتُها إلى المعصوم ﷺ من الخطورة بمكان.

– وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور رمزي محمد كمال «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد علي أبي الروس سنة ١٩٦٩م.

– وكتب الدكتور أبو بكر علي الصديق «الدخيل في تفسير ابن جرير» في رسالة (دكتوراه) برقم: (٣٥٨٢)، سنة ١٩٩٠م. واشترك معه في تكملته الدكتور إبراهيم خليل بركة.

– وكتب الدكتور عبد الله هاشم إبراهيم، والدكتور إبراهيم عبد الفتاح إبراهيم في رسالتين «الدخيل في تفسير القرطبي» سنة ١٩٩٠م.

– وكتب الدكتور محمد الطنطاوي جبريل «الدخيل في تفسير السراج المنير» رسالة (دكتوراه)، سنة ١٩٩٤م.

– وكتب الدكتور محمد إبراهيم عبد الرحمن «التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه»، وهو مطبوع.

– وحقق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر –رحمه الله تعالى– «تفسير ابن جرير الطبري» إلى الآية السابعة والأربعين من سورة الأنفال، ثم قُبض الشيخ –رحمه الله تعالى– فأكمله شقيقه العلامة الشيخ محمود محمد شاكر[1].

(١) وقد نشر بدار المعارف بمصر.

- وقام العلامة الكبير السيد أحمد صقر -رحمه الله تعالى- بتحقيق وشرح ونشر كتاب: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة[1].

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمود محمد عبده موسى تحقيق على كتاب: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» بكلية أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٤٠٦هـ.

- وكتب شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي -رحمه الله تعالى- «بني إسرائيل في الكتاب والسنة» وهي رسالة (الدكتوراه) سنة ١٩٦٦م.

- وكتب الدكتور محمد جمعة عبد الله «وفاء التشريع القرآني في حياة السنة» في رسالة (دكتوراه) برقم: (٢٨٥٧)، سنة ١٩٨١م.

- وكتب الدكتور علي عبد الباسط مزيد «آداب تلاوة القرآن الكريم في السنة» بحث منشور في حولية كلية الآداب جامعة المنيا العدد الستون شهر أبريل لسنة ٢٠٠٦م. وله كذلك تحقيق على كتاب «المتشابه في القرآن الكريم» للعلامة الفيروز آبادي.

- وكتب الأستاذ الدكتور سعيد محمد صالح صوابي «جمع القرآن بين يديه ﷺ في عهد خلفائه الراشدين .. حديث موضوعي»[2].

- وكتب الدكتور إبراهيم علي السيد عيسى «الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن» وهي رسالة (الدكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي[3].

---

(١) وهو مطبوع، الطبعة الثالثة منه في المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) ط الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٣) وهي مطبوعة في مكتبة دار السلام - القاهرة.

- وكتب الدكتور ناصر أبو عامر بن عبد السلام الحمامصي «الأحاديث والآثار الواردة في فضائل القرآن الكريم» تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعيد صوابي سنة ٢٠٠٢م.

- وكتب الدكتور عوض السيد محمد السيد «أقوال أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التفسير» رسالة (دكتوراه) برقم: (٣٦٧٦).

- وكتب الدكتور محمد محمد قاسم عن «مرويات أم المؤمنين عائشة من أول سورة يونس إلى آخر القرآن الكريم» (دكتوراه).

- وكتب الدكتور أحمد السيد علي الجبيلي «تفسير عطاء بن أبي رباح» جمع ودراسة وتحقيق، رسالة (دكتوراه)، سنة ١٩٩٢م.

- وقام جماعة من الأزهريين بـ«تفسير القرآن الكريم بالمأثور» وهو عمل ضخم في عدة رسائل علمية في كلية أصول الدين بالقاهرة، ومن بين هؤلاء: الدكتور عبد الحميد محمود محمد البطاوي، والدكتور صلاح يعقوب يوسف، والدكتور أسامة أحمد منصور... وغيرهم.

إلى غير ذلك من المصنفات المؤلفة في هذا الباب المفرد، والتي تدلل على جهود علماء الأزهر الشريف في دمج السنة النبوية في القرآن الكريم وعلومه، وأن كلاهما لا ينفك عن الآخر.

ثالثًا: السنة النبوية مع الفقه الإسلامي

الفقه الإسلامي يقوم في الحقيقة على مصدري الوحي (القرآن الكريم، والسنة النبوية) وكان السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يمزجون الفقه بالحديث الشريف، ودائمًا ما كانوا يُعَوِّلُونَ على فقه الحديث وفهمه قبل حفظه، حتى قال سفيان الثوري: «تفسير الحديث خير من سماعه»(١). وقال علي بن المديني: «التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم»(٢). وقال أبو علي النيسابوري: «الفهم عندنا أجلُّ من الحفظ»(٣). وقال الخطيب: «العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية»(٤).

حتى ربط رسول الله ﷺ الفقه بالحديث ربطًا وثيقًا في قوله الشريف: «نضَّر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلَّغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»(٥).

- وكتب في ذلك الحافظ العراقي «طرح التثريب في شرح التقريب» وهو شرح على المتن المسمى بـ«تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد» للإمام الأوحد والعالم الأجل، حافظ عصره وشيخ وقته، مجدد المئة الثامنة: زين الدين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، وأتمه ولده الحافظ الفقيه المتفنن، قاضي مصر، ولي الدين أبي زُرعة العراقي المتوفى ٨٢٦هـ(٦).

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر: (١٧٥/٢).

(٢) «المحدث الفاصل»: (ص ٣٢٠).

(٣) «تذكرة الحفاظ»: (٧٧٦/٢).

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: (١٧٤/٢).

(٥) «سنن أبي داود» كتاب (العلم) (٤٣٨/٣) برقم: (٣٦٦٠)، «جامع الترمذي» كتاب (العلم) (١٢٤/١٠)، «سنن ابن ماجه» باب: (من بلغ علمًا)، (٨٤/١) برقم: (٢٣٠).

(٦) وهو مطبوع، الطبعة الأولى على نفقة جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٣٥٣هـ.

- وكتب الحافظ ابن حجر «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» وحققه وعلق عليه العلامة الغماري[1].

- وكتب العلامة الكبير محمد مرتضى الزبيدي «عقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة مما وافق فيه الأئمة الستة أو أحدهم»[2].

- وكان للشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي الأزهري، مفتي الديار المصرية في زمانه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام».

- وكتب شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الجامع الأزهر عبد الحليم محمود «الرسول ﷺ وسنته التشريعية»[3].

- وكتب العلامة الكبير أحمد محمد شاكر «كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر» وهو شرح لحديث «ثم إن شرب الرابعة فاقتلوه»[4].

- وكتب العلامة الدكتور موسى شاهين لاشين «السنة والتشريع»[5].

- وكتب العلامة الكبير الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم «أحاديث الصيام كما روتها كتب الصحاح وأمهات المسانيد والمعاجم للسنة الشريفة»[6].

---

(١) ط: القاهرة ـ ١٣٨٠هـ، وكذا شرحه العلامة المحدث نور الدين عتر الأزهري.

(٢) ط المطبعة الوطنية ـ الإسكندرية.

(٣) ط: مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة ١٣٩٤هـ.

(٤) ط: مكتبة السنة ـ القاهرة.

(٥) ط: مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ـ ١٤١١هـ.

(٦) ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٤هـ، سلسلة البحوث الإسلامية.

- وحقق العلامة أبو غدة كتاب «فقه أهل العراق وحديثهم» للعلامة الكوثري[1]، وله «مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل»[2].

- وكتب العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز المتوفى ١٩٥٨م «الميزان بين السنة والبدعة»[3].

- وكتب العلامة أحمد بن الصديق الغماري المتوفى سنة ١٩٦٠م «إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور»[4].

- وللعلامة الدكتور فؤاد علي مخيمر الأزهري «السنة والبدعة بين التأصيل والتطبيق» وهو مطبوع.

- ثم كان للعلامة الفقيه الأصولي الكبير محمد هاشم محمود السيوطي الأزهري، المتوفى سنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م عدة مؤلفات في ربط الفقه الإسلامي بالحديث الشريف، أهمها: «مقارنات في فقه العبادات» و«الاعتكاف في الفقه الإسلامي» و«أحاديث الأحكام»، وكلها مطبوعة.

- وكتب العلامة الدكتور مصطفى السيد أبو عمارة «الحج وأهميته وأسراره في ضوء السنة النبوية» (رسالة ماجستير) ١٣٩٩هـ.

- وكتب العلامة الدكتور أحمد عمر هاشم «من هدي السنة في العبادات»[5].

(١) وهو مطبوع في مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب.
(٢) وهو مطبوع في مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب.
(٣) ط: دار الصفوة.
(٤) ط: مكتبة القاهرة.
(٥) ط: دار المنار . القاهرة ١٤٠٥هـ

- وحقق العلامة المحدث الدكتور علي عبد الباسط مزيد «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» للإمام البخاري[1]. وله تحقيق «رفع اليدين في الصلاة» للبخاري[2]. وله تحقيق على كتاب: «كشف القناع عن حكم الوجد والسماع» لأبي العباس القرطبي. وله بحث قيِّم بعنوان «شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ» منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية جامعة القاهرة العدد الرابع، لسنة ٢٠٠٨م. وله «الشيخ الألباني بين الحديث والفقه». وله «من هدي النبوة في الطهارة والصلاة». وله «من هدي النبوة في الزكاة والصوم والحج». وله «من هدي النبوة في النكاح والطلاق». وله «من هدي النبوة في البيوع».

- وكتب العلامة الشيخ نور الدين عتر «هدي النبي ﷺ في الصلوات الخاصة»[3].

- وللعلامة الشيخ سعد سعد جاويش الحسيني الأزهري «سنن الزكاة» وهو مطبوع.

- وللعلامة الدكتور شعبان محمد إسماعيل عثمان «قول الصحابي وأثره في الفقه الإسلامي»[4]. وله «الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع»[5]. وله «الصيام في القرآن والسنة»[6].

---

(١) وهو مطبوع في مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) ط: مكتبة التوعية الإسلامية.

(٣) ط: دار الفكر بيروت سلسلة الدراسات الحديثية ١٣٩١هـ.

(٤) ط: دار السلام ـ القاهرة.

(٥) ط: دارالمريخ.

(٦) ط: المكتبة التوفيقية ـ القاهرة.

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد محمد الشريف «صلاح الأمة على هدي السنة»[1].

- وكتب العلامة المحدث الدكتور رضا زكريا محمد «الأحكام المفترى عليها في أحاديث من المتفق عليه»[2].

- وكتب الأستاذ الدكتور علي محمد رمضان الرشيدي أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الدراسات الإسلامية «العذب المورود في فقه أحاديث الحدود .. أبحاث فقهية مقارنة»[3].

- وفي رسالة علمية قيمة بكلية أصول الدين بالقاهرة للدكتور وحيد أحمد بشير الهندي «أحاديث الطلاق في الكتب الستة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٤٦١).

- وكتب الدكتور عمر نجار علي «أهمية الصنعة الحديثية في الترجيح بين المذاهب الفقهية» (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، برقم: (٤١:٤٣).

- وكتب الدكتور السيد إبراهيم متولي «عناية المحدثين بفقه الحديث» (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٢٩).

---

(١) ط: دار الصحوة ـ القاهرة.

(٢) ط: مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٣) وهو مطبوع بالمكتبة المصرية.

ولو أني أطلت معكم النفس في هذا الجانب لخرجنا بمؤلفات كثيرة يصعب حصرها، ولكني أكتفي بهذا الجانب، فما ذكرته يوحي بما أردته.

رابعًا: السنة النبوية مع السيرة النبوية

السيرة النبوية تمثل التجسيد العملي لحياة رسول الله ﷺ العامة والخاصة، كيف كان يأكل؟ كيف كان يشرب؟ كيف كان يجاهد؟ كيف كان يتعامل في حربه وسلمه؟ كيف كانت أخلاقه مع أصحابه وأعدائه؟

وجاءت كتب السِيَر تتحدث عن ذلك إجمالًا وتفصيلًا، ولكن كان من عادة أهل السِيَر المتقدمين أنهم يعتمدون على النقل، وبعضهم كان يسند وبعضهم لا يسند، فاختلط بسيرة رسول الله ﷺ ما ليس منها، وكان هذا منهم بحكم ملكة العلم والدراية التي كانت عندهم من تمييز للروايات والأخبار، بل واعتمادًا على القاعدة المشهورة: (من أسندك فقد أحالك).

فبدأ علماء الأزهر الشريف يكتبون كتبًا في غاية الأهمية يربطون بها بين أحداث السيرة النبوية ورواياتها وبين كتب السنة المعتمدة؛ ليخرجوا لنا نموذجًا لسيرة سيدنا رسول الله ﷺ معتمدًا على الأحاديث الصحيحة المقبولة.

- فترى الإمام الكبير أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي في ترتيبه لمسند الإمام أحمد يفرد من منتصف الجزء العشرين بابًا لأحاديث السيرة النبوية، ويجمع شتاتها من مسند الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- حتى وصل إلى آخر الجزء الثالث والعشرين، أي اعتمد في ذكر سيرته ﷺ العطرة على أحاديث من مسند الإمام أحمد بلغت ما يقرب من ثلاثة أجزاء ونصف.

- وكتب الدكتور عبد المهدي عبد القادر في كتابه القيِّم: «طرق الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف» بابًا بعنوان: (الحكم على أحاديث السيرة النبوية).

- وكتب العلامة المحدث محمد محمد أبو شهبة «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة».

- وكتب العلامة الأزهري الكبير أحمد التاجي «سيرة النبي العربي محمد رسول الله ﷺ» وقد قدم له الإمام الأكبر شيخ الإسلام عبد الحليم محمود، وقال عنه في مقدمته: «وقد اعتمد على ما جاء في كتاب الله، وما صح من الأخبار في الكتب الأصلية كـ«صحيح البخاري» والسير القديمة، وقد بذل الأستاذ جهدًا شاقًّا في الموازنة بين الروايات الكثيرة المختلفة في الموضوع الواحد؛ حتى ينتهي فيه إلى شعاع من النور يكشف عن وجه الحق، وقد أظهر في ذلك براعة يُحمد عليها، واستخلص حقائق من بطن التاريخ كان الناس يعتقدون خلافها»[1].

- وكتب شيخنا العلامة الكبير الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي -رحمه الله تعالى-: «مواقف من حياة الرسول ﷺ»[2].

- وكتب الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مزيد «قطوف من السيرة النبوية والرد على الشبهات المثارة حولها».

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد محمد شحاتة «خطبة حجة الوداع بين السيرة والسنة»[3].

---

(١) وهو مطبوع في مجلد ضخم يقارب (١٤٠٠) صفحة على مجلدين مطبعة مصطفى الحلبي بمصر الطبعة الأولى سنة ١٢٩٨هـ، ١٩٧٨م.

(٢) وهو مطبوع في جزئين مطبعة حنون ـ القاهرة.

(٣) مطبعة الحسين ط الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

- وكتب العلامة المحدث الشيخ سعد سعد جاويش لمحات من سيرة النبي ﷺ، وسماه بـ«جبر الخاطر»(١).

- ولفضيلته أيضا: «قطوف من السيرة النبوية نتائج وعبر .. دراسة توثيقية »، وهو مطبوع.

- وكتب الأستاذ الدكتور أحمد نصر الله صبري أستاذ الحديث الشريف وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف «هذا رسول الله .. الموسوعة المحمدية .. جوانب من عظمة النبي ﷺ، وفضائله، وأحداث سيرته من المهد إلى اللحد، وبيان أن لعنة الله على من آذى نبي الله»(٢).

- وكتب الأستاذ الدكتور سعيد محمد صالح صوابي «المعين الرائق في سيرة خير الخلائق» مطبوع في أربعة أجزاء.

- وحقق الدكتور مصطفى عبد الواحد كتاب: «سيرة رسول الله ﷺ» للحافظ ابن كثير، في أربعة أجزاء. وحقق كذلك كتاب: «شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه»(٣).

- وحُقق كتاب: «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله، وأعلام نبوته، وأفعاله وأقواله في المبدأ والمعاد» للعلّامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى سنة ٩٤٢هـ، لجماعة من علماء الأزهر الشريف، وطبع تحت رعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

---

(١) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية.

(٢) في جزئين ط مكتبة الإيمان.

(٣) كلاهما مطبوع في مطبعة عيسى الحلبي بمصر.

ناهيك عما كتب في رسائل علمية (ماجستير) و(دكتوراه) في ربط السيرة النبوية بالسنة الشريفة، ومن ذلك:

- كتب الدكتور محمد مصطفى شاهين رسالة علمية يربط فيها بين حياة الإمام الكبير محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» بجهوده في خدمة السنة النبوية بعنوان: «محمد بن إسحاق وجهوده في السنة» رسالة (ماجستير) سنة ١٣٩٩هـ.

- وكتب الدكتور الحسيني إسماعيل أبو فرحة «غزوة أحد في ضوء القرآن والسنة» رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٦٨م.

- وكتب الدكتور أحمد محمد عبد النبي «الآيات والعبر في غزوة بدر كما ورد في الكتاب والسنة» رسالة (دكتوراه)، في كلية أصول الدين بالقاهرة، برقم (٢٢٠٣).

- وكتب الدكتور السيد عبد السلام السيد «المنهج العملي لدعوة الرسول ﷺ في العهد المدني من خلال صحيح الإمام مسلم» تحت إشراف الأستاذ الدكتور علي السبكي.

- وكتب الدكتور محمد عبد المقصود شحات «المنهج العلمي للرسول ﷺ في تبليغ الدعوة بمكة من خلال صحيح مسلم» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الحي.

- وكتب الدكتور محمد السيد حسن «الدعوة الإسلامية من خلال سنن الإمام الترمذي» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود يوسف كريت.

إلى غير ذلك من المؤلفات، فتأمل تلك الجهود في خدمة السنة النبوية، والعمل على ربطها بسيرة رسول الله ﷺ منهجًا وتطبيقًا.

خامسًا: السنة النبوية مع علوم اللغة العربية

الأزهر الشريف هو معقل اللغة العربية على الأرض بلا منازع، وهو الذي جعله الله تعالى راية وشامة ظاهرة في حفظ علوم اللغة، وما من بلد دخلها الاحتلال إلا وأثَّر ذلك على لغتهم ولهجاتهم، كما حدث في الجزائر، والمغرب... وغيرهما، إلا بلدنا مصر المحروسة بفضل الله تعالى التي هي مقر الأزهر الشريف وحاملة لواء السنة النبوية، حتى كتب الأستاذ محمد محمد الحسيني كتابًا يثبت فيه دور الأزهر الشريف وقيامه بحفظ اللغة العربية، وسماه: «الأزهر وعلوم اللغة العربية في ألف عام»[(١)].

وعلماء الأزهر الشريف قد مزجوا علوم اللغة العربية بعلوم شتى، وعلى رأس تلك العلوم علم الحديث الشريف؛ لأنهم علموا أهمية الحديث الشريف في حفظ قواعد اللغة العربية، حتى قال شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشريف الدكتور عبد الحليم محمود: «وللسنة جو لغوي، فالرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وكلامه ﷺ أبلغ الكلام البشري، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب، وعلى وضع الناشئين والمثقفين في وضع أدبي ممتاز، من حيث اللغة، ومن حيث الأسلوب»[(٢)].

وقال شيخنا الدكتور أحمد عمر هاشم -حفظه الله تعالى- في حديث له عن بلاغة رسول الله ﷺ: «هو أمي ولكنه كان أفصح الناس قاطبة، وأبلغ الناس جميعًا

(١) ط: مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) «السنة في مكانتها وفي تاريخها»: (ص: ٨) .

في أحاديثه وفي بيانه، وفي كل هديه الذي هدى الناس به، وأرشدهم ودعاهم إلى ربهم سبحانه وتعالى، هو أمي ولكن كان أفصح الناس، ولا عرف البلاغة من لم يتتلمذ على هديه المبين، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي -رحمه الله-:

أبا الزهراء قد جاوزتُ قدري * بمدحك بيد أني لي انتسابا

فما عرف البلاغة ذو بيان * إذا لم يتخذك له كتابا[1]

وقد صنف الإمام العكبري المتوفى ٦١٦هـ كتابًا سماه «إعراب الحديث النبوي» بتحقيق عبد الإله نبهان[2].

وقد حققه أيضًا الدكتور حسن مرسي الشاعر في رسالة (دكتوراه) بعنوان: «النحاة والحديث النبوي مع تحقيق كتاب إعراب الحديث النبوي» بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية سنة ١٩٧٨م.

وقد كتب فيه أيضًا العلَّامة الشريف الرضى، المتوفى ١٠١٥هـ، كتابًا قيِّمًا سماه: «المجازات النبوية» وقد عُني بتحقيقه وشرحه العلَّامة الأزهري الدكتور طه محمد الشربيني[3].

وقد أفردوا مؤلفات خاصة للنظر في بلاغة الرسول ﷺ وفصاحته التي فاقت كل البلغاء والأدباء والشعراء، مع الإعجاز القرآني الكريم، وفيه كتب العلَّامة الشيخ مصطفى صادق الرافعي «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»[4].

---

(١) مقال في مجلة «منبر الإسلام» بعنوان «الأساليب العربية ومدلولاتها في الأحاديث النبوية»: (ص ٧٦-٧٧) السنة ٦٧ . رجب . ١٤٢٩هـ، يوليو ٢٠٠٨م.

(٢) مطبعة زيد بن ثابت . دمشق، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

(٣) وهو مطبوع في مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع بدون تاريخ.

(٤) ط: بيروت دار الكتاب العربي.

وكتب العلَّامة اللغوي الكبير محمد حسن عثمان أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر الشريف، وشارح ألفية ابن مالك في الجامع الأزهر الشريف «دراسات عربية» وتناول فيه بعض الإشكاليات النحوية لبعض آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وهو مطبوع.

وكتب الأستاذ الدكتور رضا زكريا محمد عبد الله حميدة «رواية الحديث بالمعنى وأثرها في الحديث والفقه واللغة والنحو والتصريف»[1].

ناهيك عما كتب في عدة رسائل علمية في كلية اللغة العربية من رسائل (ماجستير) و(دكتوراه) حول الحديث الشريف وعلوم اللغة العربية؛ لنعلم كيف كانت الجهود الأزهرية قائمة بالدفاع عن الحديث الشريف مهتمة به في كل علم من علوم الشريعة، ويعلم الله أني لمَّا تصفحت مكتبة كلية اللغة العربية؛ فوجئت بدرر غالية وكنوز أزهرية، كثيراً ما دافعت عن سنة المعصوم واهتمت بحديثه الشريف اهتمامًا بالغًا، وكيف أنهم درسوا حديث رسول الله ﷺ دراسة متأنية، ولم يهملوا جانبًا إلا وكان لهم قصب السبق فيه، وشعرت بغاية من العزة والمكانة العالية لهذا الجامع العريق.

ولك أن تتأمل ما أقوله في الرسائل الآتية:

- كتب الدكتور مصطفى نجيب محمود متولي «توجيه الحديث النبوي بين ابن مالك في شواهد التوضيح وابن هشام في مغني اللبيب منهجًا وتطبيقًا» رسالة (ماجستير) برقم: (٦٠٣٤) سنة ٢٠٠٣م.

---

(١) ط: مكتبة الجامعة الأزهرية.

- وكتب الدكتور إبراهيم كامل عثمان «حديث الرسول ﷺ عن الوالدين .. دراسة بلاغية في الكتب الستة» رسالة (ماجستير) برقم: (٦٤١٢) سنة ٢٠٠٨م.

- وكتب الدكتور صالح عبيد إسماعيل دراز «البلاغة النبوية دراسة وتحليل» رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٧٦م.

- وكتب الدكتور سلامة جمعة علي داود «بلاغة الدعاء في الحديث النبوي» رسالة (دكتوراه) برقم: (١٣٥) سنة ١٩٩٨م.

- وكتب الدكتور أحمد محمد محمود سعيد «القيود والمتعلقات في الحديث النبوي الشريف» رسالة (دكتوراه) برقم: (٥٩٠٠).

- وكتب الدكتور مصطفى محمد علي عبد الوهاب «الصيغ ودلالتها على المعنى في الحديث الشريف» رسالة (دكتوراه) برقم: (٣٠٣٧).

- وكتب الدكتور محمد مؤنس إبراهيم خالد «دراسة بلاغية حول حديث رسول الله ﷺ عن الأمر بالتقوى في الكتب الستة» برقم: (٦٣٥٦) سنة ٢٠٠٨م.

- وكتب الدكتور إبراهيم حسن أحمد حسن «أساليب الاستفهام في البيان النبوي .. دراسة بلاغية في الصحيحين» برقم: (٥٧٦٤، ٥٧٦٥) سنة ١٩٩٩م.

- وكتب الدكتور صبحي إبراهيم عفيفي «بلاغة الطباق والمقابلة في الحديث النبوي في الصحيحين» رسالة (ماجستير) سنة ١٩٩٨م.

- وكتب الدكتور محمود أحمد عبد الرحيم دراسة لغوية ماتعة حول «اختلاف رواية الحديث الشريف بين البخاري ومسلم» رسالة (دكتوراه) برقم: (٥٧٥٤،

٥٧٥٥) سنة ١٩٩٨م.

- وكتب الدكتور حلمي السيد محمود «الظواهر اللغوية في صحيح البخاري» رسالة (دكتوراه) برقم: (٢٨٨٥، ٢٨٨٦) سنة ١٩٩١م.

- وكتب الدكتور محمد حسين محمود «الجمل الشرطية في صحيح مسلم» رسالة (دكتوراه) برقم: (٦٣٠٨) سنة ٢٠٠٦م.

- وكتب الدكتور سيد عباس محمد أحمد «التفكير اللغوي بين ابن حجر والعيني» رسالة (دكتوراه) برقم: (٥٧٦٠، ٥٧٦١) سنة ١٩٨٨م.

- وكتب الدكتور محمد عبد الحليم الجيلاني «مسائل المعاني في شرح الكرماني على صحيح البخاري» رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٩٣م.

- وكتب الدكتور محمد محمد محمد أحمد عثمان «اختلاف الروايات في الحديث الشريف من خلال سنن أبي داود» رسالة (دكتوراه) برقم: (٥٦٣٢) سنة ٢٠٠١م.

- وكتب الدكتور ممدوح إبراهيم محمود محمد «ألفاظ العبادات في الجامع الصحيح للترمذي دراسة لغوية» برقم: (٥٧٩٨) سنة ١٩٩٩م.

- وكتب الدكتور محمد عبد الرحمن محمد أحمد «البلاغة النبوية في كتاب القرآن والجهاد والصدقة بموطأ مالك» رسالة (ماجستير) برقم: (٦٢٣٢) سنة ٢٠٠٥م.

- وكتب الدكتور فالح محمد زكي عبد المجيد «أسلوب القصر في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري» رسالة (ماجستير) سنة ٢٠٠٣م.

- وكتب الدكتور حمدي حسين صويلح عاشور «الظواهر اللغوية في مسند الإمام أحمد» رسالة (دكتوراه) برقم: (٦٠٦٠) سنة ٢٠٠٤م.

- وكتب الدكتور ماهر عبد الله محمد رزق «لغة الحديث النبوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير» رسالة (دكتوراه) برقم: (٦٠٩٠) سنة ٢٠٠٤م.

- وكتب الدكتور حسن مرسي الشاعر «الجانب البياني في شرح ابن علان على رياض الصالحين» (دكتوراه) برقم: (٥٨) سنة ١٩٧٨م.

فيا لله على الأزهر وأهله، ويا لتلك الأعمار التي خدمت السنة النبوية خدمة يعجز اللسان عن وصفها والقلم عن خطها، يا لتلك المصنفات الغالية الرصينة التي لم يَجُد الزمان بمثلها على مدار تاريخنا الإسلامي إلا على يد أبناء الأزهر الشريف.

هل هذا يدلك على هجر علماء الأزهر الشريف للسنة النبوية أم الغوص فيها غوصًا واستخراج كنوزها المدفونة؟؟

هل هذا يدلك على قرب الأزهريين من سنة نبيهم أم بعدهم عنها؟ أين كانت تلك الكنوز والتي مضى عليها قرونٌ من الزمان لم تُكشف إلا على يد أبناء الأزهر الشريف؟ الذين هم حملة الدين، وورثة النبوة، عَلِم من عَلِمَ، وجَهِلَ من جهل.

وهذا ليس تتبعًا واستقصاءً، بل هناك سيل من الكتب والرسائل العلمية الرصينة التي يصعب حصرها، والتي تنبئك عن عظمة الجهود الأزهرية في خدمة السنة النبوية.

سادسًا: السنة النبوية مع الإعجاز العلمي

القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا المعرفة بلا شك، ولكن للأسف الشديد أنَّ جماعة من الخلق جمدوا على ظواهر النصوص القرآنية والألفاظ النبوية، ولم يغوصوا فيما تحمله من معانٍ تثبت كل يوم صدق الرسول والرسالة، والتي تحمل في جنباتها مشاعل الهداية إلى العالمين، وتخاطب الخلق على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأمكنتهم بما يجعلهم يسلمون بتصديق النبي ﷺ، ويسلمون بأن كل ما جاء به إنما هو من عند ربه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ لكن العلماء الراسخين ينظرون إلى القرآن الكريم على أنه مشعل الهداية الأول الذي لا تنقضي عجائبه، وإلى سنة النبي ﷺ على أنها التالية له في ذلك؛ فاهتم علماء الأزهر الشريف ببيان أوجه الإعجاز العلمي التي انطوى عليها القرآن الكريم، وكذلك السنة المشرفة التي أظهرت توافقًا عجيبًا مع الحقائق العلمية، والتي توهم الغربيون أنهم أول من وقف على هذه الحقائق.

ونحن نوقن أن النبي ﷺ علَّمه شديد القوى، وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن ما جاء به من عند ربه لا يمكن أن يصطدم بالعلم، وقد قام العلماء ببيان ما في تلك الأحاديث المشرفة من سبق علمي، يتوافق مع ما توصل إليه العلم الحديث من إعجاز في الخلق والكون، وبذلك علم الناس عظمة هذا الدين، وأيقنوا أنه دعوة عالمية لكل البشر، وأنه هو الدين الأحق بإصلاح حياة الناس، وكان علماء الأزهر الشريف على رأس من دعَّم هذا المنهج في السنة النبوية من علماء المسلمين. وهو امتداد لفهم السلف الصالح لصلاحية الإسلام حتى يشمل المكان والزمان.

ولو أنك تأملت في كتب أئمة الإسلام، وأساطين العلم الكبار، لوجدت كيف كان مزج العلوم الشرعية بمسألة الإعجاز عندهم كثير، وإن كان ذلك بما يتناسب مع أزمانهم، فوجدنا كلامًا للإمام الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، في مناقشته لمسألة الإعجاز عند الأقدمين، ورجَّح القول بالإعجاز بحديثه عن الغيبيات والبلاغة وقوة تأثيره في النفوس.

وكتب الإمام الباقلَّاني «إعجاز القرآن» وأنَّ أوجه الإعجاز تكاد أن تنحصر في: الأمور الغيبية المخبر عنها، مع أمية الرسول ﷺ، والنَّظم القرآني البديع.

ومثله القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥هـ، في الفصل السادس عشر من كتابه «المغني» وركَّزَ الحديث على جزالة اللفظ، وحُسْن المعنى.

ومثله الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ في كتابه «دلائل الإعجاز»، و«الرسالة الشافية».

وأفرد القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ في كتابه القيِّم: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» فصلًا عن إعجاز القرآن الكريم. والإمام السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ؛ في كتابه: «مفتاح العلوم».

وأكَّد هذا المعنى ابن أبي الأصبع المصري المتوفى سنة ٦٥٤هـ، والعلوي اليمني المتوفى سنة ٧٢٩هـ، وشمس الدين الأصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩هـ، والإمام الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ ومن جاء بعدهم من المتأخرين، أمثال: العلامة الآلوسي، والشيخ محمد عبده، والشيخ مصطفى صادق الرافعي، والشيخ طنطاوي جوهري، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد متولي الشعراوي... وغيرهم كثير.

وذلك لأنهم علموا أنَّ الشرع الشريف يواكب مستجدات العصر وأحداث الزمان، وأنَّه يحقق منهج الهداية التي أرادها الله تعالى، حتى كتب الدكتور نادي درويش محمد الأزهري: «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية»[1].

ولأجل هذا اهتم علماء الأزهر الشريف بهذه الناحية المهمة في نشر الدعوة الإسلامية، ولو أني تتبعت في ذلك ما كُتب عن القرآن مفردًا لخرجت بآلاف من المؤلفات التي تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، ولكنني سأقصر الحديث على ما يتعلق بالسنة النبوية المشرَّفة:

- فكتب العلامة الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعي -وكان مفتيًا للديار المصرية المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، وكان -رحمه الله تعالى- مشتغلًا بجملة من العلوم فقالوا عنه: (أبو حنيفة زمانه في الفقه)، صاحب صنعة حديثية فائقة؛ إذ أنه يروي عن سبعين شيخًا، وكان بجانب هذا مشتغلًا بعلوم الفلك، والأرض، وعلوم الإفرنج عامة، حتى ترجم له شيخنا العلامة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين» ترجمة رائعة، قال عنه فيها: «وهو شيخ شيوخ الديار المصرية بلا منازع، وعَلَمُ أعلامها بلا مُدافع، وهو الإمام الذي ألقت إليه العلوم على اختلافها مقاليدها، والحَبْر الذي أرجعت إليه الأحبار من النظار سلاسلها وأسانيدها...)[2]. كتب في ذلك كتابًا ماتعًا يجمع فيه بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية مع اكتشافات العلم الحديث، وسماه: «توفيق الرحمن، للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن».

---

(١) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٢) راجع ترجمته الرائعة في أسانيد المصريين ص ٣٥٧

- وألف الحافظ أحمد بن الصديق الغماري كتابه: «مطابقة الاختراعات العصرية، لما أخبر عنه سيد البرية»[1].

- وللعلامة الداعية المفسر المجدد الشيخ محمد متولي الشعراوي: «معجزات الرسول ﷺ» وله: «المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج»[2].

- وكتب العلَّامة المحدث الكبير الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي «أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا»[3].

- وكتب العلَّامة الدكتور كارم السيد غنيم الأستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر الشريف «عجائب العنكبوت دراسة في القرآن والسنة والتراث والعلم الحديث»[4]. وله بابٌ في كتابه «الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق» بعنوان: «المنُّ بين القرآن والسنة والعلم الحديث»[5].

- وكتب الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي الأستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر الشريف: «الحشرات في القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم الحديث».

- وكتب الدكتور مصطفى مراد صبحي «معجزات الرسول ﷺ» جمع فيه ألف معجزة ومعجزة من معجزات الرسول ﷺ»[6].

---

(١) ط: دار القاهرة لصاحبها محمد سليمان، بالقاهرة.

(٢) وكلاهما مطبوع في مكتبة الشعراوي الإسلامية.

(٣) في ثلاثة أجزاء، وهو مطبوع في مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٤) دار الصحوة . القاهرة . ط ١، ١٩٨٨م

(٥) وهو مطبوع في دار الفكر العربي.

(٦) وهو مطبوع في دار الفجر بالأزهر الشريف.

وفي عدة رسائل علمية في كلية أصول الدين بالقاهرة كتب في هذا الجانب كثير، من ذلك:

- رسالة (ماجستير) للدكتور محمد ولي الله عبد الرحمن بعنوان «إزالة اللثام عما تنبأ به خير الأنام» بتاريخ ١٩٨٨م.

- وكتب الدكتور أحمد محمود أحمد «دلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عزت علي عطية، برقم: (٢٨٢٧) سنة ٢٠٠٦م.

- وكتب الدكتور أحمد وصفي محمد «الإعجاز الطبي في السنة النبوية من خلال صحيحي البخاري ومسلم»، تحت إشراف الأستاذ الدكتور يحيي حبلوش، برقم: (٢٨٨).

- وكتب الدكتور فوزي عبد العظيم رسلان «تصوير السنة النبوية للدلائل الكونية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم الأنصاري، برقم: (٣٤٢٢).

- وكتب الدكتور محمد أحمد السنهوري «الطب في السنة» رسالة (دكتوراه)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، سنة ١٩٧٩م.

- وكتب الدكتور نادي درويش محمد «الإعجاز العلمي في أقوال الرسول ﷺ من خلال صحيحي البخاري ومسلم» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أحمد أبي سمك، برقم: (١٠٦، ١٠٧). إلى غير ذلك من المؤلفات.

*****

الفصل التاسع عشر: لمحة من جهود الأزهريين حول معالجة السنة النبوية لقضايا العصر ومشكلاته

السنة النبوية الشريفة هي التي تبين لنا كيف كان ﷺ يستقبل فيها المشكلات والمعضلات، وتبين لنا كيفية التعامل في القضاء على كل ما يعوق الإنسان عن أداء واجبه، حتى كتب العلَّامة المتكلم الدكتور محمد سيد أحمد المسير «الرسول ﷺ وقضايا المجتمع»[1]. ولعلَّ هذا الباب يلفت انتباهنا إلى كيفية التعامل مع السنة المشرفة على أنها منهج حياة:

أولًا: السنة النبوية مع الدعوة إلى الأخلاق

لا قيمة لمجتمع فسدت أخلاقه، وقلَّ حياؤه، واستشرت فيه الضغينة والسباب، وانتُهكت فيه الحرمات، لأن هذا ليس مجال ديارنا العامرة بالقرآن والسنة، بل هي ديار الطغاة الظالمين، وإني لأقف حول الحديث الواحد من أحاديث رسول الله ﷺ فأقول: هذا الحديث كفيل بإصلاح أمة بأسرها لو طبقته، وترسمت هدي رسول الله ﷺ فيه؛ وذلك لأن السنة النبوية كما يقول شيخ الإسلام عبد الحليم محمود -رحمه الله تعالى-: «جو روحي: إنها تهذيب للنفس، وتربية للروح، وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجارى، صلى الله وسلم على من قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»»، ورحم الله شوقي إذ يقول:

إنما الأمم الأخـــلاق ما بقيت * فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) ط: مكتبة الصفا. القاهرة.

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجبًا دينيًّا، وعملًا اجتماعيًّا كريمًا، وواجبًا وطنيًّا حتميًّا، وإصلاحًا أخلاقيًّا ساميًا. وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقي في كل أسرة وفي كل بيت، ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها: من عرض، وشرف، وكرامة...»[1].

ولقد توالت مصنفات الأزهريين في هذا المضمار غاية في الكثرة، مع الدقة والرصانة العلمية، في تقريب كل ما شرع الله تعالى في التربية والتعليم والسمو الأخلاقي، ومن ذلك:

- كتب العلَّامة الدكتور محمد محمد أحمد الشريف «دراسة ما ورد في السنة في شأن الصلاة وبيان أثرها في تربية الفرد والجماعة» (رسالة دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازي ١٣٩٥هـ.

- وكتب العلَّامة الدكتور محمد بكر إسماعيل أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف: «وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع»[2].

- وكتب العلَّامة الشيخ سعد سعد جاويش الأزهري الحسيني «موقف السنة من التبرج» وهو مطبوع.

- وكتب العلَّامة الأستاذ الدكتور علي عبد الباسط مزيد بحثًا ماتعًا في حولية كلية الآداب جامعة المنيا العدد الحادي والستون عن شهر يوليو ٢٠٠٦م بعنوان: «أسس التربية ووسائل التأديب في السنة المطهرة».

---

(١) «السنة في مكانتها وفي تاريخها»: (ص ٨).

(٢) في ثلاثة مجلدات، ط: دار المنار.

- وكتب العلامة الدكتور محمود محمد أحمد بكّار، والدكتور محمد سيد شحاتة: «منهج السنة في بناء الأسرة» وهو مطبوع.

- وفي رسالة (ماجستير) للدكتور محمد أنور حسين بكلية أصول الدين بالقاهرة «الأخوة الإسلامية وحقوقها في ضوء السنة النبوية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور بهاء الشاهد، والأستاذ الدكتور محمود عبد الخالق حلوة، برقم: (٢٤٢).

- ورسالة (ماجستير) للباحث محمد موسى أحمد عبد القادر، بعنوان: «الخصومات في السنة النبوية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، برقم: (٢٨٢).

- ورسالة (ماجستير) للباحث يسري عبد العليم محمد، بعنوان: «الصلح في ضوء السنة النبوية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور يحي إسماعيل حبلوش، سنة ٢٠٠٢م.

- وكتب الدكتور أحمد عبد الرحيم «السلوك عند الحكيم الترمذي ومصادره في السنة النبوية» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي، سنة ١٩٨٦م.

- وكتب الدكتور بدير محمد بدير «الدلائل الإنسانية في السنة النبوية وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد حكمت أبي صير، برقم: (١٢٠).

إلى غير ذلك من المؤلفات القيمة التي بادر بها علماء الأزهر الشريف في هذا الباب.

ثانيًا: السنة النبوية في الجانب الاقتصادي والاجتماعي

ما ترك علماء الأزهر الشريف مجالًا في علم من علوم الدين والدنيا إلا وكان لهم قصب السبق فيه، وعلى رأس تلك العلوم: علم الاقتصاد الإسلامي:

- فكتبت الدكتورة سهير محمد أحمد إبراهيم الأستاذة بكلية البنات جامعة الأزهر الشريف: «تجربة جامعة الأزهر نحو توجيه العلوم إسلاميًا .. دراسة اقتصادية».

- وللأستاذ الدكتور أحمد شلبي «سلسلة الندوات في الفكر الاقتصادي الإسلامي».

- وللأستاذ الدكتور رؤوف شلبي «العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام»[1]. وله كذلك: «المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف»[2].

ولكثرة الجهود الأزهرية في علم الاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، كانت المؤلفات التي يصعب حصرها، والتي ظهرت على أيدي علماء الأزهر الشريف؛ فهذا نموذجٌ أزهريٌّ مُشَرِّفٌ، وهو العلامة الكبير الدكتور يوسف القرضاوي، والذي أثرى المكتبة الإسلامية بجملة من المؤلفات والجهود العظيمة، والتي دفعت أحد الباحثين أن يكتب عن جهود العلامة القرضاوي في تحقيق علم الاقتصاد الإسلامي، وهو الدكتور أشرف محمد دوابة في كتابه: «دور العلامة القرضاوي في الاقتصاد الإسلامي» وقدم له الدكتور رفعت السيد العوضي، أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة جامعة الأزهر الشريف[3].

---

(١) ط: دار الاعتصام ـ القاهرة.

(٢) ط: دار الاعتصام ـ القاهرة.

(٣) وهو مطبوع في دار السلام ـ القاهرة.

- وكتب العلامة المحدث الفقيه الأصولي الكبير أحمد بن فهمي بن محمود أبو سنة الحنفي الأزهري، صاحب الأسانيد العالية، والذي كتب عنه الدكتور يحي الغوثاني «تمام المنة في أسانيد أبي سنة»- كتابًا ماتعًا حول الاقتصاد، سمَّاه: «علم الاقتصاد الإسلامي ضرورة وحقيقة واقعة».

- وكتب العلامة الفقيه المتقن المتفنن الشيخ الدكتور عطية عبد الحليم صقر -رحمه الله تعالى- «الضريبة الموحدة في ميزان الشريعة الإسلامية» وهي رسالة (الدكتوراه) من كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف، برقم: (٢٩٠٥).

- وكتب العلَّامة الشيخ سعد سعد جاويش الكفراوي الأزهري «التوجيهات النبوية لسلامة المعاملات المالية»، وله «المأدبة النبوية في الهبة والهدية والوصية»

- وللعلَّامة الدكتور عبد العال أحمد عبد العال «التكافل الاجتماعي في السنة المحمدية» رسالة (دكتوراه) برقم: (٢٢٤٠) بكلية أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب العلَّامة المحدث الكبير الدكتور موسى شاهين لاشين «السعادة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور محمد الأحمدي أبو النور «منهج السنة في الزواج»[2].

- وكتب الدكتور محمد شاهين هارون «القيم والمبادئ الاقتصادية في المجتمع النبوي في ضوء الأحاديث النبوية» في كلية أصول الدين بالقاهرة، برقم: (٢١٥).

---

(١) ط: مكتبة الإيمان . القاهرة.

(٢) ط: دار السلام . القاهرة.

- وكتب الدكتور علي السيد الشربيني «التنمية والتنظيم الإداري تحت ضوء السنة» (دكتوراه) بأصول الدين، برقم: (٢١٥٠).

- وكتب الدكتور عبد الواحد يوسف عبد الواحد «القصد والوسطية في ضوء السنة النبوية» رسالة (ماجستير) تحت إشراف الأستاذ الدكتور مروان شاهين، برقم: (٣٩٧).

- وكتب الدكتور عبد البصير علي «المنهج الاقتصادي في ضوء الكتاب والسنة وأثره في تحقيق الذاتية الإسلامية» تحت إشراف الأستاذ الدكتور حسن عبد الرؤوف، برقم: (١٢٦، ١٢٧).

- وكتب الدكتور الأمير محفوظ محمد «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الواقية لعلاج البطالة» تحت إشراف الأستاذ الدكتور معاذ أبي غزالة في كلية أصول الدين بالقاهرة.

إلى غير ذلك من المؤلفات التي كتبها علماء الأزهر الشريف في الربط بين السنة النبوية والجانب الاقتصادي والاجتماعي.

ثالثًا: السنة النبوية وبناء الحضارة

لا شك أن القرآن الكريم هو مصدر الحضارة والمعرفة، والسنة النبوية هي المنهج العملي والتطبيقي لتلك الحضارة العالية الرفيعة، فليست سنة رسول الله ﷺ مقصورة على تسجيل معالم الغيب والآخرة، أو سرد قصص السابقين وأحوالهم، أو الإعلام بالجانب التشريعي الذي به نعرف الحلال من الحرام؛ بل إن السنة النبوية عند علماء المسلمين شملت ما هو أعم من ذلك بكثير، فشمل حديثها على التربية، والنفس،

والاجتماع، والاقتصاد، والصحة، والبيئة، وكشفت القناع عن كثير من المعاني التي لطالما غابت عن كثير من الناس، والتي تمثل قيمًا رفيعة عند أهل الفهم والتأمل، وكان على رأس من لفت الأنظار لكيفية التعامل مع السنة النبوية على هذه الطريقة وهذا المنهج أهلُ مصر، ومنهم علماء الأزهر الشريف، على مدار التاريخ الإسلامي، حتى كتب الأستاذ علي إسلام «مصر أم الحضارة»[١]، وكتب الدكتور أحمد شلبي «تاريخ مصر وحضارتها من مطلع الإسلام حتى الآن» أي: سنة ١٩٨٦م.

وبرع أهل الأزهر الشريف فكتبوا وحققوا ما يدل على هذا المعنى:

- فحقق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة كتاب: «الحث على التجارة والصناعة والعمل» لأبي بكر الخلال الحنبلي[٢].

- وكتب العلَّامة الجليل محمد زكي الدين بن محمد أبي القاسم الحجازي القوصي المالكي الأزهري «الأجوبة النبوية والتوجيه الحضاري» في ثلاثة أجزاء، وهو عبارة عن دراسة تحليلية للحضارة الإسلامية الرفيعة.

- وكتب العلَّامة الأزهري الكبير أحمد الشرباصي «توجيه الرسول ﷺ للحياة»[٣].

- وكتب العلَّامة الفقيه الأصولي الدكتور يوسف القرضاوي بحثًا نفيسًا حول هذا الموضوع، بعنوان: «السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة»، بين فيه أن (السنة النبوية ليست فقط مصدرًا للمعرفة الدينية بكل ما تشمله هذه التسمية مما يتعلق بعالم

---

(١) ط: دار الشعب ـ مصر.

(٢) وهو مطبوع في مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

(٣) ط: دار الجيل ـ بيروت.

الغيب أو عالم الشهادة سواء في الإخبار عما مضى أو ما يستقبل، أو ما يحتاجه الناس لقضايا يعايشونها، وإنما هي مصدر للمعارف عمومًا، بما تتضمن من أخبار وإنشاءات، سواء فيما يتعلق بالتربية، والنفس، والاجتماع، والاقتصاد، والصحة، والبيئة... وغيرها، فللسنة في هذه المجالات باعٌ كبير كشفت به القناع عن معانٍ كبيرة، وقيم أصيلة، ومفاهيم ومُثُل رائعة)[1].

- وكتب العلَّامة المحدث الدكتور نور الدين عتر الأزهري «في ظلال الحديث النبوي» دراسة اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة.

- وكتب الدكتور بركات ديب محمد «البيئة في ضوء السنة» رسالة (دكتوراه) تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم السيد نجم، برقم: (٢٣٣). إلى غير ذلك من المؤلفات.

رابعًا: السنة وقضايا الفكر المعاصر

من الأمور المعلومة التي لا شك فيها أنه من المستحيل أن تسير حركة الناس في التفكير على وتيرة واحدة، وكما يقولون (دوام الحال من المحال) فيتعرض البشر في حياتهم التي يعيشونها إلى أنماط متعددة في الفكر والثقافة، وقد يكون هذا التحول الفكري بفعل البشر أو لظواهر خارجية طبيعية، وقد تكون له آثار إيجابية أو سلبية، وما نشاهده في زماننا من أنماط في التفكير مختلفة متشعبة في كيفية التعامل مع الدين، أو العادات والتقاليد، من الأحزاب والجماعات والتيارات الموجودة على الساحة، لا شك أنك تجد في سنة رسول الله ﷺ المخرج من كل فتنة ومصيبة، ونمط في التفكير غير صحيح انتشر واستشرى بين أبناء الأمة، وفي هذا المعنى يقول

(١) ط: دار الشروق ـ القاهرة.

ويفصح شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشريف الدكتور عبد الحليم محمود -رحمه الله تعالى-: «وما من شك في أن للسنة جوًّا فكريًّا، فالرسول ﷺ يتحدث عن إصلاح المجتمع، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه، وعلى عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم»[١].

«ولقد سار الرسول ﷺ على هذه الطريقة وأرشد القرآن الكريم إلى اتباعها وسلوك منهجها في تصريف شؤون الناس والحكم بينهم، بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾[٢] فالرسول ﷺ مطالب بإعمال رأيه والتفكر في أمر المسلمين بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، إذا لم يكن في المسألة المعروضة عليه وحي، وهو منهجه الذي أرساه في حياته ووجه إليه الأمة لتصريف شؤونها وتدبير أحوالها، وقد عمل الرسول صلوات الله وسلامه عليه على تربية أصحابه على إفهام العقول، والتفكر في إيجاد الحلول، وتلمس العلاج للمشكلات التي تعرض للناس في حياتهم»[٣]. وقد تولى علماء الأزهر الشريف كل ما يطرأ للناس من أنماط تخالف روح الشريعة الغراء، ويعملون على تصحيحها في ضوء تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ذلك:

- ما كتبه العالم الأزهري الكبير، والمصلح الديني الشيخ محمد عبده -رحمه الله تعالى-: «الإسلام بين العلم والمدنية»[٤].

---

(١) «السنة في مكانتها وفي تاريخها»: (ص ٨).

(٢) سورة النساء الآية: ١٠٥

(٣) من مقال للدكتور محمد الشحات الجندي في مجلة «منبر الإسلام»: (ص٧)، السنة (٦٨). العدد (٩). رمضان ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٤) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- وكتب شيخ الإسلام عبد الحليم محمود «الإسلام والعقل»[1].

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الحميد علي سمك «الأزهر في مواجهة البابية والبهائية والقاديانية».

- وكتب الأستاذ الدكتور عبد الله شعبان «ضوابط الاختلاف في ميزان السنة»[2].

- وكتب الدكتور يحي سالم صالح «من ذخائر السنة في بعض القضايا المعاصرة»[3].

- وكتب الدكتور محسن صالح العناني «المسئولية والجزاء في السنة المطهرة» (رسالة دكتوراه) بكلية أصول الدين بالقاهرة، برقم: (٢٩١٨).

- وكتب الدكتور هلال محمود لطفي «محمد حسين هيكل وكتاباته الإسلامية» رسالة (ماجستير) أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م، أشار فيها إلى كثير من قضايا الفكر المعاصر في فكر هيكل، مع بيان موقف الإسلام من ذلك.

- وفي رسالة (دكتوراه) للدكتور محمود عبد الحكم عنان: بعنوان: «الفكر المادي وموقف الإسلام منه» سنة ١٩٧٥م.

- وكتب الدكتور عبد الله يوسف الشاذلي «مدى انطباق الأفكار الصوفية على الكتاب والسنة» رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٧٨م.

---

(١) ط: دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) ط: دار الحديث، القاهرة.

(٣) ط: ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

- وكتب الدكتور عبد المنعم عطية «منهاج السنة في الحدود وأثره في إصلاح المجتمع» رسالة (دكتوراه)، برقم: (٢٩٩٧)، سنة ١٩٧٩م أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الدكتور جبر محمد جبر «الغزو الفكري .. مصادره وأهدافه وموقف الإسلام منه» في رسالة (دكتوراه) برقم: (٣١٢٤) سنة ١٩٨٤م أصول الدين بالقاهرة.

- وكتب الدكتور عبد المعبود مصطفى سالم «نظرية التطور في ضوء الإسلام» رسالة (دكتوراه) برقم: (٣١٤٥)، سنة ١٩٨٥م.

- وكتب الدكتور صالح أحمد سعيد الصرافي «أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسنة» رسالة (دكتوراه) سنة ١٩٨٥م.

- وكتب الدكتور أبو زيد عبد الرحمن راضي «الجهاد في ضوء السنة» رسالة (دكتوراه)، برقم: (٣٣١٢) سنة ١٩٧٦م.

إلى غير ذلك من المصنفات حول الموضوعات التي أثيرت في قضايا الفكر والثقافة، والتي كثيراً ما فهمت فهمًا مغلوطًا، يثير الغبار على الإسلام، فكان دور علماء الأزهر الشريف أن يبينوا للناس ما أُشكل عليهم من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية؛ حتى لا تختلط المفاهيم، وينجرف الناس في ظل التيارات المعاصرة إلى ما يفسد المجتمع ويقضي على هوية المسلم.

*****

خاتمة

وقد رأينا بعد هذه اللمحة أن (الأزهر الشريف حارس على الدين والعلم، يحمل لواء الحق إلى الناس في كل أقطار الأرض، وينشر دعوة الإسلام على أساس من الكتاب والسنة، لم ينحرف ولم يزغ، لم يدع إلى باطل، ولم يقصر في الدعوة إلى الحق، يفتح أبوابه للدارسين من كافة أنحاء الدنيا، يتلقاهم حفيًّا بهم، حريصًا على تثقيفهم، يتزودون بين جنباته من علوم الدين واللغة والمنطق والفلسفة والكلام والرياضيات، كما يتعلمون غيرها من الثقافات الإنسانية، ويفيدون من شيوخه ما أفاء الله عليهم من علوم، ثم يصدرون عنه وقد تزودوا بحصيلة يفيد منها طالبو الدين والدنيا معًا، وينتفع بها العامة والعلماء على حد سواء.

ذاع صيت الأزهر وعظم خطره، واهتم به على مر الأيام ملوك الدنيا وزعماء العالم، وتعلقت به آمال المسلمين في شتى الأنحاء، وأحبوا مصر من أجل الأزهر، فأصبحت به قبلة السائحين، ومنار الحائرين، ومهوى أفئدة الملايين من المسلمين.

ولو أن أمة أرادت أن تبلغ ما بلغته مصر عن طريق الأزهر من مكانة سامية، وقيادة روحية لدول العالم الإسلامي، لما استطاعت ذلك، ولو بذلت في سبيله أضعاف ما تنفقه على الدعاية لنفسها لمئات السنين.

إن عالمًا واحدًا يوفده الأزهر إلى أي بلد إسلامي في العالم، ويتمكن من أداء رسالته على الوجه الأكمل يستطيع -مع توفيق الله وحسن رعايته- أن يؤثر في ذلك البلد تأثيراً طيبًا لا تستطيعه كل أجهزة الدعاية والإعلام.

إن الأزهر هو الورقة الرابحة لمصر حتى الآن، تستطيع من خلاله -بعد تدعيمه والعناية بشأنه- أن تتصدر به دول العالم، وأن تستعيد به الكثير مما ضاع في فترات الضعف والتخاذل.

إنه الدعامة الطيبة للمسلمين في كل آفاق الأرض، يستطيعون أن يؤكدوا دوره في نشر تعاليم الإسلام، ويلتفوا حول ما ينادي به من دعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، والتأليف بين القلوب لتجتمع على كلمة الله.

إن تعاليم الدين تفعل في النفوس فعل السحر، وقد حمى الله الدين بالأزهر، وما من عالم من علماء الإسلام في أي بلد من بلاد الدنيا منذ ألف سنة أو يزيد إلا وللأزهر في عنقه دين وله عليه فضل، ومن أجل هذا تعلّق المسلمون عن طريق علمائهم بالأزهر، وأحبوا البلد الذي حل فيه الأزهر، وتعمقت جذور هذا الحب على تتابع الأجيال منذ مئات السنين، فأوفدوا إليه أبناءهم من أقاصي الأرض، واستعذبوا مفارقتهم -وهم فلذات الأكباد- في سبيل طلب العلم فيه لأزمان قد تمتد إلى سنوات وسنوات؛ استجابة لدعوة الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١).

وإذا كان علينا أن نربط بين الأزهر في علوم الدين، وبين حظه من علوم الحديث والسنة، فإننا نكتفي بأن نشير إلى أن انفتاح الأزهر في عصر المماليك، واستقباله للدارسين من أهل مصر والوافدين عليه، ممن كان لهم دور خطير في علوم السنة من أمثال شيخ الإسلام ابن حجر، والإمام البدر العيني، والحافظ السخاوي، والحافظ السيوطي- يقضي بأن يكون للأزهر جانب موفور من تخصصات هؤلاء،

---

(١) التوبة: ١٢٢

وقد ورد في تراجم بعضهم تصريح بأنه كان يدرس الحديث في الأزهر، وأن بعضهم كان يقيم فيه، مثل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وقد جاء في ترجمة عبد الرحيم العباسي أنه كان ممن يدرسون الحديث بالأزهر، وفي هذا القدر ما يحقق الجانب المنشود من مدرسة الحديث في مصر في هذه الجامعة العظيمة.

لقد احتضن الأزهر الكتاب والسنة، وتخرج فيه علماء التفسير والحديث، وأخذ هؤلاء علوم الدين عمن قبلهم من الأعلام، وهؤلاء عمن قبلهم، وهكذا في سلسلة تمتد على الأجيال إلى عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وهم الذين كانوا همزة الوصل بيننا وبين ذلك العهد النبوي الكريم)[1].

وبعد فكانت تلك لمحة عابرة عن جهود علماء الأزهر الشريف في القيام بواجب الخدمة لسنة سيدنا رسول الله ﷺ. وما ذكرته في تلك الصفحات لا يمثل شيئًا من الواقع المعاصر في خدمة السنة النبوية.

ولعلَّ سائلًا يسأل إن تلك الجهود التي قام بها الأزهريون بعيدة عن متناول الأيدي، فأين تلك الرسائل العلمية التي تحتوي على كنوز مدونة؟ وأين وقعها بين طلبة العلم والمشتغلين بالحديث الشريف خاصة؟

قلت: الرد من وجهين:

الأول: مناشدة ملحة للإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، ولرئيس جامعة الأزهر الشريف، ولهيئة كبار العلماء أن يهتموا بهذه الدراسات العلمية الرصينة؛ وأن تتولى الجامعة طبع أهم تلك الرسائل؛ وإخراجها إلى النور؛ لتعم فائدتها، وليعلم من لا يعلم قدر ما أمد به الأزهر العالمين من علوم الشريعة وغيرها.

(١) «مدرسة الحديث في مصر»: (١/٩، ١٠) بتصرف.

الثاني: ليس معنى أن تلك الرسائل لم يطبع منها الكثير أنها عديمة الفائدة؛ فلا يزال طلبة العلم ينتفعون بها؛ ويستفيدون منها في مكتبات الجامعة، ولك أن تدخل قاعة الرسائل في كلية أصول الدين أو غيرها؛ لترى انتفاع الباحثين بتلك الرسائل والاستفادة منها، وأنا من أول من انتفع بتلك الرسائل في مطالعتي لأهم ما كتب في الحديث، أو التفسير، أو الفقه، أو اللغة، وقد طفت قاعات الرسائل وقرأت كثيراً من الرسائل، وعندي في مدوناتي بعضًا من نقولها المفيدة في شتى العلوم.

وكانت تلك الرسائل ثمرة لجهود علماء استخرجوا مادتها العلمية بعد سنوات طوال، وبعد دراسة متأنية ومناقشة من الأساتذة، وكل ذلك يمثل حراكًا علميًّا كبيراً بين الباحثين والمناقشين على السواء، وليس معنى أنها لم تطبع أنها عديمة الفائدة؛ لأن كثيراً من الكتب المخطوطة لأئمة الإسلام لها قيمتها العلمية في مكتباتنا، ولا يزال الباحث يستفيد منها كلٌّ في مجال تخصصه.

ومن يتأمل في واقع طلبة العلم والمشتغلين به يلمح هذا حتى في الكتب المطبوعة، فلك أن تتأمل في مكتبات المشتغلين بالعلم، وخاصة علم الحديث الشريف؛ وترى كم من طلبة العلم يقتني في مكتبته «تهذيب الكمال» أو «تهذيب التهذيب» أو «تقريب التهذيب» أو «سير أعلام النبلاء» أو «الكامل» لابن عدي، أو غيرها من الكتب التي هي عُمُدُ هذا العلم وأساسه.

فليس عدم وجودها عند الناس وفي الأسواق بكثرة دالٌّ على أنها عديمة الفائدة، بل هي مرجع لكل باحثٍ ومشتغلٍ بالعلم.

ومن هذا يتبين أن تلك الرسائل العلمية -وإن لم تخرج إلى الناس- هي التي صنعت عقول المحدثين التي تجول في الحديث الشريف وعلومه بدراسة متأنية، يعلوها

الكمال والبهاء، وتلك ثمرة من ثمار علماء الأزهر الشريف التي نضجت وظهرت بوادرها من قديم، ولا تزال تعطي وتمنح خيرها إلى العالمين.

وهذا ما أعانني الله تعالى عليه، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهوٍ أو نسيان فليسامحني الله تعالى، وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

*****

الفهرس

*****